التذكار في أفضل الأذكار

القرآن الكريم

ترجمة أبي عبد الله القرطبي

مؤلف هذا الكتاب

ابو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح (باسكان الراء وبالحاء المهملة) الانصارى الخزرجي الاندلسى القرطبي المفسر ، كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين ، الورعين الزاهدين فى الدنيا ، المشغولين بما يعنيهم من أمور الاخرة ، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف

مؤلفاته — جمع فى تفسير القرآن كتابا كبيرا يأتى فى اثنى عشر مجلدا ، سماه كتاب الجامع لاحكام القرآن ، والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان . وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا ، اسقط منه القصص والتواريخ ، وأتى عوضها بأحكام القرآن ، واستنباط الادلة ، وذكر القراءات والاعراب ، والناسخ والمنسوخ ، وهو التفسير الذى تطبعه دار الكتب المصرية بنفقتها وله كتاب « الاسنى ، فى شرح أسماء الله الحسنى » وكتاب « التذكار فى أفضل الاذكار » وهو كتابنا هذا . وضعه على طريقة التبيان للنووى ، لكن هذا أتم منه وأكثر علما . وكتاب « التذكرة بامور الاخرة » وكتاب « شرح التقصى » . وكتاب « قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة » قال ابن فرحون : لم أقف على تأليف أحسن منه فى بابه . وله « أرجوزة جمع فيها اسماء النبي صلى الله عليه وسلم » وله تواليف وتعاليق مفيدة غير هذا

وكان مطرحا للتكلف ، يمشى بثوب واحد وعلى راسه طاقية . قال صاحب نفح الطيب : إنه من الراحلين من الاندلس

شيوخه . سمع من الشيخ أبى العباس أحمد بن عمر القرطبي بعض شرحه « المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم » وحدث عن الحافظ أبى على الحسن بن محمد بن محمد البكرى ، وحدث أيضا عن الحافظ أبى الحسن على بن محمد بن على بن حفص التجيبي وغيرهما وكان مستقر بمنية ابن خصيب ، وتوفى ودفن بها ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة ٦٧١ رحمه الله ورضي عنه

فهرس كتاب التذكار

صحيفة

اخر الفهـرست

التذكار في أفضل الأذكار
القرآن الكريم

لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المفسر المتوفى سنة ٦٧١

خرج أحاديثه وعلق حواشيه

العلامة المحدث السيد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري

نفع الله تعالى به

الطبعة الأولى

بنفقة ناشره محمد أمين الخانجي

سنة ١٣٥٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه الأمام العالم العامل الزاهد الورع الأوحد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الاندلسي ثم القرطبي رضي الله تعالى عنه ونفعنا به في الدارين بمنه وكرمه آمين .

الحمد لله الذي جعل القرآن لنا طريقاً اليه وسبيلا ، وأقامه لنا على معرفته برهاناً واضحاً ودليلا ، وبعث به الينا محمداً نبيه صلى الله عليه وسلم معلماً ومبيناً ورسولا ، وجعله معجزة له ما بقي الدهر سرمداً طويلا ، وحفظه فلم يقدر مبطل ولا معاند أن يحدث فيه تغييراً ولا تبديلا ، صلى الله عليه وعلى آله مدى الدهر بكرة وأصيلا .

وبعد : فلما كان القرآن الذي هو كلام ربنا ، ومعجزة نبينا ، ومنبع العلوم ، ومعدن المعارف والفهوم ، كان على العاقل العالم المؤمن المسلم الدين الموحد قراءته ودراسته ، وتفهمه وتلاوته ، وعلى قدر قراءته وتلاوته وتفهمه يكون عمله وإيمانه وإسلامه وتوحيده وفضله كله ، وإذا كان ذلك كذلك كان قراءة القرآن أفضل الأعمال ، وأسنى المقامات والاحوال وأشرف الأذكار والاقوال . وقد جاء من السنة في ذلك مايدل على ذلك فرأيت أن أكتب في ذلك كتاباً وجيزاً يحتوي على فضل القرآن وقارئه ومستمعه والعامل به وحرمته ، وحرمة القرآن وكيفية تلاوته والبكاء عنده وفضل من قرأه معربا ، وذم من قرأه رياء وعجباً ، إلى غير ذلك مما يضمنه الكتاب ، حسبما هو مبين في أبواب .

وكان المقصد الأول تخريج أربعين حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، لما رواه يحي بن عبد الله بن بكير قال حدثنا مالك بن أنس عن نافع مولى ابن عمر عن ابن عمر رضى الله عنه. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة» قال أبو عمر هذا أحسن إسناد جاء به هذا الحديث ولكنه غير محفوظ ولا يعرف من حديث مالك (١). وقال أبو على بن السكن: وليس يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه ثابت (٢)

---

(١) ومن رواه عن مالك فقد أخطأ عليه واضاف ماليس من روايته اليه هذا تمام كلام ابن عبد البر فى العلم ولم يبين علته ولا سبب ضعفه وعلته انه من رواية يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم العسقلانى وهو كذاب اتهمه الذهبي فى الميزان والحافظ فى لسانه بوضع أحاديث منها حديث الباب وهذا الرجل هو المتهم بوضع تلك الحكاية المشهورة بين متأخرى المالكية ان غاسلة ضربت بيدها على عجيزة امرأة ميتة وقالت ما علمتك إلا زانية أو مأبونة وبعضهم يذكر أنها قالت طالما عصى هذا الفرج ربه فالترقت يدها بفرجها وحار فقهاء المدينة فى أمرها إلى أن أخبر مالك فقال هذه المرأة تطلب الحد فاجتمع الناس فأمر مالك أن تضرب الحد فضربت تسعة وسبعين فلما ضربت تمام الثمانين انتزعت اليد ويزيد بعضهم أن من أجل هذه — الواقعة قيل لا يفتى ومالك بالمدينة والحكاية كما ترى مكذوبة ولو وقع شيء من هذا لنقل مستفيضاً أو متواتراً لأنه مما تتوفر الدواعي على نقله ولوجد خبرها عند أصحابه وألزم الناس له ولهذا لم يذكرها أحد ممن صنف فى مناقب مالك او ترجمه فيما هو موجود بأيدينا من الكتب والله اعلم

(٢) مع كثرة طرقه فقد ورد أيضاً من حديث على وابن عباس وانس وجابر بن سمرة وأبى امامة وابى الدرداء وابى سعيد الخدرى وابى هريرة وابن مسعود ونويرة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن عمرو بن العاص وسلمان وقد بينت علل جميع هذه الطرق مع ذكر من أخرجها فى القسم الثالث من كتاب الالمام بطرق المتواتر من حديثه عليه الصلاة والسلام وأوردتها بالأسانيد المتصلة منى فى مقدمة كتاب الاربعين وقد جمع الحافظ السيوطى جزء في طرق هذا الحديث قبلي الا أنه لم يتكلم على علل الحديث ولا أورد نصف الذى ذكرته من طرقه والحمد لله

قال الشيخ المؤلف رحمه الله تعالى قلت : ولكنه من أجلها بادر طلاب الخير الراغبون فى اكتساب الأجر إلى تخريجها ، فرأيت من سبق من أئمتنا العلماء والسادة الفضلاء رضوان الله عليهم قد خرجوا من ذلك كثيراً فى العبادات وفضل الجهاد وقضاء الحاجات وفضل الصلاة على النبى ﷺ ، إلى غير ذلك من الترغيب والترهيب ، والأحاديث المسلسلات . فاستخرت الله سبحانه فى ذلك وسألته التيسير عليّ فى ذلك فيسر لى تخريج أربعين باباً فى فضل كتابه العزيز وقارئه ومستمعه والعامل به وسميته :

« كتاب التذكار، فى أفضل الأذكار »

وهو سبحانه المسئول أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه بمنه وكرمه ولطفه ، وأن ينفعنى به ووالدي ومن قرأه وسمعه آمين وهذه تسمية أبوابه

الباب الأول : في أن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق

الباب الثاني : فى تنزيل القرآن وأسمائه وترتيب سوره وآيه

الباب الثالث : فى أن القرآن أنزل على سبعة أحرف

الباب الرابع : فى فضل القرآن

الباب الخامس : فى علو القرآن على سائر الكتب المنزلة

الباب السادس : فيما جاء من تفضيل القرآن بعضه على بعض ، ويتصل به الكلام فى تفضيل الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين

الباب السابع : فى أن القرآن أفضل الذكر اذا عمل به

الباب الثامن : فى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية

الباب الاول

﴿ فى أن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق ﴾

قال الله عز وجل : (قرآنا عربيا غير ذى عوج) قال (١) ابن عباس ومالك بن أنس : غير مخلوق . وهذا اجماع . وقد جاء من أخبار (٢)

(١) اثر ابن عباس أخرجه أيضاً البيهقى في الأسماء والصفات من رواية ابى هرون اسماعيل بن محمد الجبرينى ثنا ابو صالح ثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس به والجبرينى ضعيف بل متهم بالكذب ووضع الحديث وشيخه فيه مقال وابن أبى طلحة لم يسمع من ابن عباس وان ذكروا أنه روى التفسير عن مجاهد عنه وأثر مالك لم نقف على اسناده وقد أورده البغوى معلقا بصيغة التمريض وأعرض عنه أكثر المفسرين لضعفه وبعده عن متناول لفظ الآية والمعروف عن مالك انه قال القرآن كلام الله وليس بمخلوق ، وسئل مرة عمن يقول انه مخلوق ، فقال هو عندى كافر فاقتلوه رواهما البيهقى فى الأسماء والصفات وغيره كما أن المعروف عن ابن عباس فى تفسير الاية هو قوله غير مختلف وهو الأقرب الى اللفظ والله أعلم

(٢) لو صحت أسانيدها لامكن أن يقال أنها خارجة عن حد الآحاد على مذهب من يرى التواتر بعشرة فان هـذا المعنى ورد من طريق خمسة عشر صحابيا مع تعدد الاسانيد الى بعضهم لـكن لم يصح منها شىء كما نص عليه جمع من الحفاظ ولهذا كان استدلال المصنف بها موقف استغراب وتردد هل خفى عليه حالها أم كان من رأيه جواز الاستدلال بمثلها وهو بعيد للاتفاق على منع الاستدلال بالحديث الموضوع ولو فيما صح معناه وأجمع على مضمونه كهذه الاخبار اذ لا يلزم من صحة المعنى صحة اللفظ وجواز الاستدلال بالمكذوب وقد شنع الحفاظ على من رأى ذلك من هل الرأى فيما دل عليه القياس الجلى أو جوز الوضع من أصله فى ذلك كما حكاه القرطبى صاحب المفهم ونقله عنه الزركشى فى البحر المحيط والحافظ

الاحاد فى ذلك مايدل على ذلك من ذلك حديث (١) ابن مسعود رواه أبو الاحوص عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق فمن قال غير ذلك فهو كافر بالله » وروى الاوزاعى (٢) عن حسان ابن عطية عن أبي الدرداء قال : قلت يارسول الله القرآن مخلوق ؟ فقال عليه السلام : « القرآن كلام الله غير مخلوق » وروى ابن لهيعة عن قيس الثمالى عن ابى (٣) هريرة قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا

العراقى فى أوسط شروحه علي الفيته وقد نص البيهقى فى الاسماء والصفات علي انه لم يصح شيء من طرق هذا الحديث وان أسانيده مظلمة لاينبغي أن يحتج بشيء منها ولا يستشهد به والمؤلف كثير النقل من هذا الكتاب فلعله لم ير هذا فيه واغترمع ذلك بكثرة الطرق التى رآها فى الابانة لأبى نصر السجزى والسنة لابن شاهين وهما من أكابر الحفاظ وليس يغتر بذلك الا بعيد عن هذا الشأن فان الحفاظ الاقدمين يعتمدون فى روايتهم الأحاديث الموضوعة مع سكوتهم عنها علي ذكرهم الاسانيد لاعتقادهم أنهم متي أوردوا الحديث باسناده فقد برئوا من عهدته وأسندوا أمره الى النظر فى اسناده كما نص عليه الحافظ فى ترجمة الطبرانى من اللسان ومع هذا فقد عاب ذلك عليهم بعض المتأخرين بل منهم من أسرف فضعف من أجل ذلك ولماترجم الذهبى فى الضعفاء لابن منده وأبى نعيم الحافظين الثبتين من أجل كلام كل واحدمنهما فى الاخر قال بعدأن رده ولا أعلم لهما ذنبا أكبر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنهاهذا مع ايرادهما الاحاديث بأسانيدها فى مقام الجمع والرواية فكيف بايرادها معلقة عند الاحتجاج والاستدلال

(١) له طريق آخر من رواية مجالد عن مسروق عنه أخرجه الخطيب في التاريخ جزء أول ص ٣٦٠ ثم قال هذا حديث منكر جدا وفيه مجاهيل وأسنده الذهبى فى الميزان جزء ثالث ص ١٦ من طريق الغيلانيات ثم قال هو موضوع على مجالد

(٢) رواه عن الاوزاعى الوليد بن مسلم وله عن الوليد طرق فى أحدهامنصور ابن ابراهيم القزوينى اتهمه الذهبى والحافظ بوضع هذا الحديث وفى الثانى احمد بن ابراهيم التغلبى وهو مجهول واتهمه به الخطيب في المتفق وفي الثالث عبد الملك ابن عبد ربه الخواص اتهمه الذهبى أيضا بوضعه ثم السند من أصله فيه انقطاع لأن حسان لم يدرك أبا الدرداء كما قال الخطيب

(٣) له طريق آخر من رواية الأعمش عن أبى صالح عنه رواه ابن عدى عن

ونحدثه إذ قام مستوفزا فقال « يا بلال ناد الصلاة جامعة » فنادى بالصلاة فاجتمع المهاجرون والانصار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس إن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق ، منه خرج وإليه يعود » فقيل يارسول الله تخوفت علينا ؟ فقال . « لا ولكن سيأتي بعدي أقوام يزعمون أن القرآن مخلوق وكذبوا يلقون الله كذابين فمن كذب على الله فقد كفر وهو في النار » وروى كهمس (١) بن الحسن أبو الحسن عن الحسن البصرى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : « كل مافى السماوات وما فى الأرض ومابينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن وذلك أنه كلامه منه بدأ وإليه يعود وسيجيء فى آخر الزمان أقوام من أمتي يقولون القرآن مخلوق فمن قال ذلك فقد كفر بالله العظيم وطلقت منه امرأته من ساعته لأنه لا ينبغي لمؤمنة أن تكون تحت كافر إلا أن تكون المرأة سبقته بالقول »

قال المؤلف رضى الله عنه : ذكر هذه الاحاديث باسناده الامام الحافظ. أبو نصر عبيدالله بن سعيد بن حاتم الوايلي السجستاني في كتاب الابانة (٢) له عن

احمد بن محمد بن حرب عن محمد بن حميد وهما كذابان وبهما أعله ابن الجوزى

(١) أخرجه أيضا الخطيب في التاريخ جزء ١٢ ص ١٤٢ من رواية محمد بن يحى بن رزين ثنا عثمان بن عمر بن فارس ثنا كهمس به ثم قال وابن رزين ذاهب الحديث واتهمه به ابن الجوزى ونقل عن ابن حبان أنه قال دجال يضع الحديث

(٢) مشهور بالابانة عن أصول الديانة وبهذا الاسم أورده شيخنا في الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ص ٣٠ ولعل من شهره بذلك الحافظ السيوطي والصحيح فى اسمه ماذكره المؤلف هنا فقد قال الذهبي في ترجمة أبى نصر من تذكرة الحفاظ وهو صاحب الابانة الكبرى فى مسألة القرآن وهو كتاب طويل فى معناه دال على امامة الرجل وبصره بالرجال والطرق اه . والكتاب مشحون بغرائب الاحاديث وعجائب الاخبار التى لاتكاد توجد في غيره كما قال المؤلف وكما يستفاد من عزو الحفاظ اليه

مذهب السلف الصالح فى القرآن وإزالة شبه الزائغين بواضح البرهان وهى عزيزة الوجود قلما توجد فى كتاب ومعرفتها تساوى رحلة وأهل السنة (١) مطبقون على القول بها . قال عبد الله بن المبارك سمعت الناس منذ تسعة وأربعين سنة يقولون من قال إن القرآن مخلوق فامرأته طالق ثلاثا بتة قلت ولم ذلك ؟ قال لأن امرأته مسلمة ، ومسلمة لا تكون تحت كافر . وروى (٢) أبو حفص عمر بن احمد بن شاهين من حديث حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبيد (٣) بن عبد الغفار وكان مولى للنبى ﷺ عتاقة عن النبي ﷺ قال « إذا ذكر القرآن فقولوا كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر » قال أبو حفص هذا قول (٤) أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وهو

---

(١) اطال النقول فى ذلك عنهم البيهقي فى الاسماء والصفات ومن قبله البخارى فى خلق أفعال العباد ثم قال فى ص ٧٧ منه تواترت الاخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان القران كلام الله وان أمره قبل خلقه وبه نطق الكتاب ولم يذكر عن احد من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان خلاف ماوصفنا وهم الذين أدوا الينا الكتاب والسنة ولم يكن بين أحد من اهل العلم فى ذلك اختلاف واسنده عنه البيهقى فى الاسماء والصفات ثم قال ص ١٩٠ وقد روينا نحو هذا عن جماعة آخرين من فقهاء الامصار وعلمائهم ولم يصح عندنا خلاف هذا القول من أحد من الناس فى زمان الصحابة والتابعين

(٢) فى كتاب السنة من مؤلفاته البالغة ثلاثمائة وثلاثين مصنفا منها التفسير الكبير الف جزء والمسند الف وثلاثمائة جزء والتاريخ مائة وخمسون جزءا والزهد مائة جزء والمراد الاجزاء الحديثة فقد أخبر بعض الحفاظ فى المائة السابعة أنه رأى التفسير فى ثلاثين مجلدا

(٣) ذكره الحافظ فى الاصابة باسم عبد الله بن عبد الغافر وأعاده باسم عبيد واورد له حديثا بالاسناد المذكور هنا من رواية على بن محمد المنجورى عن حماد فلعلها نسخة اختلقها بعض الضعفاء فان هذا الرجل لا يعرف الا بهذين الحديثين

(٤) أسند الآثار بذلك عنهم البيهقي فى الاسماء والصفات وبعضها في الاعتقاد له على ماعزاه اليه الحافظ فى الفتح لكن بدون تعرض لنفي الخلق ولا حكم على

قول جماعة الصحابة والتابعين من أهل العلم كابرا عن كابر ، وقرنا بعد قرن وخلفا عن سلف وما نعلم أحدا من الائمة ممن تقدم أو تأخر لاصحابي ولا تابعي ولا فقيه ولا مقرى ولا أحد ممن نسب الى الامامة بالعلم قال بغير هذه المقالة ولا خالف هذه المقالة إلا من (١) عرف بسقوط العدالة والذم له واللعنة

بيان ما أشكل من قوله عليه السلام منه خرج (٢) واليه يعود . قال البيهقي : (٣) قوله منه خرج . فمعناه منه سمع وبتعليمه تعلم وبتفهيمه فهم وقوله واليه يعود ، فمعناه واليه تعود تلاوتنا لكلامه وقيامنا بحقه كما قال

زاعمه بالكفر كما يفهم من عبارة ابن شاهين وما ورد من ذلك عنهم فهو غير صحيح اذ لم يحصل فى زمانهم مايقتضى خوضهم فى ذلك كما قاله ابن عدى في الكامل ونقله عنه البيهقى فى الاسماء والصفات ولا يغتر بتصحيح الحافظ السيوطى لبعضها فى اللالىء المصنوعة فانه ناشىء عن تساهل وعدم تأمل والله اعلم

(١) قال البيهقى أول من خالف الجماعة في ذلك الجعد بن درهم فانكره عليه خالد بن عبد الله القسرى وقتله ثم أسند من طريق قتيبة عن القاسم بن محمد عن عبد الرحمن بن حبيب بن أبى حبيب عن ابيه عن جده قال شهدت خالد بن عبد الله القسرى وقد خطب في يوم اضحى بواسط فقال ارجعوا ايها الناس فضحوا تقبل الله منكم فانى مضح بالجعد بن درهم فانه زعم ان الله تعالى لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما سبحانه وتعالى عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا ثم نزل فذبحه قال قتيبة وكان الجهم يأخذ هذا الكلام من الجعد بن درهم ثم قال البيهقى رواه البخارى في التاريخ عن قتيبة اه قلت وكذا أخرجه في خلق افعال العباد وهو ثالث اثر فيه

(٢) هذا المعنى تقدم فى حديث منكر من رواية ابن لهيعة لكنه جاء فى عدة احاديث من رواية ابى ذر وابى امامة وعلي وعثمان وجبير بن نوفل وغيرهم وصحح الحاكم حديث ابى ذر منها وأخرج الترمذى حديث ابى امامة وسنتكلم عليه اول الباب الرابع

(٣) فى كتاب الاسماء والصفات ص ١٨٤ عقب ماروله عن عمرو بن دينار قال ادركت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه خرج واليه يعود

(اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح) على معنى القبول له والاثابة عليه وقيل معناه هو الذى تكلم به . وهو الذى أمر بما فيه ونهى عما حظر فيه . واليه يعود هو الذي يسألك عما أمرك به ونهاك عنه . وروي ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عن ابى هلال وهو سعيد عن ثابت عن عبدالله بن عمرو (١) قال : لاتقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل . له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب عز وجل مالك ؟ فيقول يارب منك خرجت واليك أعود . أتلى ولا يعمل بى أتلى ولا يعمل بى ذكره الوايلى ابو نصر فى كتاب الابانة وقال هذا الحديث لم نكتبه إلا من هذا الوجه عن ابن لهيعة والله أعلم

وقد ذكر بعض أهل (٢) العلم المتبعين أن الاحاديث (٣) الواردة فى القرآن مما حكى فيه نطق منسوب الي القرآن ، أن المراد به ثواب (٤)

---

(١) كذا وقع هنا موقوفا وعزاه الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير الى الديلمى فى مسندالفردوس من حديثه مرفوعا

(٢) قال الترمذى فى جامعه عقب حديث النواس بن سمعان الذى فيه عن سورة البقرة وآل عمران انهما تأتيان تجادلان عن صاحبهما ما لفظه ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم انه يجيء ثواب قراءته كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبهه من الاحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن وفى هذا الحديث ما يدل على ما فسروا يعنى قوله فيه يؤتى بالقرآن يوم القيامة واهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا قال ففى هذا دلالة على انه يجيء ثواب العمل اه

(٣) وهي كثيرة الا ان مدارها على حديث ابى هريرة وعبد الله بن عمرو وابى امامة — والنواس بن سمعان وبريدة وفيها أسانيد صحيحة وأخرى حسنة وبعضها فى صحيح مسلم

(٤) للحافظ السيوطى رسالة سماها المعانى الدقيقة فى ادراك الحقيقة أثبت فيها ان للمعانى حقايق مجسمة يدركها الخاصة فى الدنيا ويشاركهم العامة فى الاخرى واورد لذلك أدلة كثيرة منها حديث اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالظلة

القرآن . وممن قال ذلك ابو عبيد

تنبيه : قوله عليه السلام « كل مافى السموات ومافى الارض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن » مثل قوله تعالى (لله مافي السموات وما فى الارض) فما فى الآية والحديث بمعنى الذي وهي متناولة لمن يعقل ومالا يعقل من غير تخصيص فيها بوجه . لأن كل من في السموات والارض وما فيهما وما بينهما خلق الله تعالى وملك له ، واذا كان ذلك كذلك يستحيل على الله أن يكون في السماء أو فى الارض ، إذ لو كان فى شيء لكان محصورا أومحدوداً ، ولو كان ذلك لكان محدثا ، وهذا مذهب أهل الحق والتحقيق

وعلى هذه القاعدة قوله تعالى (أأمنتم من فى السماء) وقوله عليه السلام للجارية « أين الله ؟ » قالت فى السماء ولم ينكر عليها (١) وما كان مثله ليس على ظاهره بل هو مؤول تأويلات صحيحة قد أبداها كثير من أهل العلم (٢) فى كتبهم . وقد بسطنا القول فى هذا بكتاب الاسنى فى شرح

وحديث تعلق الرحم بالعرش وقولها صل من وصلنى واقطع من قطعنى وحديث ذبح الموت ومجيء العمل الصالح الى صاحبه فى القبر فى صورة جميلة ونزول خطايا المتوضأ مع الماء واحاديث نطق القران الذى حمله العلماء على ثوابه وغير ذلك مما يطلب من الرسالة المذكورة فقد طال عهدى بقراءتها فارجع اليها فانها نفيسة وغالب ظنى انها مطبوعة

(١) بل قال لصاحبها اعتقها فانها مؤمنة رواه مسلم وابو داود والنسائي وغيرهم

(٢) أى المتأخرون منهم الذين لم يتصوروا ما ثبت من الصفات كالعلو والمعية الا بتشبيه فاضطروا الى التأويل الذى هو فرع التكذيب ليؤمنوا بما فهموه لا بالغيب الذى امتحن الله به عباده وامتدحهم على الايمان به أما من قام بذهنه التفويض ورسخ فى عقيدته التنزيه كالسلف الصالح ومن على طريقتهم فلم يحتج الى تلك الردود والتأويلات التى يأباها الدين المتين وينفر عنها الايمان الصحيح ولا يساعد عليها معقول ولا منقول فالنبي ﷺ يقول الرحمن على عرشه هكذا واشار بيده مثل القبة وقال انه ليئط به اطيط الرحل بالراكب والمؤولون يزعمون مع هذا اللفظ الصريح وامثاله ان الاستواء بمعنى الاستيلاء والقهر والغلبة ومع هذا فقد جاءت النصوص

أسماء الله الحسنى وصفاته العلى عند قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)

﴿فصل﴾ لا خلاف بين الامة ولا بين الأئمة أهل السنة ان القرآن اسم لكلام الله عز وجل الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم معجزة له غابر الدهر وأنه محفوظ فى الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب فى المصاحف معلومة على الاضطرار سوره وآياته مبرءات من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته، فلا يحتاج فى تعريفه بحد، ولا فى حصره بعد، وأنه له نصف وربع. فنصفه من آخر سورة الكهف الى آخر سورة قل أعوذ برب الناس، وربعه من أول سورة ص الى آخر قل أعوذ برب الناس، وله مع ذلك خمس وسبع وتسع وعشر. وفي الكتابة الموجودة فى المصحف، وفى القراءة الموجودة بالالسنة ستة الآف آية ومائتا آية وآية. وفيها من الحروف ثلاثمائة الف حرف وواحد عشر الفا ومائتان وخمسون حرفا وحرف. وكلام الله القديم الذى هو صفته لا نصف له ولا ربع ولا خمس ولا سبع ولا هو ألوف ولا مئون ولا آحاد وانما هو صفة واحدة، لا ينقسم ولا يتجزأ، وهذا مما يدل على أن التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقروء، فان القراءة عند أهل الحق أصوات القراء ونغماتهم، وهى اكتسابهم

بالمعية التى لا تحتمل التأويل كقوله تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون وقول النبي ﷺ لاصحابه وهم فى سفر اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ان الذى تدعونه بينكم وبين اعناق رواحلكم فى كثير من امثال هذه النصوص الصريحة التى يرد المؤولون المعية معها الى العلم المتفقون هم وغيرهم من العقلاء على انه لا يبصر ولا يكون بين الرجل وبين عنق راحلته ولا اقرب اليه من حبل الوريد ونصوص القرآن انما جاءت بالمعية لترفع ماقد توهمه آيات العلو من الجهة كما ان النبي ﷺ لما اخبر بان الله على عرشه رفع مايتوهم منه فقال كما فى الترمذى وغيره ولو دلى احدكم بحبل لهبط على الله فالشحيح بدينه يمر النصوص كما جاءت ويعتقد ان الرحمن على عرشه استوى وانه اقرب الينا من حبل الوريد وانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير

التي يؤمرون بها في حال إيجابا في بعض العبادات ، وندبا في كثير من الاوقات ويزجرون عنها إذا أجنبوا ويثابون عليها ويعاقبون على تركها. وهذا مما اجتمع عليه المسلمون ونطقت به الآثار، ودل عليه المستفيض من الاخبار ولا يتعلق الثواب والعقاب إلا بما هو من اكتساب العباد، ويستحيل ارتباط التكييف والترغيب والتضعيف بصفة أزلية خارجة عن الممكنات وقبيل المقدورات ، والقراءة هي التي تستطاب من قارىء ، وتستبشع من آخر، وهي الملحونة والقويمة والمستقيمة، وتنزه عن كل ما ذكرنا الصفة القديمة ولا يخطر لمن لازم الانصاف أن الأصوات التي يبح بها حلقه وتنتفخ على مستقر العادة بها أوداجه ، وتقع على الايثار والاختيار محرفا وقويما وجهوريا رخيما ، ليس كلام الله تعالى إذ هي مخلوقة مبتدعة والمفهوم منها كلام الله القديم الازلي الذي تدل عليه العبارات وليس منها، وهو غير حال في القارىء ولا موجود فيه.

وسبيل القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو كسبيل الذكر والمذكور فالذكر يرجع الى قول الذاكر ، والرب المذكور المسبح الممجد غير الذكر والتسبيح والتمجيد

قال المؤلف رضي الله عنه [1] هذا ما ذكره في هذا الباب علماؤنا رحمة الله عليهم وقد زدناه بيانا في الكتاب الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى

واختلف هل القرآن مشتق أم لا ؟ فقال الفقيه الامام الشافعي رضي الله عنه : سمى الله تعالى كلامه قرآنا بمثابة اسم علم لا يسوغ اجراؤه على موجب اشتقاق ويجوز أن يقال أيضا سمى كلام الله قرآنا من حيث انه يتلى ويقرأ بأصوات تنتظم وتتوالى وتتعاقب وينصرم المتقضى منها فسمى الكلام القديم قرآنا من حيث

«١» في النسخة القديمة بدل (قال المؤلف) قال مصنفه غفر الله لنا وله وذلك في سائر ما يذكر قال المؤلف من أول النسخة الى آخرها

إنه مقروء ومتلو بما فيه من الاجتماع والتوالى والتعاقب وهو قراءة المقرئين وأصوات التالين . وقال ابن إسحاق صاحب المغازى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه :

الحمد لله ربى لا شريك له ... ذى الحول والقوة المسترزق الباقى
القاهر المنزل القرآن ندرسه ... فيه أحاديث عن موسى وإسحاق
على نبى من الأخيار مؤتمن ... يأتى على كل تنزيل بمصداق
صدقت بالحق منه واستجبت له ... وما ركبت على العمياء أرواقى

وقال أيضاً رضى الله عنه :

فقدنا الوحى إذ وليت عنا ... وودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا ... توارثه القراطيس الكرام
فقد أورثتنا ميراث صدق ... عليك به التحية والسلام

قال المؤلف الصحيح أن القرآن مشتق من قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، ومنه قولهم ماقرأت هذه الناقة سلاقط وماقرأت جنينا أى لم تضم رحمها على ولد قاله الجوهرى وقال أبو عبيدة سمى القرآن قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها . وقال الهروى : سمى به لأنه جمع فيه القصص والأمر والنهى والوعد والوعيد وكل شيء جمعته فقد قرأته وتحذف الهمزة فيقال قريت الماء فى الحوض وقوله تعالى « إنا علينا جمعه وقرآنه » أى قراءته . قال الشاعر :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

أى قراءة ومنه (وقرآن الفجر) أى قراءة الفجر وحكى عن الشافعى رحمه الله تعالى أن القرآن اسم علم لكتاب الله تعالى غير مشتق كما ذكرنا وكذلك التوراة والانجيل والصحيح الاشتقاق فى الجميع والله أعلم .

الباب الثانى

فى تنزيل القرآن وأسمائه وترتيب سوره وآيه

سمى الله سبحانه عز وجل وعلا كتابه العزيز بأسماء عديدة : كتابا . ومتشابها . ونبأ . ومثاني . وقرآنا . وفرقانا . وحقا . ونورا . وسراجا . ومبينا . وبيانا . وبينة . وهدى . وبشرى . وموعظة . وذكرى . ومباركا . وعلما . وحكمة . ورحمة . ونعمة . وشفاء . وكلاما . وكلما . وقيلا . وقولا . وحديثا . وأمرا . وفصلا . وفضلا . ومصدّقا . وصدقا . وتصديقا . ومهيمنا . وصراطا . وحبلا . وشرفا . وآيات . وروحا . وعليا . وبشيرا . ونذيرا . وحكيما . وكريما . وعظيما . ومجيدا . وعزيزا . وتنزيلا . وصحفا مطهرة . وتذكرة

قال المؤلف رضى الله عنه : هذا الذى تحصل لى من أصل أسمائه من الكتاب . وفى حديث ابن مسعود : مأدبة ، نافع ، عصمة ، نجاة ، وسيأتي . وفى حديث ابى شريح الخزاعي : سبب ، وسيأتى . وسمى أيضا توراة ، ذكره القاضى عياض فى كتاب الشفا قال الله تعالى : (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) وقال (تنزيل العزيز الرحيم) وقال (حم والكتاب المبين إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) يريد ليلة القدر كما قال (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وقال الشعبى : المعنى إنا ابتدأنا انزاله الى سماء الدنيا في ليلة القدر وقال (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) فبين سبحانه الزمن الذي أنزل فيه القرآن

واختلف في كيفية أنزاله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا وعلى النبي صلى الله عليه وسلم علي ثلاثة أقوال ، فروى أنه نزل كما جاء فى الاخبار (١) أنه نزل لأربع وعشرين من شهر رمضان ، أى ليلة خمس وعشرين ، وقيل فى تفسيره كان ينزل من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فى كل ليلة قدر ماينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة إلى الليلة التي تليها ، فينزل جبريل ذلك نجوما بأمر الله تعالى فيما بين الليلتين من السنة إلي أن نزل القرآن كله من اللوح المحفوظ فى عشرين ليلة ، وعلى النبى صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة ، وقيل بل نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ، ووضعه فى بيت العزة وأملاه جبريل على السفرة ثم كان جبريل ينزله علي النبي صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما ، وكان بين أوله وآخره ثلاثة وعشرون سنة . قاله (٢) ابن عباس . وحكى الماوردى عن ابن عباس قال : نزل القرآن في شهر رمضان فى ليلة القدر ، وفي ليلة مباركة . ذكر المروزى في كتابه قيام الليل عن جرير بن حازم قال : إنه قرأ فى كتاب من كتب أبى (٣) قلابة : أن التوراة أنزلت ليلة ست من رمضان وأن الزبور أنزل لاثنتى

---

(١) منها حديث مرفوع سيأتي ذكره قريبا فى التعليق

(٢) ورد عنه بالفاظ متعددة واسانيد مختلفة فيها الصحيح والحسن والضعيف وهي عند ابن جرير والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى الاسماء والصفات ومحمد بن نصر فى قيام الليل وغيرهم

(٣) بكسر القاف اسمه عبد الله بن زيد الجرمى بفتح الجيم من ثقات التابعين وحفاظهم ترجمه الذهبى فى التذكرة وفى الرواة أبو قلابة الرقاشى اسمه عبد الملك ابن محمد متأخر من شيوخ ابن ماجه واخر اسمه شيبة القيسى لم يقع حديثه فى الكتب الستة وهو أصغر من الاول وأكبر من الثاني

عشرة ليلة من رمضان بعد التوراة بألف وخمسمائة عام ، وأن الانجيل أنزل ثمان عشرة ليلة من رمضان بعد الزبور بألف عام ، وأن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين (١) بعد الانجيل بثمانمائة عام ، جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين فى السماء الدنيا ، فنجمته السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم عشرين سنة . قال القاضى أبو بكر ابن العربى : هذا باطل ، ليس بين جبريل وبين الله واسطة ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم واسطة . (٢) وقال تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيراً)

---

(١) إلى هنا ورد مرفوعا اخرجه احمد وابن جرير ومحمد بن نصر والبيهقي فى الاسماء والصفات وفى الشعب فى الباب التاسع عشر منه والواحدى فى أول أسباب النزول كلهم من رواية عبدالله بن رجاء عن عمران بن داود القطان عن قتادة عن أبى المليح عن واثلة عن النبى صلي الله عليه وآله وسلم بنحوه لكن بدون ذكر المدة بين نزول كل كتاب وكتاب وفي أوله نزلت صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام أول ليلة من رمضان قال البيهقى خالفه عبيدالله بن أبى حميد وليس بالقوى فرواه عن أبى المليح عن جابر بن عبد الله من قوله قلت كذلك اخرجه أبو يعلي الموصلى فى مسنده ثنا سفيان بن وكيع ثنا أبى عن عبيد الله بن أبى حميد به قال البيهقى ورواه ابراهيم بن طهمان عن قتادة من قوله الا انه قال لاثنتى عشرة وكذلك وجده جرير بن حازم فى كتاب أبى قلابة دون صحف ابراهيم اه والسند الاول رجاله ثقات الا أن عمران القطان فيه كلام من جهة حفظه وقد وثق فالحديث حسن وقد أورده الحافظ فى الفتح من عند أحمد والبيهقى وسكت عنه وهو لا يسكت الا علي صحيح أوحسن كما نص عليه فى المقدمة خصوصا وله طريقان آخران أحدهما مرفوع من حديث أبى ذر اخرجه الثعلبى واورده الزيلعى فى تخريج أحاديث الكشاف والآخر موقوف علي عائشة وله الحكم الرفع اخرجه محمد بن نصر فى القيام الا أن حديث أبى ذر فيه نهشل بن سعيد وهو متروك ولذا علقه البغوى بصيغة التمريض

(٢) عبارته فى الاحكام "ومن جهالة المفسرين أنهم قالوا ان السفرة القته إلى

قال المؤلف رضى الله عنه : فهذه ثلاثة أقوال أشهرها أوسطها ، والأول غريب يستظرف ذكره الحليمي (١) فى كتاب منهاج الدين ، والثالث ضعيف والله أعلم .

واختلف أيضا في كم نزل القرآن من المدة ؟ فقيل فى خمس وعشرين سنة ، وقال ابن عباس : فى ثلاث وعشرين . وقال أنس : في عشرين ، وهذا بحسب الخلاف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال المؤلف رضى الله عنه : وهذه الأقوال الثلاثة ثابتة فى صحيح مسلم . ورأيت لأبى جعفر النحاس فى كتاب معانى القرآن له قولا رابعا : أنه عليه السلام توفى وهو ابن اثنتين وستين سنة . ورأيت أيضا للبيهقى فى كتاب دلائل النبوة أنه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ونصف سنة. ولا خلاف أن مبدأ نزول القرآن ، بمكة وأن منه مكيا ومدنيا ، وأن ترتيب سوره وآيه توقيف . وذكر أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنبارى فى كتاب الرد له على من خالف مصحف عثمان رضى الله عنه : أن الله الذى لا إله إلا هو تبارك وتعالى وتقدس وتنزه عن كل عيب ، أنزل القرآن جملة إلي سماء الدنيا ، ثم فرق على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر يسأل ،

جبريل إلى آخر ماهو مذكور هنا وهذا القول ذكره الماوردى وأخرجه ابن أبى حاتم من رواية الضحاك عن ابن عباس ولم نقف على إسناده حتى نحكم عليه إلا أن الضحاك لم يسمع من ابن عباس وقال ابن حبان فى جميع ماروى نظر انما اشتهر بالتفسير ثم إن الأخبار الصحيحة على خلافه وذلك مما يؤيد ماقال ابن العربى وكأنه لم يقف عليه مسندا إلى ابن عباس

(١) قال الحافظ فى الفتح بعد أن عزاه لمنهاج الحليمي وهذا أورده ابن الانبارى من طريق ضعيفة ومنقطعة أيضا

ويوقف جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، فكله عن محمد خاتم النبيين عن رب العالمين . فمن أخر سورة مقدمة ، أو قدم وأخر فهو كمن أفسد نظم الآيات ، وغير الحروف والكلمات . ولا حجة على أهل الحق فى تقديم البقرة على الأنعام ، والأنعام نزلت قبل البقرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عنه (١) هذا الترتيب وهو كان يقول (٢) « ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن » وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات (٣) حدثنا حسن بن الحباب حدثنا أبو هاشم حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء (٤) قال : آخر ما نزل من القرآن (يستفتونك فى الكلالة) قال أبو بكر بن عياش : وأخطأ أبو اسحاق لان محمد بن السايب حدثنا عن أبي السايب عن ابن عباس (٥) قال : آخر ما نزل من القرآن (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) فقال جبريل للنبي صلي الله عليه وسلم : يا محمد ضعها فى رأس ثمانية ومائتين من البقرة . وذكر ابن وهب فى جامعه

(١) والأحاديث الدالة عليه كثيرة منها قول زيد بن ثابت كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نولف القرآن من الرقاع الحديث فى فضل الشام رواه الحاكم فى التفسير من مستدركه ومنها ماورد فى خواتم البقرة وأوائل الكهف وهما فى صحيح مسلم إلى غير ذلك مما هو فى معناه

(٢) سيذكر المؤلف الحديث الوارد بذلك قريبا من عند النسائى

(٣) قائل حدثنا هو ابن الانبارى لا المؤلف . وفى المغربية أبو هشام بدل هاشم

(٤) اخرجه البخارى آخر تفسير النساء من صحيحه ومسلم فى الفرائض منه

(٥) ورد عنه من رواية جماعة من أصحابه منهم الشعبي عند البخارى فى تفسير البقرة بدون قول جبريل

قال سمعت سليمان بن بلال يقول سمعت ربيعة يسأل لم تقدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة، وإنما نزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قدقدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه وقداجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ينتهى اليه ولا يسأل عنه. وقال مكى رحمه الله: إن ترتيب الآيات والسور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبى صلى الله عليه وسلم ولما لم يؤمر (١) بذلك في أول سورة براءة تركت بلا بسملة. وقال القشيرى أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم: والصحيح أن البسملة لم تكتب فى براءة لأن جبريل غليه السلام مانزل بها فى هذه السورة

قال المؤلف رضى الله عنه: والمعنى في ذلك والله أعلم على ماذكره بعض العلماء، أنه كان من شأن العرب فى زمانها في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد فأرادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا في أوله بسملة، فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين نزلت بغير بسملة، وبعث بها النبى صلى الله عليه وسلم مع على بن أبى طالب رضي الله عنه فقرأها عليهم فى الموسم، ولم يبسمل في ذلك على ماجرت به عاداتهم في نقض العهد من ترك البسملة والله أعلم.

وللعلماء من ترك البسملة فى سورة براءة خمسة أقوال ذكرناها في كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان وذكرناها أيضافي كتاب الانتهاز فى قراء أهل الكوفة والبصرة والشام وأهل الحجاز نذكر منهاهنا قولين، أحدهما ماذكرناه، والآخر أن ذلك كان عن اجتهاد من عثمان كما ذكره النسائي في كتابه (٢) باسناده عن يزيد

(١) فى المغربية لم يأمر بذلك

(٢) وكذا أحمد والترمذى والحاكم فى المستدرك كلاهما فى تفسير سورة التوبة

الرقاشي (١) . قال قال لنا ابن عباس : قلت لعثمان ماحملكم الى أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة من المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتموها في السبع الطوال . فما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول « ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا » وكانت الانفال من أوائل مانزل ، وبراءة من أواخر مانزل من القرآن ، وكانت قصتها شبيها بقصتها ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فظننت أنها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم . قال علماؤنا : وفى قول عثمان وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا ، أنها منها دليل على أن السور كلها انتظمت بقوله وتبيينه ، وأن براءة وحدها ضمت إلى الأنفال من غير عهد من النبي صلى الله عليه وسلم لما عاجله من الحمام قبل تبيينه ذلك ، وكانتا تدعى القرينتين ، فوجب أن تجمعا وتضم إحداهما إلى الأخرى للوصف الذى لزمهما من الاقتران والله أعلم .

الباب الثالث

في أن القرآن أنزل على سبعة أحرف

ثبت ذلك فى صحيح مسلم وغيره من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حسبما ذكرناه فى كتاب مجامع أحكام

(١) كذا فى المغربية وفى الأصل . الرؤاسى

القرآن ، وثبت فى الأمهات الموطأ والصحيحين وأبى داود والنسائي وغيرها من المصنفات والمسندات قصة عمر مع هشام بن حكيم ، وفيه أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (١) فاقرأوا ماتيسر منه ، واختلف العلماء فى المراد بالسبعة الأحرف على أقوال عديدة جماعها خمسة وثلاثون قولا (٢) ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان (٣) البستى ، ذكرنا منها فى مقدمة جامع أحكام القرآن خمسة أقوال ، وتلك أمهاتها وإليها يرجع جلها ، نذكر منها هاهنا قولا واحداً وهو أحسنها إن شاء الله تعالى ، وهو الذى عليه أكثر أهل العلم كسفيان بن عيينة وعبدالله بن وهب والطبرى والطحاوى وغيرهم : إن المراد سبعة أوجه من المعانى المتقاربة بالفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وهلم . قال الطحاوى : وأبين ماذكر فى ذلك حديث أبى بكرة . قال : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ على حرف . فقال ميكائيل استزده ، فقال اقرأ على حرفين ، فقال ميكائيل استزده ، حتى بلغ الي سبعة احرف . فقال اقرأ فكل شاف كاف . إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة على نحو هلم ، وتعال ، وأقبل ،

---

(١) للحافظ ابن الجزرى جزء جمع فيه طرق هذا الحديث فأوصلها إلى نحو عشرين وأوصلها غيره إلى ثلاثين ومن أجلها نص جمع من الحفاظ كأبى عبيد والحاكم على تواتره

(٢) نقل الحافظ عن المنذرى أنه قال أكثرها غير مختار

(٣) ذكر الحافظ فى الفتح انه تتبع مظانها من صحيح ابن حبان فلم يقف عليها فيه وقد راجعت ترتيبه لابن بلبان فلم أجدها فيه أيضا فلعله ذكرها فى غير الصحيح كما أوصل سنن الصلاة إلى ستمائة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى كتاب مخصوص

واذهب، واسرع، وعجل (١) . وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ (للذين آمنوا أنظرونا) (للذين آمنوا أمهلونا) (للذين آمنوا أخرونا) (للذين آمنوا أرقبونا) وبهذا الاسناد عن بي أنه كان يقرأ (كلما أضاء لهم مشوا فيه، مروا فيه، سعوا فيه) وفي البخاري ومسلم قال الزهري : إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد لا تختلف في حلال ولا في حرام . قال الطحاوي : إنما كانت السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم ، فلما كان يشق على كل ذى لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات ولو رام ذلك ؛ لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة ، وسع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعني متفقا فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم الى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرؤا بذلك على تحفظ ألفاظه ، فلم يسعهم حينئذ أن يقرؤا بخلافها . قال أبو عمر بن عبد البر : (٢) فبان بهذا أن تلك السبعة الاحرف إنما كان في وقت خاص لضرورة دعت الى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد مايقرأ به القرآن الى حرف واحد .

قال المؤلف رضى الله عنه : ونحو هذا ذكره القاضى أبو بكر ابن الطيب وأن ذلك كان مطلقا ، ثم نسخ فلا يجوز للناس أن يبدلوا أسماء الله

---

(١) رواه أحمد والطحاوى فى المشكل ص ١٩١ ج ٤ كلاهما من رواية حماد ابن سلمة عن على بن زيد عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه وعلى بن زيد فيه مقال من جهة حفظه لكنه توبع كما قال الحافظ نور الدين فى الزوائد

(٢) هو بقية كلام الطحاوى فلعل المؤلف نقله بواسطة ابن عبد البر فظن انه من كلامه راجع ص ١٩٠ ج ٤ من المشكل

تعالى في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالف ، وقد قيل إن المراد بالسبعة الأحرف قراءة القراء السبعة التي يقرأ بها وهو قول باطل (١) بما ثبت من الاجماع على جواز القراءة بها ، وقد بينا بطلانه بما نشأ من الاختلاف في القراءة بين الناس قبل جمع عثمان المصحف فى مقدمة جامع أحكام القرآن

الباب الرابع

(فى فضل القرآن وأن عند قراءته تفتح أبواب السماء)

قال العلماء : من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين غير مخلوق ، كلام من ليس كمثله شيء ، وصفة من ليس له شبيه ولا ند ، ولولا أنه سبحانه جعل فى قلوب عباده من القوة على حمله ماجعله ليتدبروه وليعتبروه ، وليتذكروا

(١) أطال ابن الجزرى إيراد الدلايل على بطلان هذا القول من بعدد القراءات حتى حكى عن أبى القاسم عيسى بن عبد العزيز الاسكندرى أنه جمع فى كتابه الجامع الاكبر والبحر الأزخر سبعة آلاف رواية وطريق ثم قال ابن الجزرى وانما أطلنا هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لاعلم له ان القراءات الصحيحة هي التى فى الشاطبية والتيسير وأنها هى المشار اليها بقوله صلى الله عليه وآله وسلم «أنزل القرآن على سبعة أحرف» حتى إن بعضهم يطلق على مالم يكن فى هذين الكتابين أنه شاذ وكثير منهم يطلق على مالم يكن عن هؤلاء السبعة شاذا وربما كان كثير مما لم يكن فى الشاطبية والتيسير وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيها وانما أوقع هؤلاء فى الشبهة كونهم سمعوا أنزل القرآن على سبعة أحرف وسمعوا قراءة السبعة فظنوا أن هذه السبعة هي تلك المشار اليها ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء وخطؤوه فى ذلك وقالوا ألا اقتصر على دون هذا العدد أو زاده أو بين مراده ليخلص من لاعلم له من هذه الشبهة وأطال الكلام فى هذا من ص ٥١ ج ١ الى ص ٦٣ منه

مافيه من طاعته وعبادته واداء حقوقه وفرائضه لضعفت ولاندكت بثقله أو لتضعضعت له وأبى تطيقه وهو يقول تعالى جده وقوله الحق (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله) فأين قوة القلوب من قوة الجبال؟ ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله ماشاء أن يرزقهم فضلا منه ورحمة. الترمذى عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ماأذن الله لعبد فى شيء أفضل من ركعتين يصليهما وان البر ليذر على رأس العبد مادام فى صلاته، وماتقرب العبد الى الله بمثل ماخرج منه» قال أبو النضر: يعنى القرآن. قال حديث حسن غريب (١). وروي

(١) هكذا نقل المنذرى أيضاً عن الترمذى مع انه صدره بصيغة التمريض والذى فى نسختنا أنه قال غريب لانعرفه الا من هذا الوجه وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركه فى آخر أمره اه وليست علته بكر بن خنيس كما يقول الترمذى لانه توبع بل علته ليث بن أبى سليم وهو وان كان صدوقا الا أنه اختلط وكان سيء الحفظ وقد ظهر سوء حفظه فى هذا الحديث باضطرابه فيه فرواه أحمد فى المسند والترمذى عن أحمد بن منيع والخطيب فى ترجمة بكر بن خنيس من طريق أحمد بن الخليل البرجلانى وفى ترجمة عمرو بن معمر العمركى من طريقه أربعتهم عن أبى النضر ثنا بكر بن خنيس وتصحف فى ترجمة عمرو من الخطيب بجبير عن ليث عن زيد بن أرطاة عن أبى أمامة به وهذا السند فيه انقطاع لان ابن أرطاة لم يسمع من أبى أمامة وأخرجه ابن منده من طريق أبى بكر بن عياش عن ليث فقال عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نوفل وعد من أجل هذا صحابيا قال ابن منده ورواه العلاء بن الحارث عن ليث فقال عن زيد عن جبير بن نفير مرسلا قلت ورواية العلاء أخرجها الترمذى فى رواية أبي حامد الناجى. لكن وقع فيه عن العلاء عن زيد ليس بينهما ليث فهذا يبرى ليثا من الاضطراب ويثبته من زيد ويؤيده أنى وجدت فيه اختلافا آخر عن زيد من غير طريق ليث فقد أخرجه الحاكم من الطريق التى منها أخرجه الترمذى فقال عن أبى ذر الغفارى وصححه الحاكم وأقره الذهبي وهو ممن يحكم على الأحاديث بحسب الاسناد الذى أمامه غير ناظر إلى مالها من علل توجب ضعفها ولا متابعات تقوى أمرها فقد نقل المناوى عنه أنه وهى حديث أبى أمامة مع أن مخرج الحديثين واحد والظاهر أن الحديث رواه أبو ذر

مرسلا . وروى أبو محمد الدارمي السمرقندي وأبو داود (١) الطيالسي في مسنديهما وأبو بكر الانباري في كتاب الرد له عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : «ستكون فتن كقطع الليل المظلم» قلت يارسول الله وما المخرج منها ؟ قال «كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم ، وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن اتبع الهدى من غيره أضله الله فهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا تمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا) من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدي إلى صراط مستقيم خذها اليك ياأعور » لفظ الدارمي وخرجه أبو عيسى الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث حمزة الزيات (٢) وإسناده مجهول . وفي حديث الحارث

وأبو أمامة معاوسمعه منهما جبير بن نفير ثم رواه عنه زيد كذلك فجعل مرة يوصله عن أبي أمامة ومرة عن ابي ذر ومرة يرسله عن جبير بن نفير وأما من قال ابن نوفل فالغالب أنه تصحف عليه وهذا الجمع متعين والا فالحديث مضطرب مالم يفزع الى الترجيح

(١) ليس هو في مسند الطيالسي وتسمية سنن الدارمي مسندا لايخفى مافيه

(٢) كلا لم ينفرد به حمزة بل تابعه ابن اسحق عند احمد ص ٩١ ج ١ من روايته عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث به وتابعه محمد بن سلمة عن أبي سنان الشيباني عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن الحارث به عند الدارمي فاندفع تفرد حمزة به كما ارتفعت جهالة اسناده التي يريد بها أبا المختار الطائي او ابن اخي الحارث ورجال الدارمي ثقات بل من رجال الصحيح فلم يبق محل نظر الا الحارث وهو ثقة

مقال وأسند أبو بكر بن الانبارى عن عبد الله بن مسعود (١) قال قال رسول

صدوق وثقه ابن معين وقال النسائى لا بأس به واحتج به مع تعنته فى الرجال حتى قيل إنه اشد تعنتا من ابن معين واثنى عليه جماعة من التابعين وقال الذهبي إنه من أوعية العلم وليس له ذنب عند من تكلم فيه إلا موالاته لاهل البيت كما تكلموا فى غيره من الثقات لأجل هذا المعنى مع أنهم قرروا أن العقيدة لا أثر لها فى الجرح والتعديل لو أطلقنا على موالاة أهل البيت اسم العقيدة المشعر بمخالفة ما عليه الجماعة ولا تغتر بحكاية النووى الاتفاق علي ضعفه فانه يكثر من حكاية مثل هذا الاتفاق الذى لا اصل له وقد اثنى على الحارث وبرأ ساحته من الكذب جماعة من المتأخرين كالذهبي وابن كثير والحافظ وغيرهم حتى قال ابن عبد البر أظن الشعبي عوقب بقوله فى الحارث إنه كذاب وابان الذهبي أنه لم يقصد تكذيبه فى الحديث لأنه روى عنه مع ذلك فالحديث عن على صلوات الله عليه صحيح لا شك فيه إلا ان فى النفس شيئاً من جهة رفعه بهذا السياق فلعل بعض الرواة وهم فيه وقد قال الحافظ ابن كثير بعد دفاعه عن الحارث: وقصارى أمره أن يكون من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وقد وهم بعضهم فى رفعه وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روى له شاهد مرفوع من حديث عبد الله بن مسعود اه يريد الحديث الذى ذكره المؤلف بعد هذا والعلم عند الله تعالى .

(١) رواه أبو عبيد فى فضائل القرآن عن عمار بن محمد الثورى او غيره ومحمد بن نصر فى القيام من رواية ابى معاوية والحاكم فى المستدرك من رواية صالح بن عمرو وابن حبان من رواية محمد بن فضيل وابن الأجلح خمستهم عن ابراهيم الهجرى عن أبى الاحوص عن عبد الله وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه بصالح بن عمرو وهذا منه غريب فان صالحا ثقة من رجال مسلم والذى لم يخرجا له هو الهجرى فانه ضعيف لينه أبو حاتم وقال الازدى رفاع كثير الوهم قال ابن كثير فيحتمل ان يكون وهم فى رفع هذا الحديث وإنما هو من كلام ابن مسعود ولكن له شاهد من وجه آخر اه قلت ويؤيد وقفه وروده كذلك من طريق رجالها رجال الصحيح عند الطبرانى ، بل الهجرى نفسه حدث به موقوفا ولم يرفعه كذلك أخرجه الدارمى عن جعفر بن عون عنه ولا أدرى هل الشاهد الذى يقصده ابن كثير من حديث ابن مسعود نفسه على رأى بعض أهل الحديث فى الشاهد أو من حديث غيره على الاصطلاح المشهور فان كان الثانى فقد تقدم نحوه من حديث على عليه السلام وإن كان الأول فالغالب أنه ببعض هذا اللفظ لا بتمام السياق كما أخرجه الترمذى والحاكم والخطيب

الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن هو حبل الله المتين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ؟ ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن رد فاتلوه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ، وألف ولام وميم ثلاثون حسنة . ولا ألفين أحدكم واضعا احدى رجليه على الأخرى يدع أن يقرأ سورة البقرة فان الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة وان أصفر البيوت لجوف أصفر من كتاب الله » قال أبو عبيد القاسم بن سلام فى غريبه عن عبد الله (١) قال : إن القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن » قال وتأويل الحديث انه مثل شبه القرآن بصنيع صنعه الله عز وجل للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم اليه . يقال مأدبة ومأدبة فمن قال مأدبة أراد الصنيع يصنعه الانسان فيدعو اليه الناس ومن قال مأدبة فانه يذهب به إلى الأدب يجعله مفعلة ويحتج بحديثه (٢) الآخر « إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته » وكان الاحمر يجعلهما لغتين بمعنى واحد ولم أسمع أحدا يقول هذا غيره . والتفسير الأول أعجب إلي ، وروى سفيان عن ليث . قال : تفتح أبواب السماء لخمسة ، نزول

فى التاريخ ص ٢٨٦ ج ١ والدارمى وغيرهم وقد اختلف أيضاً فى رفع ذلك ووقفه كما أشار اليه الترمذى فى البعض وأورده الحاكم من الطريقين وهذا التعليق لا يتسع لبسط ذلك

(١) أخرجه الدارمي من رواية عبد الملك بن ميسرة عن أبى الاحوص عنه

(٢) وأصرح منه مارواه الدارمي من طريق مسعر عن معن بن عبد الرحمن عن ابن مسعود قال : مامن مؤدب الا وهو يحب أن يؤتى آدبه وإن أدب الله القرآن

الغيث ، وقراءة القرآن ، ولقاء الزحف ، والأذان ، والدعاء (١)

الباب الخامس

(في علو القرآن على سائر الكتب المنزلة)

قال الله تعالى (وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) وقال (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) قال علماؤنا : أى عال عليه، وعلوه على سائر كتب الله تعالى وان كان الكل كلام الله تعالى بأمور، أحدها بما زاد عليها من السور ، فقد جاء فى الحديث الصحيح أن نبينا صلى الله عليه وسلم خص بسورة الحمد ، وخواتيم سورة البقرة على ما يأتى . وفى مسند الدارمي عن عبد الله (٢) قال : ان السبع الطوال مثل التوراة ، والمئين مثل الانجيل ، والمثانى مثل الزبور ، وسائر القرآن بعد فضل ، والأمر الثانى أن جعله الله قرآنا عربيا مبينا ، وكل نبى قد بين لقومه بلسانهم كما اخبر الله عز وجل ولكن للسان العرب مزية فى البيان ، والثالث أن جعل نطقه وأسلوبه معجزاً وان كان الاعجاز فى سائر كتب الله سبحانه من حيث الاخبار عن المغيبات والاعلام بالأحكام المبينات وسنن الله المشروعات وغير ذلك وليس فيها نظم وأسلوب خارج عن المعهود فكان

(١) ورد نحو هذا فى عدة اخبار فيها المرفوع والموقوف والمقطوع أورد بعضها الحافظ السيوطى فى سهام الاصابة فى الدعوات المستجابة وهى رسالة مطبوعة

(٢) ورد نحوه مرفوعا من حديث واثلة وأبى أمامة وغيرهما والموقوف رجاله رجال الصحيح

أعلى منها بهذه المعانى وأمثالها ، ولهذا المعنى الاشارة بقوله الحق :(وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم) وقد قال تعالي (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) أي بأنفع لكم أيها الناس فى عاجل إن كانت الناسخة أحق ،أوفى آجل إن كانت أثقل، أو بمثلها ان كانت مستوية فيكون علوه راجعاً الى الزيادة في التصديق والبيان . وكونه معجزاً يصدق من جاء به ويصدق ماقبله من الكتب والرسل مع انه ناسخ لها وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان فى الباب بعد هذا ان شاء الله تعالى

الباب السادس

(فيما جاء من تفضيل القرآن بعضه على بعض)

اختلف أهل الحق في تفضيل بعض السور على بعض والآى . وتفضيل أسماء الله تعالى بعضها على بعض . وقوله تعالى (ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أومثلها) يثبت جواز كل واحد من القولين . فقال قوم : لافضل لبعض على بعض لأن الكل كلام الله عز وجل ، وكذلك أسماؤه لامفاضلة بينها . ذهب الى هذا الشيخ أبو الحسن الأشعرى والقاضى أبو بكر ابن الطيب وأبو حاتم محمد بن حبان البستى وجماعة من الفقهاء . وروي معناه عن مالك . قال يحي بن يحـي : تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ ولذلك كره مالك أن تعاد سورة أوتردد دون غيرها . وقال عن مالك في قول الله عز وجل (نأت بخير منها أو مثلها) قال محكمة مكان منسوخة ، وروى ابن كنانة مثل ذلك كله عن مالك واحتج هؤلاء بأن

قالوا : إن الأفضل يشعر بنقص المفضول ، والذاتية فى الكل واحدة وهى كلام الله ، وكلام الله تعالي لا نقص فيه . قال البستى : ومعنى قوله عليه السلام « ما فى التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن » إن الله تعالى لا يعطى لقارئ التوراة والانجيل من الثواب مثل مايعطي لقارىء أم القرآن إذ الله بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم وأعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطي غيرها من الفضل على قراءة كلامه وهو فضل منه لهذه الأمة . قال ومعنى قوله لابى سعيد بن المعلى « لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال الحمد لله رب العالمين » الحديث ، وسيأتي أنه أراد به فى الأجر لا أن بعض القرآن أفضل من بعض ، وقول قوم بالتفضيل وأن ماتضمنه قوله تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وآية الكرسي وآخر سورة الحشر وسورة الاخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ، ليس مثلا موجوداً فى (تبت يدا أبى لهب) وكذلك ليس مدلول (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) كمدلول (ومن البقر اثنين ومن المعز اثنين) ولا مدلول (ويجعلون لله البنات) وما كان مثلهما فالتفضيل إنما هو بالمعانى العجيبة وكثرتها لا من حيث الصفة كما قلناه فى الباب قبل ، وهذا هو الحق ، وإن كان قد تقدم بأن لقارىء القرآن بكل حرف عشر حسنات لكن إن حصل التساوي فى دخول الجنان فالتفاوت متحقق فى الدرجات لتفاوتهم فى المعارف والفهومات

وممن قال بالتفضيل اسحاق بن راهويه وغيره من العلماء والمتكلمين وهو اختيار الحليمي والقاضي أبي بكر بن العربى وابن الحصار وغيرهم

لحديث أبي سعيد بن المعلى خرجه البخاري . قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه ، فقلت يارسول الله إني كنت أصلي فقال : « ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم » ثم قال « لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد » ثم أخذ بيدى فلما أراد أن يخرج قلت له ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن ؟ قال « الحمد لله رب العالمين وهى السبع المثاني والقرآن العظيم الذى أوتيته » وحديث أبي بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثاني وهي مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل » خرجه الترمذى وهو في الموطأ مرسل وقد رواه يزيد بن زريع قال حدثنا روح ابن القاسم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى وهو يصلى الحديث ، بمعناه ، وخرجه الترمذي قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء وقال هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب (١) عن أنس بن مالك وفي البخارى ومسلم عن أبى بن كعب أنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياأبى أي آية معك في كتاب الله تعالى أعظم » قال قلت الله ورسوله أعلم ، فقال « ياأبى أى آية معك في كتاب الله أعظم » قال قلت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) قال فضرب فى صدرى وقال « ليهنك العلم ياأبا المنذر» قال ابن الحصار: عجبي ممن يذكر الاختلاف مع

(١) رواه ابن حبان والحاكم من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عنه فى قصة اخرى وصححه الحاكم علي شرط مسلم

هذه النصوص . وقال ابن العربي : قوله ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثلها وسكت عن سائر الكتب كالصحف المنزلة والزبور وغيرها لأن هذه المذكورة أفضلها وإذا كان الشيء أفضل الافضل كان أفضل الكل كقولك زيد أفضل العلماء فهو أفضل الناس ، وفى الفاتحة من الصفات ماليس لغيرها حتى أن قيل جميع القرآن فيها ، وهى خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن ، ومن شرفها أن الله قسمها بينه وبين عبده ولا تصح القربة إلا بها ، ولا يلحق عمل بثوابها ، وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم كما صارت ، قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن إذ القرآن توحيد وأحكام ووعظ ، وقل هو الله أحد فيها التوحيد كله وبهذا المعني وقع البيان في قوله عليه السلام «أى آية فى القرآن أعظم ؟ » قال (الله لا إله الا هو الحي القيوم) وإنما كانت أعظم آية لانها توحيد كلها كما صارت فى قوله (١) عليه السلام «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له» أفضل الذكر لانها كلمات حوت جميع العلوم فى التوحيد والفاتحة تضمنت التوحيد والعبادة والتذكير ولا يستبعد ذلك فى قدرة الله تعالى وقال الحليمى : وقد يقال سورة خير من سورة ، وآية خير من آية بمعنى أن القارىء يتعجل له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل وهو الاحتراز مما يخشى ، والاعتصام بالله تعالى مما يكره وذلك كقراءة آية الكرسي وسورة الاخلاص والمعوذتين وخاتمة سورة البقرة

(١) أوله افضل الدعاء دعاء يوم عرفة أخرجه مالك أو اخر الحج من مرسل طلحة بن عبيد الله بن كريز وأوصله الترمذى أو اخر الدعوات من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ خير الدعاء وفى سنده مقال وله طرق أخرى أشار إلى بعضها ابن رجب فى اللطائف واستقصاها الحافظ فيما أملاه علي الاذكار فى باب صلاة العيدين

ونحو ذلك مما جاء فيه التحرز من المكاره

وقد يقال ان الناسخة خير ، أى العمل بها خير بالناس وأعود عليهم وعلى هذا يقال آيات الأمر والنهى والوعد والوعيد خير من آيات القصص لأن القصص إنما أريد به تأكيد الأمر والنهى والانذار والتبشير ، ولا غنى بالناس عن هذه الأمور ، وقد يستغنون عن القصص . فكان ماهو أعود عليهم وأنفع لهم مما يجرى مجرى الأصل خيرا لهم مما يجعل تبعا لما بد منه

قال المؤلف رضى الله عنه : وإذا تقرر القول بالتفضيل على الصحيح من القولين ، فكذلك القول في تفضيل الأنبياء عليهم السلام . قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) وقال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) فكذلك منهم رسل وأولوا عزم ، ومنهم من اتخذ خليلا وكلم تكليما ، ورفع بعضهم درجات كما أخبر وذلك بزيادة الأحوال والخصوص والكرامات ، والالطاف المتواليات والمعجزات المتباينات

وأما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل اذ هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها وانما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها ، وهذا القول أحسن ماقيل في هذا والله أعلم وأنه جمع بين الآى والأحاديث من غير نسخ على ماقررناه فى كتاب جامع أحكام القرآن من سورة البقرة ، والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما منح من الفضائل ، وأعطي من الوسائل . وقد أشار ابن عباس الي هذا فقال : إن الله تعالى فضل محمدا على الأنبياء وعلى أهل السماء فقالوا يا ابن عباس بم فضله على أهل السماء قال : إن الله تعالي قال (ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) وقال لمحمد صلي الله عليه وسلم (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك

وماتأخر) قالوا فما فضله على الأنبياء ؟ قال قال الله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم (وماأرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) فأرسله الى الجن والانس ، ذكره الدارمى أبو محمد فى مسنده ، والقاضى عياض فى كتاب الشفاء له

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : خير بنى آدم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم أولوا العزم من الرسل ، وهذا نص من ابن عباس وأبى هريرة فى التعيين ، ومعلوم أن من أرسل أفضل ممن لم يرسل ، فان من أرسل فضل غيره بالرسالة واستووا فى النبوة ، الى مايلقاه الرسل من تكذيب أممهم وقتلهم إياهم وإخراجهم من ديارهم . وقال ابن عباس رضى الله عنه والشعبى ومجاهد في قوله تعالى (ورفع بعضهم درجات) : هو محمد صلي الله عليه وسلم . قال صلى الله عليه وسلم (١) « بعثت الى الأحمر والاسود ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لى الغنائم وأعطيت الشفاعة »

ومن ذلك القرآن العظيم الذى أعجز الأولين والآخرين ، فلم يقدروا على أن يأتوا بمثله وبقى معجزة غابر الدهر بخلاف معجزات الانبياء عليهم السلام فانها انقرضت بانقراضهم

---

(١) أوله أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى وهو فى الصحيحين من حديث جابر بدون ذكر الأحمر والاسود بل وقع هذا اللفظ فى حديث غيره فقد ورد من طريق جماعة سمى الحافظ السيوطى منهم عشرة فى الازهار المتناثرة فى الاحاديث المتواترة وكذا فى الباب الثالث من تخريج أحاديث الشفا ويفهم من صنيعه فى الأخير أن اللفظ المذكور هنا لم يقع إلا فى حديث أبى ذر وليس كذلك بل وقع فى رواية غيره كما بينته فى الالمام

ومنها انشقاق القمر ، وتكليمه الشجر ، وإطعامه الخلق العظيم من تميرات ، و درور شاة أم معبد بعد جفاف ، ونبع الماء من بين أصابعه ، إلى غير ذلك ، من المعجزات التي لم يعطها نبي ولم يسمع بنبي نبع الماء من بين أصابعه الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم هو أعظم الناس أمة وختم به النبيون . وذكر البيهقى فى حديث الاسراء (١) عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الأقصى) الحديث وفيه قال « ثم أتي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم ، قال فقال ابراهيم عليه السلام : الحمدلله الذى اتخذني خليلا ، وأعطانى ملكا عظيما ، وجعلنى أمة قانتا يؤتم بى ، وأنقذنى من النار وجعلها على برداً وسلاما . قال ثم إن موسى عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذى كلمنى تكليما ، واصطفانى بكلماته ورسالته وقربنى اليه نجياً ، وأنزل على التوراة وجعل هلاك آل فرعون علي يدي ، ونجي بني اسرائيل على يدي . قال ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي خولنى ملكا عظيما ، وأنزل على الزبور وألان لى الحديد ، وسخر لى الطير والجبال وآتانى الحكمة وفصل الخطاب . ثم إن سليمان أثنى علي ربه فقال : الحمد الذي سخر لى الرياح والجن والانس وسخر لى الشياطين يعملون ما نشاء من محاريب وتماثيل الى آخر الآية ، وعلمني منطق الطير وكل شيء ، وأسال

(١) رواه عن الربيع أبو جعفر الرازى ثم رواه عنه جماعة اسنده من طريقهم ابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقي وغيرهم وابو جعفر اسمه عيسى بن ماهان وهو ثقة سيء الحفظ وفى حديثه هذا طول وغرابة استنكره من أجلها بعض الحفاظ وقال لعله مجموع من عدة أحاديث

ألى عين القطر، وأعطانى ملـكا لاينبغى لأحدمن بعدى . ثم ان عيسي عليه السلام أثنى علي ربه فقال : الحمد لله الذى علمني التوراة والانجيل ، وجعلنى برىء الا كمه والابرص وأحيى الموتي بأذنه ، ورفعني وطهرنى من الذين كفروا، وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل ثم إن محمداً صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه عزوجل فقال : كلـكم قد أثنى على ربه وإنى مثن على ربى فقال : الحمـد لله الذى أرسلنى رحمة للعـالمين ، وكافة للناس بشيرا و نذيرا وأنزل على القرآن فيـه تبيان كل شيء وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي وسطا وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدرى ووضع عني وزري ورفع لى ذكرى وجعلني فاتحا وخاتما . فقال ابراهيم عليـه السلام : بهذا فضلـكم محمد » وروي الترمذى من حديث (١) أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولافخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر ومامن نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الارض ولافخر » وذكر الحديث

الباب السابع

(في أن القرآن أفضل الذكر اذا عمل به)

قال سفيان الثورى رضي الله عنه : سمعنا أن قراءة القرآن أفضل الذكر

---

(١) ورد من طريق تسعة آخرين من الصحابة ذكر احاديثهم الزيلعى فى سورة يوسف من تخريج أحاديث الـكشاف وأوردتها بأسانيدها فى الالمام وحديث الباب أخرجه الترمذى اخر تفسير بنى إسرائيل وقال حديث حسن

اذا عمل به . قال الترمذى الحكيم محمد بن علي : وجاد ماغاص قائل هذا القول لأن الذكر هو شيء يبتدعه العبد من تلقاء نفسه من علمه بربه والقرآن هو شيء قد تكلم به الرب تبارك وتعالى فآذا تلاه العبد فانما يتكلم بشيء قد كان عند الرب سبحانه وتعالى ولم يخلق منذ نزل إلى العباد ولا يخلق ولا يتدنس فهو على طراوته وطيبه وطهارته وله كسوة والذكر الذى يذكره العبد مبتدعا من عند نفسه لا كسوة له . وأيضا هو الذى يؤلفه العبد وليس تأليف الله تعالى كتأليف العبد

قال المؤلف رضي الله عنه : وإنما كان القرآن أفضل الذكر والله أعلم لأنه مشتمل على جميع الذكر من تهليل وتذكير وتحميد وتسبيح وتمجيد وعلى الخوف والرجاء والدعاء والسؤال والأمر بالتفكر فى آياته والاعتبار بمصنوعاته إلى غير ذلك مماشرح فيه من واجبات الاحكام ، وفرق فيه بين الحلال والحرام ، ونص فيه من غيب الاخبار ، وكرر فيه من ضرب الامثال والقصص والمواعظ للافهام حسب ماقال وقوله الحق (مافرطنا في الكتاب من شيء) فمن وقف على ذلك وتدبره فقد حصل أفضل العبادات ، وأسنى الاعمال والقربات ولم يبق عليه مايطالب به بعد ذلك من شيء . وقد روي الترمذي (١) فى جامعه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الرب تبارك وتعالي من شغله قراءة القرآن عن مسئلتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين ، قال وفضل كلام الله تعالي على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » قال هذا حديث حسن غريب وهذا نص في الباب لايحتمل التأويل ، وهو يفسر قوله تعالي فى

(١) آخر أبواب فضائل القرآن وقال حسن غريب

الحديث (١) الآخر «من شغله ذكرى عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه من قرأ القرآن واشتغل به عن الدعاء أعطاه الله تعالى أفضل سؤال سأله أحد من خلقه. وروى «من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسئلتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين» خرجه ابن شاهين أبو حفص عمر بن أحمد (٢).

وذكر الوايلي من حديث بقية بن الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم عن عطية بن قيس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما تكلم العباد بكلام أحب إلى الله تعالى من كلامه، وما تقرب إلى الله عز وجل أحب اليه من كلامه» قال الوايلي: هذا حديث فيه إرسال، وعطية من التابعين تابعي، ولكن الرواة مشاهير، وبقية إذا روى عن المشهورين كان حجة (٣). وعن فروة بن نوفل قال: سمعت خباب ابن الأرت وأقبلت معه من المسجد إلى منزله فقال لي: إن استطعت أن

---

(١) أخرجه البخارى فى خلق أفعال العباد من رواية صفوان بن أبى الصهباء عن بكير بن عتيق عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر بن الخطاب به وأورده ابن حبان فى ترجمة صفوان من الضعفاء وقال إنه موضوع وتعقبه الحافظ فى أماليه بما يطول نقله وأثبت أنه على انفراده حديث حسن فكيف مع اعتبار شواهده الواردة من حديث أبى سعيد كما تقدم وحديث جابر عند البيهقى فى الشعب وحديث حذيفة عند أبى نعيم فى الحلية

(٢) وكذا ابن الانبارى فى الوقف والابتداء عن بشر بن موسى ثنا حسين بن عبد الأول ثنا محمد بن الحسن الهمدانى وهو ثالث شيخ للترمذى فى حديث أبى سعيد السابق

(٣) بل هو حجة إذا صرح بالتحديث سواء روى عن المشاهير أو عن غيرهم أما إذا روى بالعنعنة كما هنا فلا، لانه كان يسمع من ضعفان ومجاهيل ثم يدلس تدليس التسوية. نعم الحديث وردمن غير هذا الوجه وله شواهد

تقرب الي الله عز وجل فانك لاتقرب اليه بشيء أحب اليه من كلامه
قال المؤلف رضى الله تعالى عنه . رواه الترمذي مرفوعا بمعناه من
حديث أبي أمامة ، وقد تقدم فى الباب الرابع .

وروي عن أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه أنه قال : رأيت رب
العزة في المنام ، فقلت يارب ماأفضل مايتقرب به المتقربون اليك ؟ فقال
كلامى ياأحمد ، فقلت يارب بفهم أو بغير فهم ؛ فقال بفهم و بغير فهم . نقل
هذه الرؤيا عنه كبار العلماء . وقد روى الثقفي (١) أبو عبد الله القاسم بن
الفضل من حديث ابن عمر قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى
الأعمال أفضل عند الله ، قال « قراءة القرآن فى الصلاة ، ثم قراءة القرآن فى
غير الصلاة » الحديث وسيأتى مسنداً ان شاء الله تعالى . وروي ابن
وهب عن قرة بن عبد الرحمن والنهد بن منصور أن عبدا لله بن شراحيل
حدثهما أنه سمع عقبة بن عامر يقول : أيما راكب قرأ كان ردفه ملك ،
وأيما راكب تغنى كان ردفه شيطان . وروى الطبرى فى كتاب آداب
النفوس قال : حدثنا ابن المثني قال حدثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا
سلمة (٢) عن هلال بن يساف عن سمرة بن جندب أن نبى الله صلى الله
عليه وسلم قال « خير الكلام أوخير العمل أربع الا القرآن وهن من القرآن
لاإله الا الله ، والحمد لله ، وسبحان الله ، والله أكبر » وقال (٣) منصور
عن هلال بن يساف عن الربيع بن عميلة عن سمرة عن النبي صلى الله عليه

(١) فى الأجزاء المشهورة بالثقفيات وهي عشرة وله أيضا كتاب الأربعين
(٢) هو ابن كهيل والحديث أخرجه ابن ماجه من طريقه مختصرا
(٣) حديثه عند مسلم فى الآداب من صحيحه إلا أنه لم يذكروهن من القرآن

وسلم بمثله غير أنه قال «لا يضرك بأيهن بدأت» قال الطبرى : وحدثني أبو عبد الرحيم البرقى قال حدثني عمر - يعني ابن أبي سلمة - قال سألت الأوزاعى عن قراءة القرآن أعجب اليك أم الذكر؟ فقال سل أبا محمد - يعني سعيدا - فسألته فقال : بل القرآن . فقال الأوزاعي : إنه ليس شيء يعدل القرآن ، ولكن إنما كان هدى من سلف يذكرون الله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل الغروب

قال المؤلف رضى الله تعالى عنه : قول سعيد بن المسيب حسن جدا ، وقد أقر الأوزاعى بذلك وان كان ذكر أن هدي السلف الذكر قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، فلعل يذكرون بمعنى يقرؤون بدليل ماذكرنا ، وقد سمى الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز ذكرا فقال (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقال جل وعز (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وذكر الطبرى قال حدثني العباس بن الوليد العذرى قال اخبرنى أبى قال ثنا الأوزاعي قال حدثني حسن بن الحسن قال حدثني عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال أتينا أم الدرداء نتحدث اليها ، قال : ثم قلت ياأم الدرداء لعلنا أمللناك ؟ قالت أملتموني والله لقد التمست العبادة فى كل شيء فما وجدت شيئا أشفى لنفسى من مجالس ذكر . قال ثم اختبت ، ثم قالت لرجل اقرأ (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) فدل هذا الخبر على أن الذكر هو القرآن كما ذكرنا . وقد رواه الأوزعي . قال الطبرى وحدثنا موسي بن عبد الرحمن الكندى قال حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن هارون بن أبي وكيع عن أبيه عن ابن عباس أنه سئل أي الأعمال أفضل؟ فقال : ذكر الله أكبر ، ماجلس قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يدرسون كتاب الله ويتعاطونه بينهم الا كانوا أضياف

الله تعالى وأظلت عليهم الملائكة بأجنحتها ماداموا فيه حتى يخوضوا في حديث غيره

قال المؤلف رضى الله عنه : فهذا ابن عباس قد فسر الذكر بقراءة القرآن كما بينا ، وقد رواه مسلم فى صحيحه بمعناه مرفوعا من حديث أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » قال الطبرى : وحدثنا محمد بن عبد الاعلى قال حدثنا المعتمر عن أبيه قال حدثنا ابو تميمة انه سمع كعبا يقول : ثلاث من عمل بواحدة منهن دخل الجنة رجل شهد بأسا من بأس المسلمين فصبر حتى قتل أو فتح الله على المسلمين ، ورجل قعد فى حلقة فقرأ عليهم القرآن فحمدوا ربهم عز وجل ثم دعوا ربهم عز وجل على أثر ذلك فيقول الله للملائكة على ما اجتمع هؤلاء وهو أعلم ولكن يريد أن يكونوا شهداء فيقولون أي رب أنت أعلم فيقول انى أعلم ولكن أنبئونى بعلمكم فيقولون يسألونك أن تدخلهم الجنة وتزحزحهم عن النار فيقول أشهدكم أنى قد أوجبت لهم الجنة وزحزحتهم عن النار ، ورجل قام من دفئه ومن فراشه وأهله أن يكون قد قام من عند امرأته فى ليلة قرة فان كان جنبا اغتسل وان لم يكن جنبا توضأ وأحسن وضوءه فقام فقرأ ودعا ربه عز وجل فيقول الله

للملائكة ماأقام عبدى من دفئه وفراشه ؟ فيقولون يارب خوفته عذابك ورغبته في رحمتك وهو يستجير من عذابك ويرجو رحمتك ، فيقول أشهدكم أنى قد أجرته مما يخاف وأوجبت له مايرجو .

قال المؤلف رضى الله عنه : ومثل هذا لايقال من جهة الرأى فهو مرفوع (١) وقد ثبت معناه فى غير ماحديث مرفوعا والحمد لله . وقال سهل بن عبد الله التسترى فى قوله تعالى (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) قال بتلاوة القرآن

قال المؤلف رضى الله عنه : ماأحسن ماقال فان القرآن حوي جميع العلوم كما ذكرنا ويأتى ، فمن قرأه قراءة تدبر وتفهم وعمل بمقتضاه فقد حصل الغاية القصوى التى ليس لأحد وراءها مرمي . وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) قال اهل التأويل : يتبعونه حق اتباعه باتباع الأمر والنهي ، فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بما تضمنه . قاله عكرمة وغيره ، قال عكرمة : أما سمعت قول الله تعالى (والقمر إذا تلاها) أى تبعها ، فهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما . وقال ابوموسى الأشعرى رضي الله عنه : من يتبع القرآن يهبط به الي رياض الجنة . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها ، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها . وقد روي هذا المعنى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان إذا مر بآية رحمة سأل

---

(١) يقال له حكم الرفع ولايجزم بأنه مرفوع ثم ان ذلك مقيد بما إذا ورد عمن لم يأخذ عن أهل الكتاب أمامن أخذ عنهم فليس لموقوفه حكم الرفع لاحتمال أن يكون من الاسرائيليات وكعب شيخ أهل الكتاب . نعم ورد نحو هذا مرفوعا كما قال المؤلف

وإذا مر بآية عذاب تعوذ، من حديث حذيفة وغيره وسيأتي . وقال الحسن هم الذين يعملون بمحكمه، ويؤمنون بما تشابه منه، ويكلون ما أشكل عليهم الى عالمه . وخرج ابو داود (١) عن معاذ الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرا القرآن وعمل به ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذى عمل هذا » وخرج الترمذى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة، وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار »

قال المؤلف رضى الله تعالي عنه : وهذا الحديث وان كان فى إسناده مقال على ما يأتي فان العلماء مجمعون على القول به، فان المطلوب العمل بما يقرأ ويتلى . وقد روى النسائى (٢) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان من شر الناس رجلا فاسقا يقرأ القرآن لا يرعوي الى شىء منه » فبين صلى الله عليه وسلم أن المقصود العمل كما بينا . وقال مالك رحمه الله تعالى : قد يقرأ القرآن من لا خير فيه . وقال عبد الله بن مسعود : ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ، ولكن اقامة

---

(١) وأحمد والحاكم وصححه وتعقبه الذهبى بأنه من رواية زياد بن فائد وليس بالقوى لكن له شواهد منها عند بريدة عند الحاكم أيضا وصححه على شرط مسلم وقد صحح الحاكم لزياد بن فائد حديثا آخر فى فضل القرآن فأقره الذهبى عليه وذلك فى كتاب الجهاد ص ٨٨ ج ٢

(٢) فى باب من عمل فى سبيل الله على قدمه من كتاب الجهاد وكذا أخرجه الحاكم وهو خامس حديث فى الجهاد منه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وأخرجه أحمد فى المسند

حدوده ، وروى شريك عن أبي اسحاق عن شداد (١) بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث غرباء ، قرآن فى قلب رجل فاجر ، ومصحف فى بيت لا يقرأ فيه ، وصالح مع الظالمين » وروى شقيق بن سلمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « مابال أقوام يشرفون للمترفين ، ويستخفون بالعابدين ، ويعملون بالقرآن ماوافق أهواءهم ، وما خالف أهواءهم تركوه فعندذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، يسعون فيما يدرك بغير السعي من القدر المقدور ، والأجل المكتوب ، والرزق المقسوم ، ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعى من الخير الموفور ، والسعي المشكور ، والتجارة التي لاتبور » خرجه (٢) أبو نعيم الحافظ . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أطاع الله فقد ذكر الله وان أقل صلاته وصنيعه للخير ، ومن عصى الله فقد نسى ذكر الله وان أكثر صلاته وصومه وصنيعه للخير ذكره (٣) أبو عبد الله محمد بن خواز منداذ فى أحكام القرآن له . وذكره أيضا أبو بكر محمد بن عبد الله العامري الواعظ فى شرح الشهاب له ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أطاع الله فقد ذكره وان كان ساكتا ، ومن عصى الله فقد نسيه وان كان قارئا مسبحا

---

(١) وفى الباب عن أبى هريرة بلفظ الغرباء أربعة وزاد مسجد لا يصلي فيه اخرجه الديلمي وابن لال وفى سنده راو مجهول

(٢) من رواية عمر بن زايد الرفا عن شعبة عن عمرو بن مرة عن شقيق به وقال أبو حاتم وابن عدى والعقيلي والذهبي وآخرون إنه حديث موضوع وآثار الوضع لائحة عليه وشاهدة بما قالوه والله أعلم

(٣) أخرجه الحسن بن سفيان فى مسنده والطبرانى من رواية زاذان عن واقد مولى رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم أورده الحافظ فى الاصابة وسكت عنه وقال غيره إنه من رواية الهيثم بن حماد وهو ضعيف

قال المؤلف رضى الله تعالى عنه : وهذا والله أعلم لأنه كالمستهزىء والمتهاون ، وممن اتخذ آيات الله هزوا . وقال العلماء في تأويل قوله تعالى (ولا تتخذوا آيات الله هزواً) لا تتركوا أوامر الله فتكونوا مقصرين لاعبين قالوا ويدخل فى هذه الآية الاستغفار من الذنب قولا مع الاصرار فعلا ، وكذا كل ما كان فى هذا المعنى والله أعلم

الباب الثامن

فى قولة تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا)

أورثنا أعطينا ، والميراث عطاء حقيقة أو مجازا فانه يقال فيما صار للانسان بعد موت آخر ، والكتاب هنا يراد به معانى الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده على ماذكرناه فى الباب قبل ، واختلف أهل التأويل فى الظالم لنفسه والمقتصد والسابق على أقوال ثلاثة ، الأول أن الناجي هو المقتصد السابق ، وأن قوله تعالى (جنات عدن يدخلونها) للمقتصد والسابق هذا يروى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة . وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس (فمنهم ظالم لنفسه) قال : كافر . وروي الثورى عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله عز وجل (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الى آخر الآية قال : هذا مثل قوله عز وجل (وأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ماأصحاب المشأمة والسابقون السابقون) فنجت فرقتان . قال مجاهد (فمنهم ظالم لنفسه) أصحاب المشأمة (ومنهم سابق بالخيرات) أصحاب الميمنة ، ومنهم

السابقوون من الناس كلهم . وقال عكرمة (فمنهم ظالم لنفسه) كما قال (فذوقوا فما للظالمين من نصير) وقال الحسن وقتادة (فمنهم ظالم لنفسه)قال المنافق . والقول الثاني ماقاله سهل بن عبد الله إن السابق العالم ، والمقتصد المتعلم ، والظالم الجاهل . وقال ذوالنون المصري : الظالم الذاكر الله بلسانه فقط ، والمقتصد الذاكر بقلبه ، والسابق الذي لاينساه . وقيل :الظالم التالى للقرآن ولايعمل به ، والمقتصد التالى للقرآن ويعمل به ، والسابق القاري للقرآن العامل به ، والعالم به : وقيل :السابق الذى يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن ، والمقتصد الذى يدخل وقد أذن ، والظالم الذى يدخل المسجد وقد أقيمت الصلاة ، لأنه ظالم لنفسه الأجر فلم يحصل لها ماحصل غيره . وقال بعض أهل العلم فى هذا : السابق الذى يدرك الوقت والجماعة فيدرك الفضيلتين ، والمقتصد الذى إن فاتته الجماعة فلم يفرط في الوقت ، والظالم الغافل عن الصلاة حتى يفوت الوقت والجماعة . وقيل غير هذا من الأقوال

قال المؤلف رضى الله عنه : وبالجملة فهما طرفان وواسطة ، فالمقتصد اللازم للقصد وهو ترك الميل فلذلك كان المقتصد منزلة بين المنزلتين ، فهو فوق الظالم لنفسه ودون السابق للخيرات . قال الله تعالى (جنات عدن يدخلونها) فجمعهم فى الدخول لأنه ميراث ، والعاق والبار فى الميراث سواء إذا كانا معترفين النسب ، فالعاصى والمطيع مقران بالرب ، وعلى هذا الفرق الثلاث ناجية إن شاء الله تعالي وهو قول عمر وعثمان وأبى الدرداء وأبى سعيد الخدرى وعائشة رضى الله عنهم ، ومن التابعين ابراهيم النخعى وكعب الاحبار وغيرهما . قال عثمان : هم أهل ديننا ، يعنى الظالم لنفسه .

وقال عمر (١) : سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له . وقال أبو الدرداء : السابق يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا ، والظالم لنفسه يؤخذ منه ثم ينجو . فذلك قوله تعالى (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) وقال كعب : هذه الأمة على ثلاث فرق كلها فى الجنة ثم تلا (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه) الى قوله (جنات عدن يدخلونها تجرى) فقال : دخلوها ورب الكعبة . وبعد هذا للكفار وهو قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم) وخرج أبو داود الطيالسى في مسنده قال حدثنا الصلت (٢) بن دينار أبو شعيب قال حدثنا عقبة بن صهبان الهنائى قال سألت عائشة رضى الله عنها عن قول الله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية فقالت لى: يا بني كل هؤلاء فى الجنة ، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياة والرزق ، وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به ، وأما الظالم لنفسه فمثلى ومثلك . قال فجعلت نفسها معنا . وقال أبو اسحاق السبيعى

---

(١) بل ورد مرفوعا أخرجه البيهقى فى البعث والنشور من طريق ميمون بن سياه عن عمر ثم قال فيه إرسال بين ميمون وعمر ثم أخرجه من وجه آخر موقوفا ورواه العقيلي من طريق الفضل بن عميرة الطفاوى عن ميمون أيضا فقال عن ابى عثمان النهدى عن عمر موقوفا وأعله بالفضل بن عميرة وقال لايتابع على حديثه قال وقد روى باسناد أصلح من هذا ومن هذا الوجه أخرجه الثعلبى وأسنده البغوى من طريقه

(٢) يعرف بأبى شعيب المجنون وهو ضعيف متروك الحديث خبيث النحلة والعقيدة كان مرجئيا ناصبيا والحديث أخرجه من طريقه جماعة منهم الطبرانى والحاكم وتعقبه الذهبي به

أما الذى سمعناه من ستين سنة فكلهم ناج . وروى أسامة بن زيد (١) أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال « كلهم في الجنة » وقد روى مرفوعا عن عمر وأبى الدرداء (٢) بمثل ماذكرنا عنهما . والتقدير على القول أن يكون الظالم لنفسه هو الذى عمل الصغائر ، والمقتصد قال محمد بن يزيد هو الذى يعطى الدنيا حقها والآخرة حقها ، فيكون (جنات عدن يدخلونها) عائدا على الجميع على هذا الشرح والتبيين ، ويكون مفعول الاصطفا مضافا حذف كما حذف المضاف فى قوله تعالى (واسئل القرية) أى الذين اصطفينا دينهم فبقي اصطفيناهم فحذف العائد الى الموصول كما حذف في قوله (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم) أي تزدريهم فالاصطفا إذا موجه إلى دينهم كما قال (إن الله اصطفى لكم الدين) قال أبو جعفر النحاس : وقول ثالث يكون الظالم صاحب الكبائر ، والمقتصد الذى لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته ، فيكون (جنات عدن يدخلونها) للذين سبقوا بالخيرات لاغير . وهذا قول جماعة من أهل النظر لأن الضمير في حقيقة النظر لما يليه أولى .

(١) أخرجه الطبرانى وفيه ابن أبى ليلى ثقة سىء الحفظ

(٢) وفى الباب عن أبى سعيد الخدرى وعوف بن مالك والبراء بن عازب وحذيفة بن اليمان كلهم مرفوعاً وعن جماعة آخرين موقوفا لحديث عمر تقدم وحديث أبى الدرداء أخرجه أحمد وابن جرير والطبراني والحاكم من طرق بعضها على شرط الصحيح وحديث أبى سعيد أخرجه احمد وابن جرير وابن أبي حاتم وفيه رجلان مبهمان وحديث عوف أخرجه الطبرانى وابن أبى حاتم سلامة بن روح عن عقيل عن ابن شهاب عنه وسلامة وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور واستغرب حديثه ابن كثير وحديث البراء أخرجه الفريابى وابن مردويه وحديث حذيفة أخرجه ابن مردويه والديلمى

قال المؤلف ، رضى الله عنه : القول الوسط أعلاها وأصحها إن شاء الله تعالى ، لأن الكافر والمنافق لم يصطفوا ولا اصطفى دينهم . وقال صلى الله عليه وسلم « مثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة طعمها مر وريحها طيب » على ما يأتى . فأخبر أن المنافق يقرؤه ، وأخبر الحق سبحانه وتعالى بأن المنافق فى الدرك الأسفل من النار ، وكثير من اليهود والنصارى يقرؤنه : وفي حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم « وأما الظالم لنفسه فيحبس في الموقف ويوبخ ويقرع ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن » وفى لفظ آخر « وأما الذين ظلموا أنفسهم ، فأولئك يحبسون فى طول المحشر ، ثم هم الذين يتلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إلى قوله ولا يمسنا فيها لغوب »

قال المؤلف رضى الله عنه : ومن دخل النار من القراء الموحدين فانه يخرج منها بالشفاعة ويدخل الجنة على ما قررناه فى كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة . وقد روى أبو محمد عبد الغني الحافظ من حديث مقاتل بن حبان قال حدثني شرحبيل عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن ـ أوجمع للقرآن ـ كانت له عند الله دعوة مستجابة ، إن شاء عجلها له في الدنيا ، وإن شاء أدخرها له فى يوم القيامة (١) وهذا عام في كل مسلم قرأ القرآن ، إذ الكافر والمنافق ليست لهما عند الله دعوة مستجابة تدخر له والله أعلم .

(١) فى الباب عن أبى أمامة مرفوعا « إن لحامل القرآن دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له » أخرجه البيهقى فى الشعب

وروى ابن لهيعة (١) حدثنا مشرح بن هاعان قال سمعت عقبة بن عامر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان القرآن فى إهاب لم تأكله النار» قال أبو عبيد القاسم بن سلام : وجه هذا عندنا أن يكون أراد بالاهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن . قال أبو جعفر الطحاوي : تكلم أهل العلم فى هذا الحديث فقالت طائفة معناه أن من كان معه القرآن وقاه الله من النار كما وقي ابراهيم الخليل عليه السلام من النار ، فمعني المراد بذكر الاهاب الانسان . وقالت طائفة أخرى : الاهاب المذكور فى هذا الخبر هو الذى يكتب فيه القرآن ، أى إهاب كان ، فاذا ألقي فى النار وفيه القرآن وقى الله تعالى القرآن ونزهه عن النار فيرفعه من الاهاب ، فتحرق النار الاهاب وهو خال من القرآن لاقرآن فيه . والله أعلم بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يذكر أبو جعفر اختيارا في ذلك ، واختار غيره أن معنى الحديث راجع الى معنى قوله تعالى (جنات عدن يدخلونها) وأن أحدا منهم لاتمسه النار يوم القيامة ، والاهاب الانسان ، وأن الثلاثة الأصناف من حملة القرآن لاتحرقهم النار إن شاء الله تعالي .

قال المؤلف رضي الله تعالى عنه : الأحاديث الثابتة ترد هذا القول على مادلت عليه من إدخال من قرأ القرآن النار من الموحدين الذين قرؤه وحفظوه ولم يعملوا به ، ثم يخرجون بالشفاعة

---

(١) أخرجه أحمد وأبو يعلي والطبرانى وجماعة من طريقه وحاله معروف ولاينحط حديثه عن درجة الحسن خصوصا وقد تابعه جماعة على هذا الحديث من رواية سهل بن سعد وأبى هريرة وعصمة بن مالك

الباب التاسع

(فى فضل من أعطى القرآن وعمل به)

روى الدارمى أبو محمد فى مسنده عن وهب الذماري أنه قال (١) من أتاه الله القرآن فقام به آناء الليل وآناء النهار وعمل بما فيه ومات على الطاعة بعثه الله تعالى يوم القيامة مع السفرة والأحكام. قال سعد: السفرة الملائكة، والأحكام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وروى ابن لهيعة عن أيوب ابن أبى العالية قال حدثنا غيلان بن المغيرة وعمر بن مضر قالا ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنا رشدين بن سعد عن جرير بن حازم عن حميد عن (٢) أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جمع القرآن متعه الله بعقله حتى يموت » وأسند أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانبارى فى كتاب الرد له عن أبى أمامة الحمصى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى ثلث القرآن فقد أعطي ثلث النبوة، ومن أعطي ثلثى القرآن فقد أعطي ثلثى النبوة، ومن قرأ القرآن كله فقد أعطى النبوة كلها غير أنه لا يوحى اليه، ويقال له يوم القيامة إقرأ وارق فيقرأ آية ويصعد درجة حتى ينجز

(١) ورد نحوه مرفوعا من حديث أنس أخرجه الطبرانى فى الصغير ص ٢٣١

(٢) أخرجه ابن عدى فى الكامل وله طريق أخرى عن أنس بلفظ لا يخرف قارىء القرآن وجدته فى ترجمة لاحق بن الحسين من تاريخ أصبهان لأبى نعيم ولاحق بن الحسين أحد المشهورين بوضع الحديث وقد استدرك حديثه هذا الحافظ السيوطى على موضوعات ابن الجوزى فأورده فى الذيل وهو مما تناقض رأيه فيه لانه أورده أيضا فى الجامع الصغير الذى صانه عن كل ما انفرد به وضاع أو كذاب وعزاه لتاريخ ابن عساكر

مامعه من القرآن ، ثم يقال له اقبض فيقبض ، ثم يقال له أتدرى مامعك في يديك فاذا في يده اليمنى الخلد وفى يده اليسرى النعيم » قال أبو بكر حدثنا إدريس بن خلف قال حدثنا اسماعيل بن عياش عن تمام عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخذ ثلث القرآن وعمل به فقد أخذ ثلث النبوة ، ومن أخذ نصف القرآن وعمل به فقد أخذ نصف النبوة ، ومن أخذ القرآن كله فقد أخذ النبوة كلها » قال وثنا محمد بن يحيي المروزى قال حدثنا محمد ـ وهو ابن سعد ـ أنه قال حدثنا الحسين عن حفص عن كثير بن زاذان عن عاصم بن ضمرة عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن وتلاه وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كل قد وجبت له النار » .

قال المؤلف رضى الله عنه : خرجه أبو عيسى الترمذى قال ثنا على بن حجر قال حدثنا حفص بن سليمان عن كثير بن زاذان عن عاصم عن على رضى الله عنه . وقد تقدم متنه وفيه فأحل حلاله وحرم حرامه. قال أبو عيسى : وليس إسناده بصحيح ، وحفص بن سليمان أبو عمر بزاز كوفى ضعيف يضعف فى الحديث . وخرج أبو نصر الوايلى فى كتاب الابانة له أخبرنا أحمد بن محمد بن الحاج قال ثنا محمد بن أحمد ـ هو الماعونى ـ قال ثنا محمد بن على بن الحسين القاضى قال ثنا عقبة بن مكرم قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عبيد الله بن أبى حميد الهذلى قال ثنا أبو مليح الهذلي قال ثنا معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعملوا بالقرآن أحلوا حلاله وحرموا حرامه واقتدوا به ولا تكفروا بشىء منه فما تشابه عليكم فردوه إلى الله وإلي أولى العلم من بعدى كيما يخبرونكم وآمنوا بالتورية والانجيل

والزبور وماأوتى النبيون من ربهم وليسعكم القرآن ومافيه من البيان فانه شافع مشفع وماحل مصدق ، ألا وان لكل آية منه نورا يوم القيامة ، ألا وانى أعطيت سورة البقرة من الذكر ، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه السلام ، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش ، وأعطيت المفصل نافلة » قال الوايلى : وهذا غريب .

﴿ فصل ﴾ قال علماؤنا : من أعطاه الله القرآن وأنعم به عليه ويسره له ليتعلمه ويقرؤه فقد أشركه مع نبيه عليه السلام في علمه في قوله تعالى (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم) وإن كان لم يشركه معه فى جهة الايتاء والتعليم فان لم يعظم المنعم عليه هذه النعمة فهو من أجهل الجاهلين . قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « من قرأ ربع القرآن فقد أوتى ربع النبوة ، ومن قرأ ثلث القرآن . فقد أوتي ثلث النبوة ، ومن قرأ ثلثي القرآن فقد أوتى ثلثى النبوة ، ومن قرأ القرآن كله فقد أوتي جميع النبوة غير أنه لايوحي اليه » ويحتمل أن يكون معنى أوتي جميع النبوة أى جمع في صدره جميع ماأنزل الله علي نبيه ولكنه لايوحي اليه

قال المؤلف رضي الله تعالى عنه : ويختلف القول فيه بين العامل به وبين من لايعمل به كما دل عليه حديث هذا الباب والباب بعد هذا مع قوله عليه السلام « تعلموا القرآن فاذا علمتموه فلا تأكلوا به ولا تستكثروا به ولاتجفوا عنه ولاتغلوا فيه » وهذا قريب من معنى قوله عليه السلام « فأحلوا حلاله وحرموا حرامه » وروى سفيان الثوري عن واصل عن ابراهيم قال قالت امرأة لعيسى عليه السلام : طوبى لبطن حملك ، ولثدى أرضعك . قال : لمن قرأ القرآن ثم اتبع مافيه . وروى من حديث أبي سعيد

الخدري رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعته يقول « ثلاثة يوم القيامة على كثبان المسك لايحزنهم الفزع الأكبر، رجل قرأ القرآن محتسبا وأم به قوما محتسبا، ورجل أذن محتسبا، ورجل أدى حق الله وحق مواليه »

الباب العاشر

(فى مثل من قرأ القرآن، ومثل من قرأه وعمل به)

مسلم عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن مثل التمرة لاريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر » وفى رواية « مثل الفاجر » بدل المنافق، وقال البخاري مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذى لايقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة وذكر الحديث. وذكر أبو بكر الأنبارى وقد أخبرنا أحمد بن يحي الحلوانى حدثنى يحي بن عبد الحميد قال حدثنا هشيم. وأخبرنا إدريس حدثنا خلف حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب أن أبا عبد الرحمن السلمى كان إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال له : ياهذا اتق الله فما أعرف أن أحدا خير منك إن عملت بالذي علمت. وعن أبى نضرة أن رجلا من التابعين كان إذا جلس ه ﺗﺎلأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجبهم مجلسه وحديثه ، فقالوا

يوما إن مثل القرآن مثل المطر حلو طيب طهور مبارك أنزله الله تعالى فأصاب به الشجر حلوه ومره ، فزاد الحلوة حلاوة إلى حلاوتها ، والمرة مرارة إلى مرارتها ، وكذلك القرآن هدى وشفاء للذين آمنوا .

قال الله تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) انتهى

الباب الحادى عشر

(فى الماهر بالقرآن)

مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»

﴿فصل﴾ قال علماؤنا رضى الله تعالى عنهم : التتعتع فى القرآن هو التردد فيه عيا وصعوبة ، وهذا والله أعلم عند التعلم ، وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة ، ودرجة الماهر فوق ذلك كله لأنه قد كان القرآن متتعتعا عليه ثم ترقى عن ذلك الى أن شبه بالملائكة والله أعلم

قال المؤلف رضى الله تعالى عنه : ولا يكون ماهرا بالقرآن حتى يكون عالما بالفرقان ، وذلك بأن يتعلم أحكامه فيفهم عن الله تعالى مراده ومافرض عليه ، ويعرف المكي من المدنى ليفرق بين ماخاطب الله به عباده في أول الاسلام وماندبهما اليه فى آخر الاسلام ، وماافترض في أول الاسلام ، ومازاد عليهم من الفرائض فى آخره ، ويعرف الاعراب والغريب فذلك

يسهل عليه معرفة مايقرأ ويزيل عنه الشك فيما يتلو ثم ينظر فى السنن المأثورة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم فبها يصل الطالب إلى مراد الله عزوجل، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحا. وقد قال الضحاك في قوله عزوجل (كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب) قال: حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيها. وذكر ابن أبي الحواري قال: أتينا فضيل بن عياض سنة خمس وثمانين ومائة ونحن جماعة، فوقفنا على الباب فلم يأذن لنا بالدخول، فقال بعض القوم: إن كان خارجا لشيء فيستخرج لتلاوة القرآن، فأمرنا قارئا يقرأ فطلع علينا من كوة، فقلنا السلام عليك ورحمة الله، فقال وعليكم السلام، فقلنا وكيف أنت ياأبا على؟ وكيف حالك؟ قال: أنا من الله فى عافية ومنكم فى أذى. وان ماأنتم فيه حدث فى الاسلام، فانا لله وإنا اليه راجعون ماهكذا كنا نطلب العلم، ولكنا كنا نأتي المشيخة فلا نرى أنفسنا أهلا للجلوس معهم، فنجلس دونهم ونسترق السمع، فاذا مر الحديث سألناهم إعادته وقيدناه، وأنتم تطلبون العلم بالجهد وقد ضيعتم كتاب الله، ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون. قال قلنا قد تعلمنا القرآن قال: إن فى تعلمكم القرآن شغلا لأعماركم وأعمار أولادكم، قلنا كيف ياأبا على؟ قال لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه ومحكمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه. فاذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة. ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم (ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

قال المؤلف رضي الله عنه: فاذا حصلت هذه المراتب لقاريء القرآن

كان ماهر، وهو الكمال. والماهر الحاذق بالشيء، والعالم به، وأصله الحذق بالسباحة، ولا ينتفع بشيء مما ذكرنا حتى تخلص النية لله عز وجل عند طلبه أو بعد طلبه، فقد يبتدىء الطالب للعلم يريد به المباهاة والشرف في الدنيا فلا يزال به فهم العلم حتى يتبين له أنه على خطأ في اعتقاده، فيتوب من ذلك ويخلص النية لله عز وجل فينتفع بذلك ويحسن حاله. قال الحسن: كنا نطلب العلم للدنيا فيجرنا الى الآخرة. وقال سفيان الثوري: قال حبيب بن أبي ثابت طلبنا هذا الأمر وليست لنا فيه نية، ثم جاءت النية بعد.

الباب الثاني عشر

(فى أن القرآن حجة لك أو عليك)

مسلم عن أبي موسى (١) الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الطهور شطر الايمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها»

قال المؤلف رضى الله تعالى عنه: القرآن حجة لمن عمل به واتبع ما فيه وحجة على من لم يعمل به ولم يتبع ما فيه، فمن أوتى علم القرآن فلم ينتفع به وزجرته نواهيه فلم يرتدع وارتكب من المآثم قبيحا ومن الجرائم فضوحا

(١) كذا فى الأصل وهو تحريف فان الحديث من رواية أبي مالك الأشعرى لا من رواية أبي موسى

كان القرآن حجة عليه ، وخصما لديه . وفى الخبر عن (١) أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تعلم القرآن وعلمه ولم يأخذ بما فيه وحرفه كان له شفيعا ودليلا إلى جهنم ، ومن تعلم القرآن وأخذ بما فيه كان له شفيعا ودليلا إلى الجنة » وخرج ابن شاهين من حديث محمد بن اسحاق(٢) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يأتى القرآن الى الذي حمله فأطاعه فى صورة حسنة فيأخذ بيده حتى يأتي ربه عز وجل فيصير خصيما من دونه ، فيقول أي رب حفظته إياى فخير حامل حفظ حدودى ، وعمل بفرائضى وعمل بطاعتي ، واجتنب معصيتى ، فلا يزال يقذف دونه بالحجج حتى يقال له فشأنك به ، قال فيأخذ بيده لايدعه حتى يسقيه بكأس الخلد ، ويتوجه تاج الملك ، قال ويأتى صاحبه الذى حمله فأضاعه فيأخذ بيده حتي يأتى ربه عز وجل فيصير له خصيما ، فيقول يارب حملته إياى فشر حامل ضيع حدودي ، وترك فرائضى ، واجتنب طاعتى ، وعمل بمعصيتى ؛ فلا يزال يقذف عليه بالحجج حتي يقال له فشأنك به ، فيأخذ بيده فلا يدعه حتى يكبه على منخره فى نار جهنم »

---

(١) اخرجه ابن عساكر عن انس من رواية ابي هذبة وابو هذبة كذاب إلا ان له شواهد

(٢) ومن طريقه أيضا رواه البزار ورجاله ثقات إلا ان ابن إسحاق عنعنه وهو مدلس والاحاديث فى معناه كثيرة

الباب الثالث عشر

(فى الآداب التى ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه بها)

فأول ذلك أن يخلص فى طلبه لله عز وجل كما ذكرنا ، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن فى ليله ونهاره ، فى الصلاة وغيرها على ما يأتى . وينبغى له أن يكون لله حامدا ، ولنعمه شاكرا ، وله ذاكرا وعليه متوكلا ، وبه مستعينا ، وإليه راغبا ، وبه معتصما ، وللموت ذاكرا ، وله مستعدا ، وينبغى له أن يكون خائفا من ذنبه ، راجيا عفو ربه ، ويكون الخوف فى صحته أغلب عليه ، إذ لا يعلم بما يختم له ، ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوي فى نفسه لحسن الظن بالله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى » خرجه مسلم وغيره . أى أنه يرحمه ويغفر له .

وينبغي له أن يكون عالما بأهل زمانه متحفظا من سلطانه ساعيا فى خلاص نفسه ، ونجاة مهجته مقدما بين يديه ما يقدر عليه من عرض دنياه مجاهدا لنفسه فى ذلك ما استطاع . وينبغي له أن يكون أهم أموره عنده الورع فى دينه واستعمال تقوى الله تعالى ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه .

وقال ابن مسعود : ينبغى لقارىء القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وببكائه إذا الناس يضحكون . وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون .

وقال عبدالله بن عمرو : لا ينبغى لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض ،

ولايجهل مع من يجهل ولـكن يعفو ويصفح لحق القرآن لأن في جوفه كلام الله تعالى . وينبغى له أن يأخذ نفسه بالتصاون عن طرق الشبهات، ويقل الضحك والـكلام فى مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه ويأخذ نفسه بالحـلم والوقار. وينبغى له أن يتواضع للفقراء ، ويتجنب التـكبر والاعجاب ، ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنـة ، ويترك الجدال والمراء ، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب . وينبغي أن يكون ممن يؤمن شره ، ويرجي خيره ، ويسلم من ضره ، وأن لايسمع ممن نم عنـده ، ويصاحب من يعاونه على الخـير ، ويدله على الصدق ومكارم الاخلاق ، ويزينه ولا يشينه .

الباب الرابع عشر

(فى الأمر بتعليم كتاب الله تعالى واتباع مافيه والتمسك به)

قال الله تعالى (اتبع ماأوحي إليك من ربك) وقال تعالى (فاستمسك بالذي أوحي إليك من ربك) الآية . وقال تعالى (اتبعوا ماأنزل اليكم من ربكم) أبو داود عن نصر بن عاصم الليثي قال أتينا اليشكرى في رهط من بنى ليث ، فقال من القوم ؟ فقلنا بنو الليث أتيناك نسألك عن حـديث حذيفة فقال : أقبلنا مع أبى موسى قافلين وغلت الدواب بالـكوفة ، قال فسألت أبا موسى أنا وصاحب لى فأذن لنا فقدمنا الـكوفة فقلت لصاحبي أنا داخل المسجد فاذا قامت السوق خرجت اليـك فدخلت المسجد فاذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤسهم يستمعون الى حـديث رجل قال فقمت

عليهم فجاء رجل فقام إلى جنبى قال فقلت من هذا ؟ قال أبصرى أنت ؟
قلت نعم قال قد عرفت ولو كنت كوفيا لم تسأل عن هـذا ، هذا حذيفة
قال فدنوت منه فسمعت حذيفة يقول : كان الناس يسألون رسـول الله
صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر وعرفت أن الخير لن
يسبقنى . قال فقلت يارسول الله أبعد هذا الخير شر ؟ قال « ياحذيفة تعلم
كتاب الله واتبع مافيه » ثلاث مرات . قلت يارسول الله أبعد هذا الخير
شر ؟ قال « فتنة وشر » قلت يارسول الله أبعد هذا الخير شر ؟ قال « هدنة
على دخن وجماعة على أقذاء فيها أو فيهم » قلت يارسول الله الهدنة على الدخن
ماهي ؟ قال « لاترجع قلوب أقوام على الذى كانت عليه » قلت يارسول الله
أبعد هذا الخـير شر ؟ قال « فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار فان
مت ياحذيفة وأنت عاض على جذل خـير لك من أن تتبع أحدهم »
وخرج أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا أبو خالد الأحمر عن عبد الحميد
ابن جعفر عن سعيد بن أبى سعيد عن (١) أبى شريح الخزاعى قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أبشروا أبشروا ؟ أليس تشهدون
أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسـول الله » قالوا نعم قال « فان هذا القرآن
سبب طرفه بيد الله عز وجل وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا
ولن تهلكوا بعده أبدا » وعن (٢) أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله

---

(١) الحـديث رجاله رجال الصحيح وقد أخرجه الطبرانى وصححه ابن حبان
وفى الباب عن جماعة

(٢) عزاه الحافظ نور الدين فى الزوائد الى الطبرانى فى الاوسط وقال فيه رجال
مختلف فيهم قلت وقد ورد حديث قرن العترة بالكتاب من طرق جياد صحيحة من
رواية زيد بن أرقم وجابر بن عبد الله وزيد بن ثابت وأبى هريرة وعلى بن أبى

صلى الله عليه وسلم ، إني تارك فيكم ثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، طرفه فى يد الله عز وجل ، وطرفه فى أيديكم فاستمسكوا به ، الا وعترتى ، وعن أبى هريرة (١) رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « قد خلفت شيئين لن تضلوا بعدى ماأخذتم بهما ، وعملتم بما فيهما ، كتاب الله وسنتى (٢) ، خرجهما الوايلى رحمه الله في كتاب الابانة من طرق .

الباب الخامس عشر

(فى أن أفضل الخلق إيمانا من عمل بكتاب الله عز وجل)

أبو داود الطيالسى عن محمد بن أبى حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال : كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أتدرون أى الخلق أفضل ؟ » قلنا الملائكة قال « وحق لهم بل غيرهم » قلنا الأنبياء ، قال « وحق لهم بل غيرهم » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل الخلق إيمانا أقوام فى أصلاب الرجال يؤمنون بى ولم يرونى ، يجدون ورقا فيعملون بما فيه ، فهم أفضل الخلق إيمانا » وروى صالح بن جبير عن

طالب وحذيفة بن السيد الغفارى فى آخرين وقد تكلم عليه بعض قدماء المتصوفة فاخطأ فى تعيين المراد بالعترة فيه وليس هذا محل إبطال كلامه

(١) أخرجه أيضا البزار من طريق داود بن عمر الضبى ثنا صالح بن موسى ثنا عبد العزيز بن رفيع عن أبى صالح عن أبى هريرة به وصالح بن موسى هو الطلحي ضعيف لكن قال ابن عدى ليس هو ممن يتعمد الكذب

(٢) وقع فى رواية البزار ونسبى وهو الموافق لباقى الروايات المذكور فيها وعترتى

أبي جمعة قال : قلنا يارسول الله هل أحد خير منا ؟ قال « نعم قوم يجيئون من بعدكم فيجدون كتابا بين لوحين يؤمنون بما فيه ، ويؤمنون بي ولم يروني » قال أبو عمر بن عبدالبر : أبو جمعة له صحبة واسمه حبيب بن سباع ، وصالح بن جبير من ثقات التابعين .

قال المؤلف رحمه الله : أنبانا الشيخ المسن الراوية الحاج أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح عرف بابن رواح بمسجده بثغر الاسكندرية حماه الله ، والشيخ الفقيه الامام مفتي الانام أبو الحسن علي ابن هبة الله الشافعي بمنية بني خصيب على ظهر النيل بها إجازة ، قالا جميعا : أنا الشيخ الامام الحافظ أبو طاهر احمد بن محمد بن احمد بن محمد السلفي الاصبهاني قال أنا الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن محمد بن احمد ابن محمود الثقفي باصبهان قال اخبرنا أبو العباس احمد بن الحسن بن اسحاق ابن عتبة الرازي ـ املاء ـ قال نا بكر بن سهل بن اسماعيل الدمياطي قال نا أبو صالح واسمه عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن صالح بن جبير أنه قال : قدم علينا أبو جمعة الانصاري رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس ليصلى فيه ، ومعنا رجاء بن حيوة يومئذ ، فلما انصرفنا خرجنا لنشيعه ، فلما أردنا الانصراف قال : إن لكم علي جائزة وحقا ، أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فقلنا هات رحمك الله ؟ قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ معنا عاشر عشرة ، فقلنا يارسول الله هل من قوم أعظم منا أجرا ؟ آمنا بك واتبعناك ؟ قال « مايمنعكم من ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، يأتيكم الوحى من السماء ، بلي قوم يأتون

من بعدكم يأتيهم كتاب بين لوحين فيؤمنون به ، ويعملون بما فيه ، أولئك أعظم أجرامنكم » .

قال الثقفي : أبو جمعة الانصاري اسمه حبيب بن سباع ويقال جنيد ابن سباع وقع لنا عاليا ، ما كتبناه إلا من حديث صالح بن جبير عنه .

﴿ فصل ﴾ قال علماؤنا رحمة الله عليهم : أعلم صلى الله عليه وسلم أن من اتبع القرآن ومواعظه حالة الفترة ، واقتفي العلم والسنن عند ظهور البدع ، لا يقصر حاله عن حال الصديقين ، ولا تنزل درجته عن درجات الصحابة والتابعين ، والله أعلم

الباب السادس عشر

(فيما جاء فى تلاوة القرآن في الصلاة ، وأنها أفضل العبادات من الاعمال)

تقدم من حديث أبى أمامة عن النبى صلي الله عليه وسلم « ما أذن الله لعبد فى شيء أفضل من ركعتين يصليهما » الحديث . وفى مسند أبي داوود الطيالسى عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة كتب من القانتين ، ومن قام بالف آية كتب من المقنطرين » وسيأتي لهذا الباب (١) مزيد بيان . وروى سفيان الثورى عن الاعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : إذا قام

(١) وفى نسخة لهذا الحديث .

الرجل من الليل فتسوك ثم توضأ قام الملك خلفه ، ودنا واستمع ووضع فاه على فمه ، فلا يقرأ من آية الا دخلت جوفه . وروينا بالسند المتقدم الى الرئيس أبي عبد الله القاسم بن الفضل الثقفى قال ثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق ـ إملاء ـ قال حدثني احمد بن عبدالله بن محمود قال ثنا عبد الله بن وهب قال ثنا محمد بن الحسن التميمى (١) قال ثنا محمد بن أبي بكر البرساني قال ثنا ابراهيم بن يزيد المكى قال سمعت نافعا يحدث عن ابن عمر قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل عندا لله ؟ قال « قراءة القرآن فى الصلاة ، ثم قراءة القرآن فى غير الصلاة ، فان الصلاة أفضل الاعمال عند الله وأحبها إليه ، ثم الدعاء والاستغفار ، فان الدعاء هو العبادة ، وإن الله يحب الملح فى الدعاء ، ثم الصدقة فانها تطفى غضب الرب ، ثم الصيام فان الله تعالى يقول الصيام لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة للعبد من النار »

﴿ فصل ﴾ قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذا حديث صحيح عظيم فى الدين بين فيه أن أعظم العبادات قراءة القرآن فى الصلاة وإنما كان كذلك لأن الصلاة أفضل الاعمال عند الله وأحبها اليه ، لأنها اشتملت على جميع العبادات بالمعنى ، ومن فضلها سميت جميع الاعمال بها . قال الله تعالى مخبرا عن قوم شعيب عليه السلام (أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا) أى أعمالك الصالحة ، وذلك أنه كان كثير الصلاة . فحملوا سائر أفعاله على معظمه وهي الصلاة . وقيل أطلق على كل عمل اسم الصلاة تشريفا كما أطلق عليها اسم الايمان . اذ المعنى في الكل واحد ولأنها عبادة الملائكة ، قال الله

---

(١) وفي نسخة التيمي

تعالى (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) وقال في جميع الخلق (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) وجعلها الله من خصائل اسماعيل فقال (وكان يأمر أهله بالصلاة) ومن دعوة ابراهيم الخليل عليه السلام (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتي) ولا يوصف بالكفر من ترك شيئا من الاعمال الصالحة سواها. قال النبي صلى الله عليه وسلم «من ترك الصلاة فقد كفر» «وبين العبد وبين الكفر ترك الصلاة» ومن امتنع من أداء الزكاة أخذت منه قهرا، ومن امتنع من الوضوء وضىء، ومن امتنع من الصوم حبس فى بيت موثقا حال وجوب الامساك وكل عبادة من حج وزكاة وصيام تسقط عن العبد وتنتقض بأعذار والصلاة ملازمة له فى كل حال قائما وقاعدا وعلى جنب وراكبا وماشيا وبالاشارة من غير خلاف بين الأئمة مادام عقله باقيا.

وقد اتفق الفقهاء على قتل من ترك الصلاة وانما اختلفوا في صفة قتله فقال بعضهم يقتل بالسيف وقال أهل العراق يقتل بالسوط وقيل يطعن بالرماح وإنما يقتل تاركها لأنها تلو الايمان وثانيته وكما يقتل تارك الايمان كذلك يقتل تارك الصلاة وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلي أنه كافر يقتل ولا ترثه ورثته من المسلمين ويستتاب فان تاب والا قتل وحكم ماله كحكم مال المرتد وهو قول إسحاق بن راهويه، قال إسحاق وكذلك كان رأى أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى زماننا، هكذا حكاه أبو عمر. وقيل إن فضل العبادات وشرفها على قدر درجاتها وفائدتها فحيث عظمت الفائدة كانت العبادة أفضل، وترتيب فضائل

العبادات بترتيب فوائدها : فأفضل العبادات فائدة هي أفضل العبادات، وذلك معرفة الله تعالى والإيمان به الذى هو شرط فى كل عبادة ، فان الله تعالى لا يقبل عمل كافر ، ولا يرضيه عبادة كافر ، وإن سخطه عليه سرمدا لا يلحقه عفو ، ولا يشوبه رضا ، ولا يتصور مع ذلك قرب . ولذلك قال وقوله الحق (إنما يتقبل الله من المتقين) أى الذين اتقوا الكفر (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله و برسوله) فمن العبادات ماتختص فائدته بالمكلف كالصوم والحج والعمرة والاعتكاف ، ومنها مايتعدى المكلف كالصدقة والكفارات وعلى قدر التعدى يكون الفضل . ولذلك كانت الصلوات أفضل العبادات التى بالأبدان بعد المعرفة والايمان ، لأن فائدتها تنقسم إلى مختصة بالمصلى وإلي متعلقة بالله ورسوله . وجميع أهل الايمان . والصلاة على هذا التقدير أجمع خصلة من خصال الدين ، وذلك أن أولها الطهارة سرا وجهرا ثم جمع الهمة وإخلاء السر وهو النية ، ثم الانصراف عن مادون الله إلى الله بالقصد اليه وهو التوجه ، ثم الاشارة برفع اليدين إلي نية مايربط ، ثم أول الاذكار فيها التكبير ، وهو النهاية في تعظيم قدرة الله تعالى ، وهو قوله الله أكبر ، ثم أول ثناء فيها ثناء لا يشوبه ذكر شيء سواه وهو قوله سبحانك اللهم وبحمدك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، ثم قراءة كلامه وهي الفاتحة التى جعلها بينه وبين عبده يقرؤها قائما منتصبا قد زم جوارحه هيبة وخشوعا وإجلالا وتعظيما . ثم تحقيق ماعبر بلسانه عن ضميره من التعظيم لله تعالى فعلا وحركة وهو الركوع والسجود ، وأذكارهما تنزيه الله عز وجل لاجلاله وتعظيمه بقوله سبحان ربى العظيم ، سبحان ربى الاعلى ، ثم مع كل تكبيرة ما عدا الرفع من الركوع فانه يقول ، سمع الله لمن حمده ،

باجماع ، فاذا تشهد أضاف جميع الاعمـال الى الله تعالى ، ثم يسـلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويشهد له بالرسالة ، ثم يسلم على جميع عباد الله الصالحين وذلك متعلق بكل عبد صالح من أهل السموات والارض ، ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وجوبا عند الشافعي ومحمد بن المواز ومن وافقه ، وندبا عند الجميع . ثم يتعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المسيح الدجال ، ومن فتنة المحيا والممات وجوبا عنـد طاوس وندبا عند الجميع . وليست هذه الخصال باجمعها أجمـل منها فى الصلاة ، ولذلك كان عليه السلام يقول « وجعلت قرة عيني فى الصلاة » وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الـكتب المنزلة من السماء : إن الله تعالى قال لابراهيم عليـه السلام أتدرى لم اتخذتك خليلا ، قال لا يارب ، قال لزلة مقامك بين يدى في الصلاة ، ذكره أبو نعيم الحـافظ ولشرفها وفضلها وصفت بالنهي عن الفحشاء والمنكر ، ورفع الدرجات ، وتكفير الخطيات ، ومقصودها الأعظم تجديد العهد بالله عز وجل ، ومناجاته . حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم « المصلى يناجي ربه عز وجل » وقد اشتملت من أعمال القلوب والالسن والجوارح فرضا وندبا على ما لم يشتمل عليه غيرها ، ونهي فيها عن أعمال وأقوال لم ينه فى غيرها عنها ، كل ذلك ليتوفر المـكلف على الاقبال عليها . ولذلك جعلت لها مواقيت متقاربة لئلا يبعد عهد العبد بذكر الله تعالى ، قال تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) وقال (فسبحان الله حـين تمسون وحين تصبحون) الى قوله (وحـين تظهرون) وقال تعالى (وأقم الصلاة لذكرى) قيل لتذكرنى فيها واذكرك بهـا . وقيل عند خلق الذكر بها . وهذا لمن نام عنها أو نسيها

كما قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها» فان الله عز وجل يقول (أقم الصلاة لذكرى) . وكان ابن شهاب يقرؤها (للذكرى) .

الباب السابع عشر

(فى المدة التى يستحب فيها ختم القرآن فى الصلاة وفضل ذلك)

مسلم (١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم وإما أرسل لى فقال « ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة ؟ » فقلت بلى يانبي الله ولم أرد بذلك الا الخير ، قال « فان بحسبك من ذلك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام » قلت يانبى الله إني أطيق أفضل من ذلك ، قال « فان لزوجك عليك حقا ، ولزورك عليك حقا ، ولجسدك عليك حقا ، فصم صوم نبي الله داود عليه السلام فانه كان أعبد الناس » قال : قلت يانبى الله وما كان صوم داود ؟ قال « كان يصوم يوما ويفطر يوما ، واقرأ القرآن فى كل شهر » قال قلت يانبي الله إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال «فاقرأه فى كل عشرين » قال قلت يانبي الله إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال « فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك فان لزوجك عليك حقا ولجسدك عليك حقا » قال فشددت فشدد على . قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إنك لا تدرى لعلك يطول بك عمرك » قال فصرت

(١) لعله يريد من عزو الحديث الى مسلم كونه بهذا السياق وإلا فهو متفق عليه

الى الذي قال النبي صلي الله عليه وسلم ، فلما كبرت وددت أنى قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم

قال علماؤنا رضى الله عنهم : قوله اقرأه فى كل شهر ، ثم قال بعد ذلك فى كل عشرين ، ثم قال فاقرأه فى كل سبع هكذا في أكثر الروايات لمسلم ، ووقع في كتاب ابن أبى جعفر وابن أبى عيسى زيادة فاقرأه فى عشر ، وبعد ذلك قال له اقرأه فى سبع ، وخرج الترمذى أبو عيسى عن أبى بردة عن عبد الله بن عمرو قال قلت يارسول الله فى كم أقرأ القرآن ؟ قال « اختمه فى شهر » قلت إنى أطيق أفضل من ذلك قال « اختمه في عشرين » قلت إني أطيق أفضل من ذلك ، قال « اختمه في خمس عشرة » قلت إني أطيق أفضل من ذلك قال « اختمه فى عشر » قلت إني أطيق أفضل من ذلك قال « اختمه فى خمس » قلت إنى أطيق أفضل من ذلك ، قال فما رخص لى . قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح غريب مستغرب من حديث أبي بردة عن عبدالله بن عمرو وقدروى هذا الحديث من غير وجه عن عبد الله بن عمرو . وروى عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث » خرجه الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح ونحوه عن ابن مسعود (١) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث لم يفقه » وروي عن عبد الله بن عمرو (٢) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له « إقرأ

(١) رفعه إلى النبى صلي الله عليه وآله سلم وهم بل هو موقوف على ابن مسعود أخرجه أبو عبيد ومحمد بن نصر والطبرانى وغيرهم بلفظ فهو راجز وأخرجه سعيد ابن منصور عنه قال اقرءوا القران فى سبع ولا تقرءوه فى أقل من ثلاث وسنده صحيح .

(٢) أخرجه الترمذى من طريق عبد الله بن المبارك عن معمر عن سماك عن

القرآن فى أربعين » وقال اسحاق بن ابراهيم : ولانحب للرجل أن يأتى عليه أكثر من أربعين يوما ولم يقرأ القرآن لهذا الحديث . وقال بعض أهل العلم لايقرأ القرآن فى أقل من ثلاث للحديث الذى روي عن النبى صلى الله عليه وسلم . وروى عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث ، وكان تميم الدارى يختم فى كل سبع . وعن خيثمة بن عبدالرحمن أنه كان يختم القرآن فى ثلاث ، وكذلك طلحة بن مصرف ، وحبيب بن أبي ثابت ، والمسيب بن رافع كانوا يختمون القرآن فى كل ثلاث ثم يصبحون فى اليوم الذي يختمون فيه القرآن صياما . ورخص بعض أهل العلم فى قراءته فى ركعة . وروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان يقرأ القرآن فى ركعة يوتر بها ، وروى عن سعيد بن جبير عن عثمان أنه قرأ القرآن فى ركعة فى الكعبة . وكان الأسود بن يزيد يختم القرآن فى رمضان فى كل ليلتين وفى غير رمضان فى كل ست ليال . وكان أبو حنيفة يختم في رمضان ستين ختمة ، بالليل ختمة ، وبالنهار ختمة . والترتيل فى القرآن أحب إلى أهل العلم .وري الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الاصول له فى الأصل الثانى والثمانين والمائة ، أخبرنا عمر بن أبي عمر العبدى قال ثنا المسيب بن واضح السلمى قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن سماك بن الفضل عن وهب

وهب بن منبة عن عبد الله بن عمرو به وقال حسن غريب وقد روى بعضهم عن معمر عن سماك عن وهب أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآن فى اربعين قلت أخرجه محمد بن نصر عن محمد بن عبيد ثنا محمد بن ثور عن معمر به لكن فيه وهب بن منبه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهو فى سنن أبى داود من رواية عبد الرزاق عن معمر عن وهب عن عبد الله بن عمرو أنه سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى كم يقرأ القرآن قال فى أربعين يوما الحديث وفى آخره ولم ينزل من سبع وسيورده المؤلف من عند الترمذى الحكيم .

ابن منبه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يقرأ القرآن فى أربعين ليلة ، فاستزاده حتى رجع إلى سبع. قال أبو عبد الله والأربعون مدة الضعفاء وأولى الاشغال تنقسم الجميع على الاربعين فيكون فى كل يوم مائة وخمسون آية ، وزيادة آيات يسيرة . وفى السنه تبلغ ختمة تسع مرات . وأما توقيت السبع فانه للاقوياء الذين يقدرون على سهر الليل واحترفوا العبادة وتفرغوا من أشغال النفس والدنيا .

قال المؤلف رحمه الله : وروى عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدي وكان قد بكي شوقا إلى الله تعالي ستين عاما ـ قال : رأيت كأن ضفة نهر تجرى بالمسك الأذفر ، حافتاه شجر اللؤلؤ ، ونبت من قضبان الذهب ، فاذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد : سبحان المسبح بكل لسان ، سبحان الموجود بكل مكان ، سبحان الدائم فى كل زمان ، سبحانه سبحانه . قال قلت من أنتن ؟ قلن خلق من خلق الرحمن سبحانه ، قلت وما تصنعن هنا ؟ فلن هذا الكلام :

ذرأنا إله العرش رب محمد لقوم على الاقدام بالليل قوم

يناجون رب العالمين إلههم وتسرى هموم القوم والناس نوم

فقلت بخ بخ لهؤلاء من هؤلاء ؟ لقد أقر الله أعينهم ، قلن أما تعرفهم ؟ فقلت والله ما أعرفهم ، قلن هؤلاء المجتهدون بالليل أصحاب السهر .

وأسند (١) عن ليث عن مجاهد قال : قال رجل يارسول الله من قرأ القرآن فى سبع ؟ قال « فذلك عمل المقربين » قالوا يارسول الله فمن قرأه فى خمس ؟ قال « ذلك عمل الصديقين » قالوا يارسول الله فمن قرأه فى ثلاث ؟

(١) يريد الحكيم الترمذى ولم نقف علي اسناده والغالب عليه الضعف .

قال ذلك عمل عباد النبيين وذلك الجهد ولا أراكم تطيقونه إلا أن تصبروا على مكابدة الليل ويبدأ أحدكم بالسورة وهمه في آخرها » قالوا يارسول الله وفي أقل من ثلاث ؟ قال « لا ، ومن وجد منكم نشاطا فليجعله فى حسن تلاوتها » وقال محمد بن ابراهيم : سألني يحي بن معين عن هذا الحديث وإنما مخرج هذا الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم على المداومة عليه ، وأن يصير هذا عادة وحرفة ، ولو أن رجلا قرأ القرآن فى بعض أيامه ، قرأ القرآن فى يوم واحد أوليلة واحدة لكان فاضلا عظيم القدر . وروي عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه ختمه فى ركعة واحدة قائما ، فانما وقت هذه المدة لمن يداوم عليها ويصيرها عادة موظفة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) ممن يقرؤه فى سبع تيسيرا على الأمة. وكان يبتديء فيجعل ثلاث سور حزب ، ثم من بعده خمس سور حزب ، ثم من بعده سبع سور حزب ، ثم من بعده تسع سور حزب ، ثم من بعده إحدى عشر سورة حزب ، ثم من بعده ثلاث عشرة سورة حزب ، ثم من بعده المفصل حزب ، فذلك سبعة أحزاب. وذكر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة ، وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الاحد يونس إلى مريم ، وليلة الاثنين

(١) هذا مأخوذ من حديث أوس بن حذيفة قال سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده رواه أبو داود وغيره ووقع فى رواية للطبرانى كيف كان رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم يجزىء القرآن فقالوا كان يجزئه ثلاثا وذكره لكن قال الحافظ فى تخريج أحاديث الأذكار لم يقع فى أكثر الروايات فى أحاديث أوس نسبة تحزيب القرآن إلى النبي صلي الله عليه وآله وسلم صريحا والذى وقع فيها كيف تحزبون القرآن .

بطه إلى طسم ، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص ، وليلة الاربعاء بتنزيل إلى الرحمن ، ويختم ليلة الخميس . وقال بعض العلماء : وذهب كثير من العلماء إلي منع الزيادة على السبع أخذا بظاهر المنع في قوله «فاقرأه فى سبع ولا تزد» واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرو عنه أنه ختم القرآن كله في ليلة ولا في أقل من السبع وهو أعلم بالمصالح والأجر ، وفضل الله يؤتيه من يشاء فقد يعطى على القليل مالا يعطى على الكثير ، وقد اختار بعضهم قراءته فى ثمان وكان بعضهم يختمه فى خمس ، وآخر فى ست ، وبعضهم يختم في كل ليلة . وكأن من لم يمنع من الزيادة على السبع حمل قوله صلى الله عليه وسلم « لا تزد » من باب الرفق وخوف الانقطاع ، فان أمن ذلك جاز ، على أن ما كثر من العبادة والخير فهو أحب إلى الله تعالي ، والأولى ترك الزيادة لأن قوله « ولا تزد على السبع » وكذلك قوله فى الخمس ، خرج مخرج التعليم ، والله بحقائق الأمور عليم .

وحكى أن محمد بن شجاع لما حضرته الوفاة أشار إلى بيت فقال : ختمت القرآن في ذلك البيت فى الصلاة ثلاثة آلاف مرة . وعن على بن الفضيل أنه قال لابنه : ادع الله أن يرزقني ختم القرآن ، وكان إذا أخذ فى السورة لا يقدر أن يتمها .

الباب الثامن عشر

(فى فضل ختم القرآن وما يستحب فيه)

ابن شاهين أخبرنا محمد بن هارون بن الهيثم الجوهرى حدثنا الحسن

ابن عرفة ثنا محمد (١) بن مروان الكوفي عن عمرو بن ميمون عن الحجاج بن فرافصة عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن نظرا وظاهرا حتى يختمه غرس الله له به شجرة في الجنة لو أن غرابا أفرخ في ورقة من تلك الشجرة ثم نهض يطير لأدركه الهرم قبل أن يقطع تلك الورقة من تلك الشجرة » وروي من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير الأعمال (٢) افتتاح القرآن وختمه » وروى سفيان الثورى عن حبيب بن أبي عمرة قال : إذا ختم القرآن قبل الملك بين عينيه . حدث به أحمد بن حنبل فاستحسنه وقال : هذا من مخبآت سفيان . وقد روي ذلك عن سفيان قوله .

قال المؤلف رحمه الله : وأيهما كان فمثله لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع . وقال العلماء : يستحب لقارىء القرآن إذا ختمه أن يجمع أهله

---

(١) هو السدى الصغير يدلسونه لوهنه وشيخه فيه مقال والحجاج لم يسمع احدا من الصحابة والحديث ورد من وجه آخر من رواية ابن الزبير عند البزار والطبراني والحاكم وتعقبه الذهبي فقال إنه منكر وأما الحافظ نور الدين فقال في الزوائد فيه محمد بن محمد الهجيمي ولم اعرفه وسعيد بن سالم القداح مختلف فيه وبقية رجال الطبراني ثقات وإسناد البزار ضعيف .

(٢) اختصره المؤلف ولفظه خير الاعمال الحل والرحلة قيل وما الحل والرحلة قال افتتاح القران وختمه وهو من رواية بشر بن الحسين الاصبهاني عن الزبير بن عدى عن أنس وبشر قال ابو حاتم يكذب على الزبير وحكم هو وجماعة ببطلان هذا الحديث وقد اخرجه الترمذى من حديث ابن عباس واستغربه وكذا الطبراني والحاكم وقال تفرد به صالح المرى وهو من الزهاد إلا أن الشيخين لم يخرجاه وتعقبه الذهبي بأنه متروك ثم أخرج له الحاكم شاهدا من حديث أبى هريرة وسكت عنه وتعقبه الذهبي بأنه موضوع على سند الصحيحين وفيه مقدام بن داود متكلم فيه والافة منه ورواه الترمذى من مرسل زرارة بن اوفى وقال هذا عندى اصح .

فانه روى عن أنس بن مالك أنه كان يجمع أهله عند ختم القرآن . وعنه أنه كان إذا أشفى على ختم القرآن بالليل بقى أربع سور أو خمس سور ، فاذا أصبح جمع أهله فختمه ودعا، ويستحب لمن علم بالختم أن يحضره . وروى عن قتادة أن رجلا كان يقرأ القرآن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابن عباس يجعل عليه رقيبا فاذا أراد أن يختم قال لجلسائه : قوموا بنا حتى نحضر الخاتمة . وعن مجاهد كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقولون : الرحمة تنزل . وعن الحكم بن عيينة قال : كان مجاهد وعنده ابن أبى لبابة وأناس يعرضون القرآن . فاذا أرادوا أن يختموه أرسلوا إلينا وقالوا : إنا نريد أن نختم فاحببنا أن تشهدونا فانه يقال إذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند ختمه ، أو حضرت الرحمة عند ختمه . وقال وهيب بن الورد قال لى عطاء : بلغنى أن حميد الأعرج يريد أن يختم القرآن ، فانظر اذا أراد أن يختم فاخبرنى حتى أحضر الختمة . ويستحب أن يختم أول النهار فان ابراهيم التيمي قال : كانوا يقولون إذا ختم الرجل القرآن أول النهار صلت عليه الملائكة بقية يومه ، وكذلك إذا ختم أول الليل . وقد روى هذا مرفوعا عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبى وقاص قال قال (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ختم القرآن أول النهار صلت عليه الملائكة حتي يمسى ومن ختمه آخر النهار صلت عليه الملائكة حتى يصبح » وقال مجاهد : من ختم القرآن نهاراً وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى ، ومن ختمه ليلا وكل به سبعون الف ملك يصلون عليه حتى يصبح . وكانوا يستحبون أن يكون ختم القرآن فى

(١) اخرجه ابو نعيم فى الحلية ويقول المناوى إن سنده واه

أول النهار أو فى أول الليل لهذا الحديث ، وكانوا يستحبون أن يختموا قبل الليل أو قبل النهار . وقال عبد الله بن المبارك : إذا كان الشتاء فاختم القرآن فى أول الليل ، وإذا كان الصيف فاختمه فى أول النهار . وكان طلحة ابن مصرف وحبيب بن أبي ثابت والمسيب بن رافع يصبحون في اليوم الذى يختمون فيه صياما ، وقد تقدم . ويستحب فيه التكبير من أول سورة والضحى لأن القرآن عبادة تنقسم الى أبعاض معدودة متفرقة ، فكانت كصيام شهر رمضان ، وقد أمر الله الناس إذا أكملوا العدة أن يكبروا الله على ماهداهم . فالقياس على ذلك أن يكبر قارىء القرآن فانما قلنا يكبر من سورة والضحى لما رواه مجاهد عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا بلغ آخر والضحى كبر بين كل سورتين تكبيرة الله أكبر هكذا إلى أن يختم القرآن . وكان المعنى فى ذلك أن الوحى تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه السورة فقال الله أكبر . قال مجاهد : قرأت على ابن عباس رضى الله عنه فأمرنى به وأخبرنى عن أبى عن النبي صلى الله عليه وسلم . واختلف القراء فى وصل السورة بالتكبيرة والسكت بينهما ، فروى أن القارىء يسكت إذا فرغ من السورة سكوتا مقطوعا ، ثم يكبر ويبسمل ويقرأ . وروي أنه يكبر ويبسمل ويصل التكبير بآخر السورة ولا يسكت بينهما . ولا يجوز الوقوف على التكبير دون أن يصله بالبسملة ثم بأول السورة المؤتنفة .

﴿ فصل ﴾ فاذا فرغ من الختم وسلم اتبع التكبير بالحمد والتصديق والثناء والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحمد لله الحى

القيوم الذى لايموت ذي الجلال والاكرام، والمواهب العظام، والمتكلم بالقرآن، والخالق للانسان، والمنعم عليه بالايمان، والمرسل رسوله بالبيان، وهو أصدق القائلين. أحمده حمد المخلصين، وأتقيه وأتوكل عليه توكل الموقنين، وأرتجيه وأعبده عبادة المخبتين، وأستهديه وأستعينه استعانة المذعنين، وأستكفيه وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لاشريك له العزيز الوهاب، القدير الغالب، غفار الذنوب، وستار العيوب، وعلام الغيوب، وقابل التوب ممن يتوب، وكاشف الغموم، والمجيب دعوة المظلوم، ذلك الله الحى القيوم ذوالجلال والاكرام، الشافي من الادواء والاسقام، والفارج الكروب العظام، رب المشارق والمغارب، وفاطر السموات والكواكب، والمتفضل بالآلاء والمواهب، وخالق الانسان من طين لازب. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا. بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ونهج شرائع الملة، وعبد ربه حتى أتاه اليقين. صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا. ثم يدعو بما تيسر له وقيل ليوسف بن أسباط: ماتقول إذا ختمت القرآن؟ قال أقول اللهم لاتفتنى خمسين مرة. وقال المبارك بن فضالة: كان الحسن إذا ختم القرآن دعا بهذا الدعاء:

اللهم لك الحمد كما هديتنا للدين العظيم، وعلمتنا من القرآن الكريم اللهم أنت علمتناه قبل رغبتنا اليك فى تعليمه، وخصصتنا به قبل معرفتنا بفضله. اللهم فاذا كان ذلك من منك وجودك وكرمك لطفا بنا ورحمة لنا، من غير حولنا ولاقوتنا فاغفر لنا. اللهم فهب لنا رعاية حقه، وحسن تلاوته

وإيمانا بمتشابهه ، وتفكرا فى أمثاله ، وتثبيتا فى تأويله، وهدى في تدبره ، وبصيرة بنوره . اللهم إنك أنزلته شفاء لأوليائك ، وسقما على أعدائك ، وغما على أهل معصيتك ، وهدى لأهل طاعتك ، فاجعله دليلا على عبادتك ، وقائدنا إلى رضوانك ، واجعله لنا حصنا حصينا من عذابك ، وحرزا منيعا من غضبك وعقابك ، وحاجزا وثيقا من سخطك ، ونورا يوم لقائك ، نستضىء به في خلقك ، ونجوز به صراطك ، ونهتدي به إلى جنتك . اللهم إنا نعوذ بك من الشقاء فى حمله ، والجور عن حقه ، والغلو فى قصده ، والتقصير دون واجبه . اللهم احمل عنا ثقله ، وأوجب لنا حقه ، وأدعنا شكره ، واجعلنا نعيه ونحفظه ، ونقيم حكمه ، ونراعى حدوده ، ونؤدى فرائضه ، ونحل حلاله ، ونحرم حرامه ، ونحى معالمه ، ونتقي محارمه . اللهم أدل قلوبنا عند عجائبه التى لاتنقضى ، وأشربها لذة فى ترديده وخشية عند ترجيعه . اللهم انفعنا بما صرفت فيه من الآيات ، وكفر عنا بتلاوته السيئات ، ولقنا به البشرى الحسنة عند الممات . اللهم إنك سميته مباركا فارزقنا به من كل بركة ، اللهم إنك جعلته نجاة فنجنا به من كل هلكة ، اللهم إنك جعلته عصمة فاعصمنا به من كل بدعة وشبهة . اللهم ألزم به قلوبنا السكينة والوقار ، والفكرة والاعتبار ، والتوبة والاستغفار . حتى لانشترى به ثمنا ، ولا نبتغي بالقرآن بدلا ، ولا نؤثر عليه عرضا من أعراض الدنيا أبدا ، إنك أنت السميع الدعاء . آخر دعاء الحسن .

وإن زدت عليه مايناسبه فلا بأس تقول :

اللهم انفعنا بالقرآن العظيم وارحمنا به ، اللهم أكرمنا بالقرآن الكريم وانفعنا به . اللهم أصلحنا بالقرآن المجيد وأجرنا به ، اللهم

احفظنا بالقرآن واحرسنا به ، اللهم سلمنا بالقرآن وأعصمنا به ، اللهم انصرنا بالقرآن واكلأنا به ، اللهم أعزنا بالقرآن واحفظنا به من كل سوء واغفر لنا بالقرآن كل ذنب ، واستجب لنا بالقرآن كل دعاء ، واشفنا بالقرآن من كل عين وداء ، اللهم افرج عنا بالقرآن كل غمة ، واكشف عنا بالقرآن كل كربة ، ونبهنا بالقرآن من كل رقدة ، وأزح عنا بالقرآن كل غفلة ، واصرف عنا بالقرآن كل بلية ، وكفر عنا بالقرآن كل خطيئة . اللهم وسع علينا بالقرآن رزقك ، وأنزل علينا بالقرآن فضلك الذي نرجوه ، يامن يجيب دعوة داعيه ، ولايخيب راجيه . اللهم أكرمنا بالقرآن في مجلسنا هـذا كرامة لاتهيننا بعـدها أبدا ، وارفعنا به رفعة لانضعنا بعدها أبدا ، واعزنا به عزا لاتذلنا بعده أبدا ، وارزقنا به رزقا هينا لاتحرمنا بعده خيرا أبدا . اللهم زدنا به حب الايمان والاسلام ، والصلاة والزكاة والصيام ، وادمان حج بيتك الحرام ، وجهاد أعـدائك اللئام ، وإقامة الحـدود والأحكام . اللهم احينا به حياة الأخيار ، وتوفنا مع عبادك الابرار ، وارزقنا العافية وذريتنا فى أنفسنا وأهلينا وأموالنا . اللهم استر به عوراتنا ، وآمن به روعاتنا ، واغفر به خطيئاتنا ، واحفظنا به من جميع جهاتنا . اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا . اللهم إنا نسألك من كل خـير سألك منه محمد عبـدك ورسولك ، ونعوذ بك من كل شر عاذ بك منه محمد عبـدك ونبيك ورسولك . اللهم صـل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم فى العالمين إنك حميـد مجيد .

اللهم صل على ملائكتك المقربين ، وأنبيائك المرسلين ، وسلم عليهم وعلى عبادك الصالحين ، من أهـل السموات والارضين . ربنا آتنافى الدنيا حسنـة وفى الآخرة حسنة وقنا عـذاب النار ، ثم تدعو بدعوات من القرآن ثم تقول : سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمـد لله رب العالمين .

قال المؤلف رحمـه الله : وإن قال بعد الحمـد لله ، والثناء ، والتصديق والصلاة على محمد خير الأنبياء :

اللهم إنك أهل الفضل والاحسان ، والطول والامتنان ، كما هديتنا للايمـان وعلمتنا القرآن ، وخصصتنا بفضله وجعلتنا من أهله فاجعلنا اللهم ممن يرعاه حق رعايته ، ويقوم بقصده ، ويوفى بشرطه ، ولا يلتمس الهدى فى غيره . اللهم اهدنا لأعلامه الظاهرة ، وأحكامه القاطعة ، واجمع لنا به خيري الدنيا والآخرة . فانك أهل التقوى وأهل المغفرة ، اللهم اجعله لقلوبنا حبيبا وربيعا ، ولأبداننا من عذابك حصنا منيعا ، ولصدورنا من الشـك شفاء ، ولمـا اجترحنا من الذنوب ماحقا . اللهم اجعله لنا إلى مقر رحمة كرامتك دليلا سائقا ، وعونا على العمل بطاعتك كافيا ، وحرزا من سوء قضائك وقـدرك واقيا . اللهم اغفر لنا به موبقات الذنوب ، واسـتر علينا به قبائح العيوب ، وبلغنا به كل محبوب ، وسلمنا به من كل مرهوب ، وأنلنابه الفوز والبشرى واكشف عنا به الضر والبلوى ، واجعلنا اللهم به مع الذين أوجبت لهم جنة المأوى ، وأنقذتهم من لظى يارب العالمين .

وتدعو بدعوات من القرآن كما ذكرنا فحسن جميل . والدعاء فى هذا كثير .

وروى عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من

قرأه - يعنى القرآن - حتى يختمه كانت له دعوة مستجابة معجلة أومدخرة »
وروى قتادة عن أنس (١) بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« عند ختم القرآن دعوة مستجابة » .

الباب التاسع عشر

(في أن القلوب تصدأ وجلاؤها القرآن)

حدثنا الشيخ الفقيه الامام أبو القاسم عبد الله إجازة عن أبيه الشيخ الفقيه الامام العالم المحدث أبى الحسن على بن خلف بن معزوز بن فتوح الكوفى التلمسانى قال قرىء على الشيخة الصالحة الجليلة فخر النساء خديجة بنت أحمد بن الحسن بن عبد الكريم النهروانى فى منزلها وأنا حاضر أسمع وذلك في التاسع من رمضان سنة أربع وستين وخمسمائة قيل لها أخبركم الشيخ أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أحمد بن طلحة النعالى سنة اثنين وسبعين وأربعمائة فأقرت به وقالت : نعم قال أنا أبو الحسن (٢) أحمد بن محمد زرقويه البزار قال أخبرنا أبو على اسماعيل بن صالح الصفار (٣) سنة ثمان

---

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب هكذا مختصرا وضعفه ورواه من وجه آخر بزيادة وشجرة فى الجنة وأخرجه الخطيب فى ترجمة عبدالله بن أحمد بن الصديق ج ٩ ص ٣٩٠ بلفظ إن لصاحب القرآن عند كل ختمة دعوة مستجابة وشجرة فى الجنة لوأن غرابا طار من أصلها لم ينته إلى فرعها حتى يدركه الهرم وسنده ضعيف أيضا وفى الباب عن جابر وأبى أمامة وغيرهما وهي شواهد يتقوى بمجموعها الحديث بل حديث جابر فيه ضعف قريب محتمل .

(١) وفى نسخة : أبو الحسن بن أحمد الخ :

(٢) هو مخرج الحديث فى جزئه المشهور مات سنة ٣٤١ هـ .

وثلاثين وثلاثمائة قال ثنا عبد الله بن أيوب المخرمى أبو محمد فى شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين قال ثنا عبد الرحيم (١) بن هارون قال أخبرنا عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد» قالوا يارسول الله فما جلاؤها؟ قال «تلاوة القرآن».

الباب الموفى عشرين

(فى أن القرآن والعلم ميراث الأنبياء عليهم السلام)

أبو داود عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» خرجه ابن ماجه أيضا. وذكر أبو الفرج ابن الجوزى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه دخل السوق فقال: أراكم هنا وميراث

---

(٣) هو الغسانى الواسطي، قال الدارقطنى متروك الحديث يكذب وقد أخرجه الخطيب فى ترجمته من التاريخ ج ١١ ص ٨٥ من طريق الصفار وأخرجه محمد بن نصر فى القيام عن عبد الله بن أيوب المخرمى به وكذا أخرجه أبو نعيم والظاهر أن الغسانى تفرد به لأنهم أوردوه فى ترجمته لكن ذكر الذهبي أن حفص بن غياث تابعه عليه عن عبد العزيز لكن معضلا لم يذكر نافعا ولا ابن عمر.

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم ، فذهب الناس إلي المسجد وتركوا السوق ولم يروا ميراثا ، فقالوا ياأباهريرة مارأينا ميراثا يقسم ؟ قال فما رأيتم ؟ قالوا رأينا قوما يذكرون الله تعالى : ويقرؤن القرآن ، قال فذلك ميراث محمد صلى الله علية وسلم .

الباب الحادى والعشرون

(فيما يجوز من السؤال بالقرآن عند تلاوته في الصلاة وخارجها ومالايجوز)

الترمذي عن حذيفة أنه صلي مع النبي صلي الله عليه وسلم فكان يقول فى ركوعه : «سبحان ربى العظيم ، وفي سجوده سبحان ربى الأعلى» وما أتي على آية رحمة إلا وقف وسأل وماأتى على آية عذاب إلا وقف وتعوذ . قال هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابن ماجه أيضا عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى وكان إذا مر بآية رحمة سأل وإذا مر بآية عذاب استجار وإذا مر بآية فيها تنزيه الله سبح . خرجه مسلم بمعناه عن حذيفة وسيأتى فى باب ترتيل القرآن . وخرج عن أبى ليلى قال : صليت إلى جنب رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل تطوعا فمر بآية فقال «أعوذ بالله من النار ويل لأهل النار» .

الترمذى عن عمران بن حصين أنه مر على قارىء يقرأ ثم سأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول « من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجىء أقوام يقرؤن القرآن يسألون به الناس »

قال الترمذى حديث حسن . وذكر الحليمي فى كتاب منهاج الدين له عن الحسن قال : كنت أمشى مع عمران بن حصين فانتهي إلى رجل يقرأ سورة يوسف فجلس إلى جانب حائط ونحن معه ثم سأل الناس فقال عمران : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اقرؤا القرآن واسألوا الله به فان بعدكم أقواما يقرؤن القرآن يسألون به الناس » وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال: « تعلموا القرآن واسألوا الله الجنة قبل أن يجيء قوم يسألون به الدنيا ، وإن القرآن يتعلمه ثلاثة ؛ رجل يباهي به . ورجل يستأكل به ، ورجل يقرؤه لله » وقال عبد الله بن مسعود : سيجيء على الناس زمان يسئل فيه بالقرآن فاذا سألوكم فلا تعطوهم ، وقال ميمون بن مهران لا تتخذوا القرآن بضاعة تلتمسوا به الشف فى الدنيا - يعني الربح - واطلبوا الدنيا بالدنيا ، والآخرة بالآخرة . وصلى عبد الله بن مغفل بهم فى رمضان فلما كان بعد الفطر أرسل اليه عبيد الله بن زياد بخمسمائة درهم وحلة فردهما وقال : إنا لا نأخذ على كتاب الله أجرا . وقال زاذان : من قرأ القرآن ليستأكل به أموال الناس جاء يوم القيامة وليس في وجهه لحم . وروى عن عبد الله بن عمر أنه جاء من المسجد الجامع حتى بلغ أصحاب الدار إذا رجل والناس مجتمعون عليه فنظر فاذا رجل يقرأ ويسأل الناس ، فالتمس سوطا فوجده ثم أتى الناس فقال : أفرجوا فعلا رأسه ضربا حتى سبقه عدوا فقال : يا آل عباد الله ما كنت أرى أني أبقي حتى أرى أحدا يسأل بكتاب الله شيئا .

قال المؤلف رحمه الله : فلا ينبغي لمن حفظ القرآن أن يسأل به غير الله تعالى . وكان بعض السلف إذا ختم القرآن يقول : اللهم اغفر لى بالقرآن ، اللهم ارحمنى بالقرآن ، اللهم اهدنى بالقرآن ، اللهم عافنى

بالقرآن ، وإنما كان هـذا لأن القرآن كلامه فلا ينبغي أن يسأل به غيره .
وأكثر من قولك (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار) لأن حسنة نكرة فى سياق الدعاء فهو يحتمل لكل حسنة من الحسنات
على البدل ، وحسنة الآخرة الجنة باجماع . وقيل بل لم يرد حسنة واحدة بل
أراد إعطاء فى الدنيا عطية حسنة فحذف الاسم وقيل لأنس : أدع الله لنا
فقال : اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قالوا
زدنا فقال : تزيدون ؟ قد سألت الدنيا والآخرة . وقد تقدم فى الباب الثامن
عشر فى ختم القرآن كيف الدعاء به والسؤال . والحمد لله رب العالمين .

الباب الثانى والعشرون

(فى الأمر بتعاهد القرآن)

البخارى قال نا عبد الله بن يوسف قال نا مالك . وقال مسلم حدثنا
يحيي بن يحيي قال قرأت على مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال : « مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة إن عاهد
عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت » وفى صحيح مسلم من حديث موسى
ابن عقبة عن نافع عن ابن عمر من الزيادة فاذا قام صاحب القرآن فقرأه
بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه . وخرج البخارى ومسلم عن أبى
وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بئس ! مالأحدكم
يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى ، استذكروا القرآن فلهو أشد
تفصيا (١) من صدور الرجال من النعم بعقلها» وخرجا عن أبى بردة عن أبى

---

(١) التفصى : بالفاء أى التفلت .

موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تعاهدوا أهل القرآن فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل فى عقلها».

الباب الثالث والعشرون

(فى تنزل السكينة لقراءة القرآن والأمر بمداومة القرآن لذلك)

مسلم قال حدثني يحي بن يحي قال أنا أبو خيثمة عن أبي اسحاق عن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فغشيه سحابة فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح وصلى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال. «تلك السكينة تنزلت للقرآن» قال وحدثنا ابن مثنى وابن بشار واللفظ لابن مثنى قالا: نا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحاق قال سمعت البراء يقول: قرأ رجل الكهف وفى الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فاذا ضبابة أو سحابة قد غشيته قال فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «اقرأ فلان فانها السكينة تنزلت عند القرآن - أو تنزلت للقرآن» والرجل هو أسيد بن حضير رضى الله عنه جاء ذلك فى حديث أبى سعيد الخدرى رواه مسلم. قال حدثني حسن بن علي الحلوانى وحجاج بن الشاعر وتقاربا فى اللفظ قالا: نا يعقوب ابن ابراهيم نا أبي قال نا يزيد بن الهاد أن عبد الله بن خباب حدثه أن أبا سعيد الخدرى حدثه أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخري فقرأ ثم جالت أيضا قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحي فقمت اليها فاذا هو مثل الظلة فوق رأسى فيها أمثال السرج

عرجت فى الجو حتى ماأراها ، قال فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ فى مربد لى إذ جالت فرسى فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم « اقرأ ياابن حضير » قال فقرأت ثم جالت فرسى أيضا فقال « اقرأ ياابن حضير » قال فقرأت ثم جالت أيضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ ياابن حضير » قال فانصرفت وكان يحيي قريبا منها فخشيت أن تطأه فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ماأراها فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم « تلك الملائكة كانت تستمع لك ولوقرأت لأصبحت تراها الناس ماتستتر منهم » خرجه البخارى تعليقا وفيه كان ابنه يحيي قريبا منها فأشفق أن تصيبه .

الباب الرابع والعشرون

(فيما لتالى القرآن فى الصلاة وخارجها ولمستمعه من الثواب العظيم والأجر الجسيم)

قال الليث بن سعد يقال : ماالرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقوله تعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ولعل من الله واجبة .

قال المؤلف رحمه الله : واذا كان هذا الثواب لمستمع القرآن فكيف بتاليه ؟ ! وفي الخبر أنه يدفع عن مستمعه بلوى الدنيا ، وعن تاليه بلوى الآخرة . وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه وسلم : « من استمع إلى آية من كتاب الله له ألف حسنة مضاعفة ومن تلا آية

من كتاب الله تعالى كانت له نورا يوم القيامة » خرجه الوايلى أبو نصر من حديث اسماعيل بن عياش عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس فذكره وقال ابن عباس : من سمع آية من كتاب الله تعالى كانت له نورا يوم القيامة . ذكره مكى رحمه الله . الترمذى نا محمد بن بشار قال حدثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا الضحاك بن عثمان عن أيوب بن موسى قال سمعت محمد ابن كعب القرظى يقول سمعت عبد الله بن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله عز وجل فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، ولا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » ويروى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود رواه أبو الأحوص عن عبد الله ورفعه بعضهم ووقفه بعضهم عن ابن مسعود . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

قال المؤلف رحمه الله : وأنبأنا ابن رواح عن الحافظ السلفي قال أخبرنا أبو الحسن على بن الحسين الفراء الموصلى أنا أبو القاسم عبد العزيز بن الحسن بن الضراب قال أخبرني أبي قال حدثنا أحمد بن مروان قال ثنا أحمد بن على قال ثنا ابن حبيق قال سمعت يوسف بن أسباط يقول : من قرأ القرآن زوجه الله بكل حرف زوجتين من الحور العين وليس ألم حرف ولكن ألف ، حرف ولام حرف وميم حرف . وخرج أبو الفتح نصر بن ابراهيم ابن نصر المقدسي فى الثامن عشر من المواعظ باسناده عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى منكم بالليل فليجهر بقراءته فان الملائكة تصلى بصلاته ويستمعون لقراءته ، وان مؤمني الجن الذين يكونون فى الهواء وجيرانه معه في مسكنه

يصلون بصلاته ويستمعون قراءته، وانه ليطرد بجهر قراءته عن داره والدور التى حوله فساق الجن ومردة الشياطين، وإن البيت الذى يقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نور يهتدى بها أهل السماء كما تهتدون بالكوكب الدري فى لجج البحار، وفى الأرض القفر، وإذا مات صاحب القرآن رفعت تلك الخيمة فتنظر الملائكة من السماء فلا يرون ذلك النور، قال فتتلقاه الملائكة من سماء إلى سماء قال فتصلى الملائكة على روحه فى الأرواح فتستقبل الملائكة الحافظين الذين كانوا معه فيعزونهما ثم تستغفر له الملائكة إلى يوم يبعث» قال «ومامن رجل تعلم كتاب الله عز وجل ثم يصلى ساعة من الليل إلا أوصت تلك الليلة الماضية الليلة المستقبلة لأن تنبهه لساعته وأن تكون عليه خفيفة، فاذا مات رفعت تلك الخيمة وكان أهله فى جهازه يجىء - يعنى ثواب القرآن - فى صورة حسنة جميلة فيكون واقفا عند رأسه حتى يدرج فى أكفانه فيكون القرآن على صدره دون الكفن فاذا وضع فى قبره وسوى عليه التراب وافترق عنه أصحابه أتي منكر ونكير فيجلسانه فى قبره يجىء القرآن حتى يكون بينه وبينهما فيقولان له اليك حتى نسأله فيقول كلا ورب الكعبة إنه لصاحبي وخليلى ولست أخذله على حال، فان كنتما أمرتما بشىء فامضيا لما أمرتما ودعانى مكانى فانى لست أفارقه إن شاء الله تعالى، ثم ينظر القرآن إلى صاحبه فيقول: أسكن وأبشر فانت ستجدنى من الجيران جار صدق، ومن الأخلاء خليل صدق، ومن الأصحاب صاحب صدق، فيقول له من أنت؟ فيقول القرآن أنا الذي كنت تجهر بى وتخفينى وكنت تحبني فأنا حبيبك ومن أحببته أحبه الله، وليس عليك بعد مسألة منكر ونكير من غم ولا هم ولا حزن ويسأله

منكر ونكير فيصعدان ويبقي هو والقرآن ، فيقول له لأفرشنك فراشا لينا ولأدثرنك دثارا حسنا جميلا جزاء لك بما أسهرت ليلك وأظمأت نهارك . قال فيصعد القرآن إلى الله كمر الطرف فيسأل الله عز وجل ذلك له فيعطيه الله ذلك له ، فينزل به ألف ملك من مقربى السماء السادسة ، فيجيئه القرآن فيقول هل استوحشت ؟ مازلت مذ فارقتك أن كلمت الله عز وجل حتى أخرجت لك منه فراشا ودثارا ومصباحا وقد جئتك به ، فقم حتى تفرشك الملائكة قال فتنهضه الملائكة إنهاضا لينا ثم نفسح له فى قبره ثم يوضع له فراش بطائنه من حرير أخضر حشوه المسك الأذفر ، ويوضع له إبريق عند رأسه ورجليه وسراج يدومن إلى يوم القيامة ، ثم تضجعه الملائكة على شقه الأيمن مستقبل القبلة ثم تبتهج الملائكة فى وجهه ثم يزودونه بياسمين من ياسمين الجنة وتصعد عنه ويبقى هو والقرآن فيأخذ القرآن الياسمين فيضعه على أنفه غضا فيستنشق حتى يبعث ، ويرجع القرآن إلى أهله فيأتيه بخبرهم كل يوم كما يتعاهد الوالد الشفيق ولده بالخير فان تعلم أحد من ولده القرآن بشره بذلك وإن كان عقبه عقب سوء دعالهم بالصلاح والاقبال » وخرج أبو داود الطيالسى فى مسنده عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة كتب من القانتين ، ومن قام بألف كتب من المقنطرين » وقد تقدم . وروى أبو الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ مائة آية في ليلة لم يكتب من الغافلين . ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين ، ومن قرأ ألف آية إلى خمسمائة آية أصبح وله قنطار من الأجر القيراط منه مثل التل العظيم »

ذكره مكي رحمه الله فى كتاب الرعاية لتجويد القرآن . وخرج الوايلى عن أبى أمامة قال : من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين ، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب له قنطار ، ومن قرأ سبعمائة آية فتح له ، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من الأجر القيراط من ذلك القنطار لا يقوم به دنيا كم . وخرج من حديث ابن لهيعة عن زياد ابن فايد عن سهل بن معاذ عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ ألف آية فى سبيل الله كتب مع النبيين والصديقين والشهداء إن شاء الله تعالى » وخرج أيضا باسناده عن أبى حازم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائتي آية كتب من القانتين ، ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب له قنطار ، ومن قرأ سبعمائة آية فتح له » قال : حديث غريب بهذا الاسناد . وخرج عن قطر عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر التجار أيعجز أحدكم إذا رجع من سوقه أن يقرأ عشر آيات فيكتب له بكل آية حسنة » وخرج ابن شاهين أبو حفص عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ ثلاثين آية لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ بمائة آية كتب له قنوت ليلة ومن قرأ بمائتى آية كتب من القانتين ، ومن قرأ بأربعمائة آية كتب من العابدين ، ومن قرأ بستمائة آية كتب من الخاشعين ، وإن قرأ بثمانمائة آية كتب من المحسنين ، فان قرأ بألف آية أصبح وله قنطار من الأجر » .

قال ابن شاهين : وحدثنا أحمد بن محمد بن يزيد الزعفرانى قال حدثنا على بن حرب قال حدثنا حفص بن عمر بن حكيم قال ثنا محمود بن قيس

الملائى عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ فى ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ أربعمائة آية أصبح وله قنطار من الأجر القنطار مائة مثقال المثقال عشرون قيراطا القيراط مثل أحد» وروى من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «درج الجنة على قدر آى القرآن لكل آية درجة فتلك ستة آلاف ومائتا آية وستة عشر آية بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض فينتهى به إلى أعلا قبة فى عليين لها سبعون ألف ركن وهي من ياقوتة تضىء مسيرة أيام وليال» ذكره الميانسى القرشي أبو حفص عمر بن عبد المجيد وابن شاهين أيضا عن ميمون بن مهران عن ابن عباس وزاد قال: وتصب عليه حلة الكرامة فلولا أنه ينظر اليها برحمة الله لأذهب تلألؤها بنظره.

وخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه» خرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر اية تقرؤها» وفى رواية «فان منزلتك من الدرجات عند آخر ما تقرأ» ذكره مكي موقوفا وقالت عائشة رضى الله عنها: إن عدد آى القرآن على عدد درج الجنة. وليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن. ذكره مكى رحمه الله موقوفا وقال صلى الله عليه: «إن القرآن ليلقي صاحبه يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني؟ فيقول ما أعرفك، فيقول أنا صاحبك الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك وان كل تاجر من وراء تجارته

اليوم ، وإني من وراء كل تجارة ، قال فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بم كسيتنا هذا ؟ فيقال لهما بأخذ ولد كما القرآن. ثم يقال له اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، قال فهو فى صعود مادام يقرأ هذا كان أو ترتيلا » ذكره هذا الخبر الحليمى فى كتاب منهاج الدين له . وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن : يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارق ، فان كان يهذه أعطى بقدر هذه وإن كان يرتله أعطي بترتيله .

الباب الخامس والعشرون

(فى ثواب من قرأ القرآن فأعربه)

أسند أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الانبارى قال نا أبى قال نا إبراهيم بن الهيثم قال نا آدم — يعنى ابن أبى إياس — قال نا أبو الطيب المروزى قال نا عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قرأ القرآن فلم يعربه وكل به ملك يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات ، وإن أعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان بكل حرف عشرين حسنة فان أعربه وكل به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة » وخرج أبو حفص عمر بن شاهين قال حدثنا عبد الله بن سليمان قال نا الحسين بن على بن مهران قال حدثنا عبد الله بن هارون الغسانى عن أبى عصمة عن زيد العمى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن على أى حال قرأه فله بكل حرف عشر حسنات فان أعرب

بعضه ولحن بعضه كتب له بكل حرف عشرون حسنة فان أعربه كله فله بكل حرف أربعون حسنة » وخرج أبو نعيم الحافظ قال ثنا أبو النصر شافع بن محمد بن أبي عوانة قال حدثنا محمد بن عبد الله الفرغاني أخو زغل قال حدثنا على بن حرب قال حدثنا عبد الرحمن بن يحيي قال حدثنا مالك ابن أنس عن عبدالرحمن بن القاسم عن ابيه عن عائشه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن فأعربه كانت له عند الله دعوة مستجابة إن شاء عجلها له فى الدنيا وإن شاء أدخرها له فى الآخرة » حديث غريب من حديث مالك تفرد به عبد الرحمن . وعن الشعبي قال قال عمر : من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد . وقال مكحول : بلغنى أن من قرأ القرآن باعراب كان له من الأجر ضعفان ممن قرأ بغير إعراب . وقال صلى الله عليه وسلم : «أعربوا القرآن واتبعوا غرائبه وفرائضه وحدوده» .

﴿ فصل ﴾ قال العلماء : إعراب القرآن أصل فى الشريعة لأن به تقوم معانيه التى هي الشرع . وروى سفيان عن أبي حمزة قال قيل للحسن فى قوم يتعلمون العربية : قال أحسنوا يتعلمون لغة نبيهم صلى الله عليه وسلم . وقيل له إن لنا إماما يلحن ؟ قال : أخروه . وكان عمر يضرب ولده على اللحن . وذكر عن ابن مجاهد رحمه الله أنه قال : اللحن لحنان ، لحن جلى ، ولحن خفى ، فاللحن الجلى لحن الاعراب . واللحن الخفى ترك إعطاء الحروف حقوقها من تجويدها عند مخارج الحروف . قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت غير واحد من الفقهاء يقول : إن الصلاة غير جائزة خلف من لا يميز بين الضاد من الظاء ، ولم يفرق بينهما بمعرفة اللفظ . وذلك على ماحكوه لانقلاب المعني وفساد المراد على مابيناه فى كتابنا في القراءات في باب مخارج الحروف .

وعن ابن أبي مليكة قال : قدم اعرابي فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : من يقرئني مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأقرأه رجل براءة فقال إن الله برىء من المشركين ورسوله بالجر، فقال الاعرابى : أوقد برىء الله من رسوله ؟ ! فان يكن برىء من رسوله فأنا أبرأ منه . فبلغ عمر مقالة الاعرابى فدعاه فقال له يااعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! فقال ياأمير المؤمنين إنى قدمت المدينة ولاعلم لى بالقرآن فسألت من يقرئني فأقرأني هذا سورة براءة فقال إن الله برىء من المشركين ورسوله فقلت أوقد بريء الله من رسوله ؟ ! إن يكن الله برىء من رسوله فأنا أبرأ منه ، فقال عمر : ليس هكذا يااعرابي ، قال فكيف هي ياأمير المؤمنين ؟ قال إن الله برىء من المشركين ورسوله . فقال الاعرابى أنا أبرأ والله مما بريء منه الله ورسوله . فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لايقرىء القرآن إلا عالم بالعربية ، وأمر أبا الاسود فوضع النحو . وقد قيل إن المعنى فى الاعراب تمييز لسان العرب عن لسان العجم لأن أكثر كلام العجم مبني على السكون وصلا وقطعا ، فلا يتميز الفاعل من المفعول والماضى من المستقبل فنهي الناس عن أن يقرؤا القرآن الا بلسان العرب والا كانوا تاركين للاعراب فيكون قد شبهوا من هذا الوجه بالأعجمية .

الباب السادس والعشرون

(في فضل قراءة السر على الجهر والجهر جائز)

روى ابو داود والنسائي والدارمي والترمذى عن عتبة بن عامر قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة» قال الترمذي: حديث حسن غريب.
ومعنى هذا الحديث أن الذى يسر بالقرآن أفضل من الذي يجهر بقراءة القرآن لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية. وإنما معنى هذا عند أهل العلم لكي يأمن الرجل من العجب لأن الذي يسر بالعمل لايخاف عليه من العجب مايخاف عليه من العلانية.

قال المؤلف رحمه الله: أحوال الناس فى هذا الباب تختلف، فمن كان ضعيفا يخاف على نفسه من العجب والرياء فالسر له أفضل، وأمامن كان قويا في دينه قد استوى عنده المدح وغيره وكان إماما يقتدى به فالجهر فى حقه أفضل اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال كريب سألت ابن عباس عن جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة بالليل قال: كان يقرأ فى حجرته قراءة لو أراد حافظ أن يحفظها لفعل. وقالت أم هانىء كنت أسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل وأنا على عريشي. وقال عبد الله بن قيس سألت عائشة رضي الله عنها كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أكان يجهر أو يسر؟ قالت. كلا قد كان يفعل ربما جهر وربما أسر، قلت الحمد لله الذى جعل في الأمر سعة.
وكان أبو هريرة إذا قرأ رفع طورا وخفض طورا. وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك. قال العلماء: وانما كان ذلك لأن القراءة إذا طالت فالجمع فيها بين الجهر والمخافتة أعون على الدوام، لأن المسر يمل فيما يسر فيأنس بالجهر، والجاهل يكل فيستريح بالاسرار إلا أن من قرأ بالليل جهر بالأكثر وأسر بالأقل، وإذا قرأ نهارا أسر بالاكثر وجهر بالاقل إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر بالقراءة وربما يسمع الآية والآيتين

أحيانا . ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ في الركعتين في الظهر في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة وكان يطول في الاولى ويقصر في الثانية ويسمعنا الآية أحيانا ، وإذا قرأ بالنهار في بيت أومسجد أوموضع لا لغو فيه ولم يكن في صلاة رفع صوته بالقراءة ، فان قرأ بالليل في جمع قد رفعت فيه الأصوات وكان يعلم أنه إن جهر لم ينصت له فلا ينبغي له أن يقرأ إلا سرا والله أعلم .

الباب السابع والعشرون

(فيما جاء فيمن تعلم القرآن وعلمه)

البخاري قال حدثنا حجاج بن المنهال قال ثنا شعبة قال أنا علقمة بن مرثد قال سمعت سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خيركم من تعلم القرآن أوعلمه » قال فأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه حتي كان الحجاج . قال أبو عبد الرحمن : وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا . خرجه الترمذي أيضا قال نا محمود بن غيلان قال حدثنا أبو داود قال ثنا شعبة فذكره وقال حديث حسن صحيح . ورواه من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من جهة عبدالرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي . وفي البخاري أيضا عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » صححه الترمذي .

قال المؤلف رحمه الله : وأنبأ ابن رواج إجازة عن الحافظ السلفي قال

نا القاضي أبو عمرو مسعود بن علي بن الحسين الملحي بأردبيل قال نا أبو علي محمد بن وشاح بن عبيدالله الكاتب ببغداد أنا أبو القاسم عيسى بن علي بن داود بن الجراح الوزير قال نا أبو عبيد علي بن حسين بن خرب القاضي قال أخبرنا زكريا بن يحي الكوفي ثنا عبد الله بن صالح اليماني قال ثنا أبو همام القرشي عن سليمان بن المغيرة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال لي رسول صلى الله عليه وسلم : «يا أبا هريرة علم الناس القرآن وتعلمه فانك إن مت وأنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما يزار البيت العتيق ، وعلم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك ، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث في دين الله حدثا برأيك» .

﴿ فصل ﴾ قال العلماء : تعليم القرآن أفضل الأعمال لأن فيه إعانة على الدين فهو كتلقين الكافر الشهادة ليسلم وإنما استنقص الناس المعلمين لمعنيين أحدهما أنهم يقصرون زمانهم على معاشرة الصبيان الذين لا عقول لهم فيؤثر ذلك علي تطاول الأيام في عقولهم كما يزاد عقل من عاشر الحكماء . وأبو عبد الرحمن السلمي وأشباهه لم يكونوا بهذه الصفة وإنما كانوا يلقن الواحد بعد الواحد آيات فيأخذها وينصرف ثم يجالس الكبراء ويستفيد منهم .

والوجه الآخر مايجرى منهم من الاطماع الكاذبة وأخذ الأشياء من الصبيان فلم يوقروا لوجود الشره منهم ، ومن استحقر معلما لأجل تعليمه خيف عليه . وقد بعث الله تعالى جبريل عليه السلام ليعلم النبي صلى الله عليه وسلم وقال سبحانه وتعالى (علمه شديد القوي) وما تعلمه أول من تعلمه من الامة إلا من النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان الأولون الذين ذكرنا أنهم

كانوا يعلمون القرآن بمعزل عن هذه الرذائل فلذلك استحقوا المدح .

(حديث عن حمزة رضى الله عنه)

وروى مجاهد عن الزبير قال : دخلت على حمزة بن حبيب الزيات فوجدته يبكي فقلت مايبكيك ؟ فقال فكيف لاأبكي وقد رأيت ربى تبارك وتعالى الليلة فى منامى كأنى قدأ عرضت على الله تعالى فقال لى ياحمزة اقرأ القرآن كما علمتك فوثبت قائما فقال لى ياحمزة اجلس فانى أحب أهل القرآن ، ثم قال لى اقرأ فقرأت حتى بلغت سورة طه فقرأت (بالواد المقدس طوي وأنا اخترتك) فقال لى ياحمزة بين فقال طوى وأنا اخترناك ثم قال لى اقرأ فقرأت حتى بلغت سورة يس فأردت أن أغطى فقلت تنزيل العزيز الرحيم فقال جل وعز قل تنزيل العزيز الرحيم ياحمزة كذا قرأت وكذا أقرأت حملة عرشي وكذلك يقرأ المقرؤن ، ثم دعا بسوار فسورنى وقال جل وعز هذا بقراءتك الناس ، ثم دعا بمنطقة فمنطقني فقال جل وعز هذا بصومك النهار ، ثم دعا بتاج فتوجنى ثم قال جل وعز هذا بأقرائك الناس ، ياحمزة لاتدع تنزيلا فانى أنزلت تنزيلا ، أفتلو منى على أن أبكى ؟ !

ويقال إن حمزة هذا كان ورعا زاهدا لم يوصف أحد من القراء السبعة بما وصف به حمزة رضى الله عنه من الزهد والتحرز عن أخذ الأجرة على تعليم القرآن لانه روى الحديث الذى فيه التغليظ فى أخذ الاجرة على تعليم القرآن فتمذهب به رضى الله عنه وسيأتي .

مسلم عن عقبة بن عامر قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال : «أيكم يحب أن يغدو كل يوم الى بطحان - أوالى العقيق -

فيأتي منه بناقتين كومايتين في غير إثم ولا قطيعة رحم ؟ » فقلنا يارسول الله كلنا يحب ذلك ، قال « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الابل » وقالت عائشة رضى الله عنها : ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فقال : « أولم تروه يتعلم القرآن ؟ » وروي يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من علم ولده القرآن قلده الله بقلادة يعجب منها الاولون والآخرون من حسنها » .

الباب الثامن والعشرون

(فى دفع البلاء بتعلم القرآن)

ذكر أبو محمد الدارمى فى مسنده قال نا مروان بن محمد قال أخبرنا رفدة الغسانى قال أخبرنى ثابت بن عجلان الانصارى قال : كان يقال إن الله تعالى ليريد العذاب بأهل الارض فاذا سمع تعليم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم . قال مروان : يعني بالحكمة القرآن . وفى الخبر عن حذيفة مرفوعا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقول صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة » .

قال المؤلف رحمه الله : ومن هذا المعنى ما ذكر الخطيب أحمد بن على بن ثابت الحافظ عن عيسى بن أبي فاطمة الرازي قال سمعت مالك بن أنس يقول : إذا نقس بالناقوس اشتد غضب الرحمن فتنزل الملائكة فيأخذون

بأطراف الارض ولا يزالون يقرؤن (قل هو الله أحد) حتى يسكن غضبه سبحانه وتعالى .

الباب التاسع والعشرون

(فى أخذ الأجرة على تعليم القرآن)

اختلف العلماء فى أخذ الأجرة على قراءة القرآن وتعلمه فمنع ذلك الزهري وأبو حنيفة وأصحابه وقالوا : لايجوز أخذ الأجرة على ذلك لأن تعليمه واجب من الواجبات التي يحتاج فيها الى نية التقرب والاخلاص فلا يؤخذ عليها أجرة كالصلاة والصيام . واحتجوا من الأثر بما روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « معلموا صبيانكم شراركم أقلهم رحمة باليتيم وأغلظهم على المسكين » وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ماتقول فى المعلمين ؟ قال « درهمهم حرام وثوابهم سحت وكلامهم رياء » وروى عبادة بن الصامت قال : علمت ناسا من أهل الصفة القرآن والكتابة فأهدى الى رجل منهم قوسا فقلت ليس بمال وأرمي بها فى سبيل الله ، فسألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إن سرك أن تطوق بها طوقا من نار فاقبلها » .

﴿فصل﴾ وأجاز أخذ الاجرة على تعليم القرآن مالك والشافعى وأحمد وأبو ثور وأكثر العلماء لقوله عليه السلام فى حديث ابن عباس فى حديث الرقية « إن أحق ماأخذتم عليه أجرا كتاب الله » خرجه البخارى وسيأتى وهو نص يرفع الخلاف ينبغى أن يعول عليه . وأما مااحتج به المخالف من القياس على الصلاة والصيام ففاسد لانه فى مقابلة النص ، ثم إن بينهما فرقانا

وهو أن الصلاة والصيام عبادة مختصة بالعامل، وتعليم القرآن عبادة متعدية لغير المعلم فتجوز الاجرة على محاولة النقل كتعليم كتابة القرآن، قال ابن المنذر وأبو حنيفة: يكره تعليم القرآن بالأجرة، ويجوز أن يستأجر الرجل يكتب له لوحا أو شعرا أو غناء معلوما بأجر معلوم فيجوز الاجرة فيما هو معصية ويبطلها فيما هو طاعة !!

وأما الاحاديث فليس يصح منها شيء عند أهل العلم بالحديث، أما حديث العباس فرواه سعيد بن طريف عن عكرمة وسعيد متروك وأما حديث أبي هريرة فرواه على بن عاصم عن حماد بن سلمة عن أبي جرهم وأبو جرهم مجهول لا يعرف ولم يرو حماد بن سلمة عن أحد يقال له أبو جرهم وإنما رواه عن أبي المهزم وهو متروك أيضا وهو حديث لا أصل له وأما حديث عبادة بن الصامت فرواه أبو داود من حديث المغيرة بن زياد الموصلى عن عبادة ابن نسى عن الاسود بن ثعلبة عنه وأبو المغيرة معروف بحمل العلم ولكن له منا كير هذا منها قاله أبو عمر بن عبد البر ثم قال وأما حديث القوس فمعروف عند أهل العلم لكنه عن عبادة من وجهين وروي عن أبى بن كعب من حديث موسى بن علي عن أبيه عن أبى وهو منقطع وليس فى الباب حديث يجب العمل به من جهة النقل، وحديث عبادة وأبى يحتمل التأويل لانه جائز أن يكون علمه لله ثم أخذ عليه أجرا والله أعلم. وروى عن أبي بن كعب أنه كان يختلف إلي رجل بالمدينة فيقرئه القرآن فاذا فرغ من قراءته يومه ذلك دعاله بطعام فجال في نفسه منه شيء فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال «إن كان ذلك طعامه الذى يأكل ويأكل أهله فكله وإن كان ذلك طعاما يخصك به فلا تأكل» ذكره الحليمى فى كتاب منهاج الدين له وقال: يكون معناه إن كان ذلك طعامه الذى يأكله ويأكله أهله فكل فانه شيء

أخرجه من قلبه بأن يؤكل وإنما أنت كأحد الاضياف ، وإن كان طعاما يخصك به فلا تأكل لأنه لا أن يكون ألزم نفسه زيادة مؤنة فيتحملها استحياء منه فيخصه به وليس هو على جهة التحريم بل هو مكروه والله أعلم .

الباب الموفى ثلاثين

(في إضاءة البيت الذى يقرأ فيه القرآن وكثرة خيره)

الطبرى قال ثنا عمران بن موسى القزاز قال حدثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا ليث بن أبى سليم عن عبد الرحمن بن سابق قال : أكثروا تلاوة القرآن فى بيوتكم فان البيت الذى يذكر فيه الله ، أو أن البيت الذى يقرأ فيه القرآن ليتسع على أهله ويكثر خيره وتحضره الملائكة ويدحر عنه الشيطان . وكان يقول : أعمروا بيوتكم بذكر الله ولا تتخذوها قبوراً كما اتخذت اليهود والنصارى بيوتهم واجعلوا لها من صلاتكم جزءا فان اليت الذى يذكر الله فيه يضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الأرض . قال وحدثنى أبو سفيان الغنوى يزيد بن عمرو قال حدثنى نايل ابن نجيح الحنفي قال حدثنى قطبة الكناني عن الحسن بن عمارة عن طلحة ابن عبد الرحمن بن سابق عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نوروا بيوتكم بذكر الله واجعلوا لبيوتكم من صلاتكم جزءا ولا تتخذوها قبوراً كما اتخذها اليهود والنصاري فان البيت الذى يذكر الله فيه لينير لأهل السماء كما تنير النجوم لاهل الأرض » .

قال المؤلف رحمه الله : وهذان الحديثان وإن كان فى إسنادهما مقال فهما يستندان من وجه صحيح . وروى مسلم من حديث أبى بكر بن أبى

شيبة وأبي كريب قالا : ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا قضى أحدكم الصلاة فى مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته فان الله جاعل فى بيته من صلاته خيرا » قال وحدثنا عبد الله بن تراد الاشعرى ومحمد بن العلاء قالا : ثنا أبو أسامة عن بريدة عن أبى بريدة عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت » وقال حدثنا قتيبة بن سعيد قال ثنا يعقوب وهو ابن عبد الرحمن القارى عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ليفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة » .

الباب الحادى والثلاثون

(فى ترتيل القراءة والترسل فيها والانكار على من خالف ذلك وجوازه)

قال الله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) وقالت حفصة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها .

البخاري قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا حريز بن حازم الأزدي قال ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان يمد مداً . حدثنا عمرو بن عاصم قال ثنا همام عن قتادة قال سئل أنس بن مالك كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم . وروي

الترمذي عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته فيقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف ، الرحمن الرحيم ثم يقف ، وكان يقرؤها مالك يوم الدين . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : قول أم سلمة كان يقطع قراءته يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه عليه السلام من القرآن وإنما ذكرت فاتحة الكتاب لتبين صفة التقطيع ، أو لأنها أم القرآن فيغني ذكرها عن ذكر ما بعدها كما يغني قراءتها في الصلاة عن قراءة غيرها لجواز الصلاة بها والا فالتقطيع عام لجميع القراءة لظاهر الحديث ، وتقطيع القراءة آية آية أولى عندنا من تتبع الاغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها لحديث أم سلمة رضي الله عنها .

وفي حديث مسلم عن حذيفة قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة ثم يركع فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فيقول سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ثم قام طويلا نحوا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الاعلى فكان سجوده قريبا من قيامه . وفي حديث من الزيادة فقال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد . وخرج الوايلي أبو نصر عن مسلم ابن مخراق قال قلت لعائشة رضي الله عنها إن رجالا يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثا فقالت : أولئك يقرؤا ولم يقرؤن ، كنت أقوم مع النبي صلى الله عليه وسلم في الليل التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها دعاء واستبشار إلا دعا ورغب ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ .

وفي صحيح مسلم عن شقيق قال : جاء رجل من بني بجيله يقال له نهيك بن

سنان إلى عبد الله فقال : إنى أقرأ المفصل فى ركعة ؟ فقال عبد الله : هذا كهذ الشعر . الهذ متابعة القرآن فى سرعة . واختلفوا فى أول المفصل فقال بعضهم : أوله سورة القتال ، وقال آخرون : أوله سورة قاف ، وروى ذلك فى حديث مرفوع وسمى قصار المفصل مفصلا لكثرة الفصول فيها . لقد علمت النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهن سورتين في كل ركعة ، فى رواية قال فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين فى ركعة . وخرج أبو داود عن علقمة والاسود قالا : أتى ابن مسعود رجل فقال إنى أقرأ المفصل فى ركعة فقال : هذا كهذ الشعر ، ونثراً كنثر الدقل ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ النظائر والسورتين فى ركعة ، الرحمن والنجم فى ركعة ، وإذا وقعت ونون في ركعة ، وسأل سائل والنازعات فى ركعة ، وعم يتساءلون والمرسلات فى ركعة ، والدخان وإذا الشمس كورت فى ركعة .

قال أبو داود : هذا تأليف عبد الله .

قال المؤلف رحمه الله : النظائر والقرائن هى السور المتقاربة فى المقدار وقد جاء عددها فى صحيح مسلم ثمان عشرة كما ذكر أبو داود فى رواية عشرين وقد زاد أبو داود فى رواية ابن الاعرابي والمدثر والمزمل فكملت عشرون . وروى الوايلى عن ابراهيم عن نهيك بن سنان عن عبد الله قال : لقد علمت النظائر التى كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر النجم والرحمن والدخان وعم يتساءلون . وروى عن شقيق عن أبي وائل قال : قال عبد الله لقدعلمت النظائر التى كان يصلي بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذاريات والطور والنجم واقتربت الساعة والرحمن والواقعة ون والقلم والحاقة وسأل سائل والمزمل والمدثر ولاأقسم بيوم القيامة

وهل أتى على الانسان والمرسلات وعم يتساءلون والنازعات وعبس وويل للمطففين وإذا الشمس كورت وحم الدخان .

قال المؤلف رحمه الله : ولا بعد فى شيء مما ذكرنا لأنه يحتمل أن يكون عليه السلام قرن فى وقت بين ثماني عشرة وفى أخرى بين عشرين وفى وقت بين سورتين كما ذكر أبو داود وفى وقت آخر قرن بين سورتين غير التى قرن بهما فى الوقت الآخر كما ذكر الوايلي فتتفق الروايات ولا تتضاد والحمد لله . وذكر ابن مسعود النظائر ردا علي من قرأ المفصل فى ركعة واحدة وهذ فى قراءته .

وأكثر العلماء يستحبون الترتيل في القراءة ليتدبره القارىء ويفهم معانيه . وروي ابن القاسم وابن وهب عن مالك في الهذ فى القراءة فقال : من الناس من إذا هذ كان أخف عليه وإذا رتل أخطأ ومن الناس من لا يحسن هذا والناس فى هذا على قدر درجاتهم وما يخف عليهم وكل واسع . وقد روي عن جماعة من السلف أنهم كانوا يختمون القرآن فى ركعة وهذا لا يمكن إلا بالهذ والله أعلم .

الباب الثانى والثلاثون

(فى حسن الصوت بالقرآن وترك الترجيع والتطريب فيه وما للعلماء في ذلك)

ابن ماجه قال حدثنا بشر بن معاذ الضرير قال ثنا عبد الله بن جعفر المدنى قال ثنا ابراهيم بن اسماعيل بن مجمع عن أبى الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن من أحسن الناس صوتا من إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله تعالى» قال وحدثنا راشد بن سعيد البرمكي قال

ثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا الأوزاعي قال ثنا اسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة بن عبيد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لله أشد أذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة الى قينته» وقال حدثنا محمد بن رمح ثنا يزيد بن هارون ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم المسجد فسمع قراءة رجل فقال «من هذا؟» فقيل هذا عبد الله بن قيس. فقال «لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود» خرجه مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عبد الله بن قيس - أو الأشعرى - أعطي مزمارا من مزامير آل داود» كذا جاء فى هذه الرواية على الشك. وفى رواية عن أبى بردة عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي موسى: «لو رأيتني وأنا أسمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود» وخرجه البخارى أيضا.

واختلف العلماء فى التطريب فى القراءة والترجيع فيها فمنع من ذلك وأنكره مالك بن أنس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد والحسن وابن سيرين والنخعي وغيرهم، وكرهه أحمد بن حنبل كما كرهه مالك رحمهم الله.

وأجاز ذلك طائفة منهم أبو حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وابن المبارك والنضر بن شميل، واختاره الطبرى وابن العربي وغيرهما. واحتجوا بقوله عليه السلام «زينوا القرآن بأصواتكم» رواه البراء بن عازب. أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه، وبقوله عليه السلام: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» أخرجه مسلم. وبقول أبي موسى للنبى صلى الله عليه وسلم: لو أعلم أنك تستمع لقراءتى لحبرته لك تحبيرا. وبما رواه عبد الله بن مغفل

قال . قرأ النبي صلي الله عليه وسلم عام الفتح فى مسير له سورة الفتح على راحلته فرجع فى قراءته .

قال المؤلف رحمه الله : والقول الأول أصح إن شاء الله تعالى . بيانه ماروى عن زياد النميرى ؟ أنه جاء مع القراء الى أنس بن مالك فقيل له اقرأ فرفع صوته وطرب ـ وكان رفيع الصوت ـ فكشف أنس عن وجهه ـ وكان على وجهه خرقة سوداء ـ فقال : ياهذا ماهكذا كانوا يفعلون ، وكان إذا رأى شيئا ينكره كشف الخرقة عن وجهه . وروى عن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم بالناس فطرب في قراءته فأرسل اليه سعيد ابن المسيب يقول : أصلحك الله إن الأئمة لاتقرأ هكذا . فترك عمر التطريب بعد . وروى عن القاسم بن محمد أن رجلا قرأ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرب فأنكر ذلك القاسم وقال : يقول الله عز وجل (كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وروى عن مالك رحمه الله أنه سئل عن النبر فى القراءة للقرآن فى الصلاة فأنكر ذلك وكرهه كراهة شديدة وأنكر رفع الصوت به ، وروى ابن القاسم عنه أنه سئل عن الالحان فى الصلاة فقال : لايعجبني وقال : إنما هو غناء يتمتعون به . أو قال يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم . وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الأذان سمح سهل فان كان أذانك سهلا سمحا والافلا تؤذن» أخرجه الدارقطنى فى سننه .

فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد منع ذلك في الأذان فأحرى أن لايجوزه فى قراءة القرآن الذى حفظه الرحمن فقال وقوله الحق (إنا نحن نزلنا

الذكر وإناله لحافظون) وقال جل وعز (كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقد تقدم في الباب قبله كيف كانت قراءة النبي صلي الله عليه وسلم وهو المبين عن الله عز وجل لم يكن فيها تطريب ولا ترجيع وإنما كانت مدا . وأما ما احتج به المخالف من قوله عليه السلام «زينوا القرآن بأصواتكم» فليس على ظاهره وإنما هو من باب المقلوب، أي زينوا أصواتكم بالقرآن . قال الخطابي . وهكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث زينوا أصواتكم بالقرآن وقالوا هو من باب المقلوب كما قالوا عرضت الحوض على الناقة ، وإنما هو عرضت الناقة على الحوض . قال ورواه معمر عن منصور عن طلحة فقدم الأصوات علي القرآن وهو الصحيح . قال الخطابي : ورواه طلحة عن عبدالرحمن بن عوسجة عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « زينوا أصواتكم بالقرآن » أي الهجوا بقراءته واشغلوا به أصواتكم واتخذوه شعارا وزينة . وقيل معناه الحض على قراءة القرآن والدؤوب عليه . وقد روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «زينوا أصواتكم بالقرآن» وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : حسنوا أصواتكم بالقرآن .

قال المؤلف رحمه الله : وإلى هذا المعنى يرجع قوله عليه السلام « ليس منا من لم يتغن بالقرآن» أي ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن . كذلك تأوله عبد الله بن زيد وابن أبي مليكة . قال عبد الله بن زيد : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فاذا رجل رث الهيئة فسمعته يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال : يحسنه ما استطاع . ذكره أبو داود وإليه يرجع أيضا قول أبي موسى للنبي صلى الله عليه

وسلم : إني لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا . أي لحسنت صوتي بالقرآن وزينته به ورتلته . وهذا يدل على أنه كان يهذ في قراءته مع حسن صوته الذي جبل عليه ، والتحبير التزيين والتحسين ، فلو علم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمعه لمد في قراءته ورتلها كما كان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك زيادة في حسن صوته بالقرآن وهو معنى ماروي عن عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه أنه قال : ماأدركت رجلا من المهاجرين إلا وقد سمعته يترنم بالقران . ومعنى حديث البخاري في ترجيع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في قراءة سورة الفتح وترنمه فيها على ماياتي ، ومعاذ الله أن يتأول على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول إن القرآن يزين بالأصوات أو بغيرها فمن تأول هذا فقد واقع أمرا عظيما أن يحوج القرآن إلى مايزينه وهو النور والضياء والزين الأعلى لمن ألبس بهجته ، واستنار بضيائه . وقد قيل إن الأمر بالتزيين اكتساب القراآت وتزيينها بأصواتنا وتقدير ذلك أن زينوا القراءة بأصواتكم فيكون القرآن بمعنى القراءة كما قال تعالى (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) أي قراءة الفجر . وقوله تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي قراءته . وكما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان بن داود عليهما السلام يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنا . أي قراءة . قال الشاعر في عثمان رضي الله عنه :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

أي قراءة . فيكون معناه على هذا التأويل صحيحا الا أن يخرج القراءة التي هي التلاوة عن حدها على مابيناه فيمتنع . وقد قيل إن معنى يتغنى به يستغني

به من الاستغناء الذى هو ضد الافتقار لا من الغناء . يقال تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت ، وأغناه الله وتغانوا أي استغنى بعضهم عن بعض . قال الجوهرى : تغني الرجل بمعنى استغنى . قال المغيرة بن حنبا التميمي :

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

والى هذا التأويل ذهب سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح . ورواه سفيان عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه . وقد روى عن سفيان أيضا وجه آخر ذكره اسحاق بن راهويه أى يستغن به عما سواه من الأحاديث . والى هذا التأويل ذهب البخارى محمد بن اسماعيل لاتباعه الترجمة في كتابه بقوله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) والمراد الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم قاله أهل التأويل . وقيل إن معنى يتغنى به يتحزن به أي يظهر على قارئه الحزن الذى هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته وليس من الغنية لأنه لو كان من الغنية لقال يتغانى به ولم يقل يتغنى به . ذهب الى هذا جماعة من العلماء منهم الحليمي على ما نذكره عنه آخر الباب وهو قول الليث ابن سعد وأبي عبيد ومحمد بن حبان البسى واحتجوا بما رواه مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء — الأزيز بزائين أى صوت الرعد وغليان القدر — قالوا ففى هذا الخبر بيان واضح على أن المراد بالحديث التحزن وعضدوا هذا بما رواه الأئمة عن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ على » قال فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فنظرت اليه فاذا عيناه تدمعان . وروى ابن ماجه قال ثنا عبد الله بن أحمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم ثنا أبو رافع عن ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن

ابن السائب قال : قدم علينا سعد بن أبى وقاص وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من أنت ؟ فأخبرته فقال : مرحبا بابن أخى بلغنى أنك حسن الصوت بالقرآن ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا » وهذا نص . وقال أبو عبيد : ومحمل الأحاديث التى جاءت فى حسن الصوت إنما هو على طريق الحزن والتخويف والتشويق يبين ذلك حديث أبى موسى إن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم سمعن قراءته فأخبر بذلك فقال « لو علمت لشوقت تشويقا وحبرت تحبيرا » قال أبو عبيد : فهذا وجهها لا الالحان المطربة الملهية .

قال المؤلف رحمه الله : فهذه أربع تأويلات ليس فيها مايدل على القراءة بالألحان والترجيع فيها .

(التأويل الخامس) ماتأوله من يستدل به على الترجيع والتطريب فذكر عمر بن شبة قال : ذكرت لابى عاصم النبيل تأويل ابن عيينة فى قوله يتغنى يستغنى فقال : لم يصنع ابن عيينة شيئا . وسئل الشافعى عن تأويل ابن عيينة فقال : نحن أعلم بهذا ، لو أراد النبي صلي الله عليه وسلم الاستغنا لقال من لم يستغن ولكن لما قال يتغنى علمنا أنه أراد التغني . قال الطبرى : المعروف من كلام العرب أن التغنى إنما هو الغناء الذى هو حسن الصوت بالترجيع وقال الشاعر :

تغن بالشعر مهما كنت قائله　　　إن الغناء لهذا الشعر مضمار

قال وأما الذي زعم أن تغنيت بمعنى استغنيت فليس فى كلام العرب وأشعارها ولا نعلم أن أحدا من أهل اللغة قاله . وأما استشهاده بقوله : ونحن إذا متنا أشد تغانيا . فانه اغفال منه وذلك أن التغانى تفاعل من نفسين اذا

استغنى كل واحد منهما عن صاحبه كما يقال تضارب الرجلان إذا ضرب كل واحد منهما صاحبه ومن قال هذا في فعل الاثنين لم يجز أن يقول مثله فى فعل الواحد وغير جائز أن يقال تغنى بمعنى استغنى .

قال المؤلف رحمه الله : وأما ما ادعاه الطبرى رحمه الله أنه لم يرد في كلام العرب تغنى بمعنى استغنى فقد ذكره تاج اللغة فى الصحاح كما ذكرناه وذكره الهروي أيضا فى غريبه وحسبك بهما . وأما قوله إن صيغة فاعل إنما تكون من اثنين فقد جاءت من واحد فى مواضع كثيرة منها قول ابن عمر : وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام . وتقول العرب . طارقت النعل ، وعاقبت اللص ، وداويت العليل ، وهو كثير . فيكون تغانى منها . وإذا احتمل قوله عليه السلام تغني الغناء والاستغناء فليس حمله على أحدهما بأولى من الآخر بل حمله علي الاستغناء أولى لو لم يكن لنا تأويل غيره لأنه مروى عن صحابى كبير كما ذكر سفيان . وقد قال ابن وهب فى حق سفيان : مارأيت أعلم بتأويل الاحاديث من سفيان بن عيينة . ومعلوم أنه رأى الشافعى .

(وتأويل سادس) وهو ما جاء من الزيادة فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ماأذن الله لنبى كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » رواه من طرق . قال الطبرى . ولو كان كما قال ابن عيينة لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معني .

قلنا : قوله يجهر به ، قال بعض علمائنا رحمة الله عليهم : لايخلو أن يكون من قول النبي صلى الله عليه وسلم أو من قول أبى هريرة رضى الله عنه أوغيره . وأيهما كان فليس فيه دليل على ماراموه لأنه لم يقل يطرب به ، وإنما قال يجهر به والعرب تسمى كل من رفع صوته ووالى به غانيا وفعله ذلك غناء وان لم يلحن بتلحين الغناء . وعلى هذا

فسره الصحابى وهو أعلم بالمقال وأقعد بالحال .

قال المؤلف رحمه الله : قوله يجهر به هو تفسير أم سلمة وأبي هريرة رضى الله عنهما ويدل على صحة هذا ما رواه ابن ماجه في سننه قال حدثنا العباس ابن عثمان الدمشقي قال ثنا الوليد بن مسلم قال حدثنى حنظلة بن أبى سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحى يحدث عن عائشة زوج النبي صلي الله عليه وسلم قالت : أبطأت على رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال « أين كنت ؟ » قالت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت فقام وقمت معه حتى استمع له ثم قال « هذا سالم مولى أبى حذيفة ، الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل هذا » ووجه الدليل منه قولها لم أسمع مثل قراءته وصوته ولم تقل مثل ترجيعه وتطريبه وتغنيه والله أعلم . وقد احتج أبو الحسن بن بطال لمذهب الشافعي رحمه الله تعالى فقال : وقد رفع الاشكال في هذه المسألة ما رواه ابن أبى شيبة قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا موسى بن على بن رباح عن أبيه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « تعلموا القرآن وغنوا به واكتبوه فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفصيا من المخاض من العقل » .

قال المؤلف رحمه الله : وهذا الحديث وإن صح سنده فقد عارضه غير ما حديث حسبما تقدم وما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من بيان قراءته على أنه يحتمل أن يكون معنى وغنوا به أي الهجوا بتلاوته وذكره كما تقدم .

والدليل على هذا ما يعلم على القطع والبيان من أن قراءة القرآن بلغتنا متواترة جيلا فجيلا الى العصر الكريم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فيها تلحين ولا تطريب مع كثرة المتعمقين فى مخارج الحروف وفى

المد والاظهار والادغام وغير ذلك من كيفية القرآآت . ثم إن فى الترجيع والتطريب همز ماليس بمهموز ومدماليس بممدود فترجيع الألف الواحدة ألفات والشبهة الواحدة شبهات فيؤدى ذلك الى زيادة في القرآن وذلك ممنوع وإن وافق ذلك موضع نبر صيروها نبرات وهمزات والنبرة حيث ماوقعت من الحروف إنما هى همزة واحدة لاغير إما ممدودة وإما مقصورة . فان قيل : فقد روى عبد الله بن المغفل قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير له عام الفتح علي راحلته فرجع فى قراءته ؟ وذكر البخارى قال فى صفة الترجيع آآآ ثلاث مرات ؟ ؟ قلنا ذلك محمول على إشباع المد فى موضعه ويحتمل أن يكون حكاية صوته عند هز الراحلة كما يعتري رافع صوته إذا كان راكبا من انضغاط صوته وتقطيعه لأجل هذا المركوب وإذا احتمل هذا فلا حجة فيه .

قال المؤلف رحمه الله : وهذا الخلاف إنما هو مالم يبهم معني القرآن بترديد الأصوات وكثرة الترجيعات فان زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق كما يفعل بالديار المصرية الذين يقرؤن إمام الملوك وَالجنائز ويأخذون علي ذلك الأجور والجوائز ضل سعيهم وخاب عملهم فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله ويهونون على أنفسهم الاجتراء على الله عز وجل بأن يزيدوا فى تنزيله ماليس فيه جهلا منهم بدينهم وخروجا عن سنة نبيهم صلي الله عليه وسلم ورفضا لسيرة الصالحين فيه عن سلفهم ونزوعا الى مازين لهم الشيطان من أعمالهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا خاب سعيهم وضل عملهم فهم فى غيهم يترددون ، وبكتاب الله يتلاعبون ، فانا لله وإنا اليه راجعون . لكن قد أخبر الصادق أن ذلك يكون فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم .

ذكر الامام الحافظ أبو الحسين رزين وابو عبدالله الترمذى الحكيم من حديث حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين وسيجيء بعدى أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لايجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم» اللحون جمع لحن وهو التطريب وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة والشعر والغناء .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : ويشبه هذا الذي يفعله قراء زماننا بين يدى الوعاظ وفى المجالس من اللحون الأعجمية التى يقرؤن بها مانهي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالترجيع في القراءة ترديد الحروف كقراءة النصارى والترتيل فى القراءة هو التأنى فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل وهو المشبه بنور الأقحوان وهو المطلوب في قراءة القرآن حسب ماتقدم أول الباب ، والله الموفق للصواب .

وقال الحليمي : والذي يظهر بدلالة الاخبار أنه أراد بالتغنى أن يحسن القارىء صوته مكان مايحسن المغنى صوته بغنائه إلا أنه يميل به نحو التحزن دون التطريب إذ قد عوض الله من غناء الجاهلية خيرا منه وهو القرآن ، فمن لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرض به بدلا من ذلك الغناء فليس منا . إلا أن قراءة القرآن لا يدخلها من التغنى وفضول الألحان وترديد الصوت مايلبس المعني ويقطع أوصال الكلام كما قد دخل ذلك كله الغناء وإنما يليق بالقرآن حسن الصوت والتحزين به دون ماعداهما .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس قراءة ؟ قال « من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى » وقال « إن هـذا القرآن نزل بحزن فاقرؤه بحزن » أو كما قال .

الباب الثالث والثلاثون

(فى الآداب التى تلزم حامل القرآن وقارئه من التعظيم للقرآن وحرمته)

قال المؤلف رحمه الله : هذا الباب إذا تتبعت أحاديثه ومعانيه يقوم منها كتاب ، ونحن نذكر من ذلك على جهة التقريب والاختصار ، دون التطويل والاكثار ، ما كان فيه مقنع وغنية ، لأولى الأبصار والنهية .

فأول ذلك أن لا يمس المصحف إلا طاهر لقوله عليه السلام في كتاب عمرو بن حزم « لا يمس القرآن إلا طاهر » رواه مالك وغيره .

وقال بعض السلف : مادخلت بيتا منذ ثلاثين سنة وفيه مصحف إلا وأنا على وضوء . وكان بعضهم إذا كان فى بيت فيه المصحف لم ينم تلك الليلة مخافة أن يخرج منه ريح فى بيت فيه مصحف .

ومنها أن يقرأه وهو على طهارة بالقراءة المستفيضة دون الغرائب والشواذ لأن في المشهور مندوحة عن الشواذ فكان تركها أحوط لئلا يتقرب إلى الله عز وجل بقراءة مالا يمكن القطع بأنه من عنده من غير ضرورة وليس ذلك كالأخبار الخاصة تقبل من الافراد بعد أن يكونوا عدولا لأنه لا يوجد فى الباب ماهو أقوى منها فتكون الضرورة هي المؤدية إلى قبولها.

ومنها أن يستاك ويتخلل ويطيب فاه إذ هو طريق القرآن . قال يزيد ابن أبى مالك : إن أفواهكم طرق من طرق القرآن فطهروها ونظفوها مااستطعتم . وعن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال : « نظفوا أفواهكم فانها مجاري القرآن » وكان عليه السلام إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك لأنه صلى الله عليه وسلم كان يريد الصلاة وقراءة القرآن . وقال : « السواك

مطهرة للفم ومرضاة للرب » لأن المستن يطهر الفم لقصده إلى التلفظ بحروف القرآن وهو راجع الى تعظيم القرآن . وقال صلي الله عليه وسلم : « إذا قام الرجل يتوضأ ليلا أونهارا فأحسن الوضوء واستن ثم قام يصلي أطاف به الملك ودنا منه حتي يضع فاه على فيه فما يقرأ الا فى فيه ، واذا لم تستن أطاف به ولم يضع فاه على فيه » ومعنى قوله . استن استاك افتعل من السنة لأن السواك سنة .

ومنها يستحب أن يستوى له قاعدا إن كان فى غير صلاة ولا يكون متكئا .

ومنها يستحب أن يتطيب ويتلبس له كما يتلبس للدخول على الأمير فانه مناج ربه بكلامه . وقال عون بن عبد الله : كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه تعجبه الثياب الحسنة النظيفة والريح الطيب إذا قام الى الصلاة . وعن أبي العالية أنه كان إذا قرأ اعتم ولبس ثيابه وارتدى واستقبل القبلة . وقال تميم الدارى : كان النبى صلي الله عليه وسلم إذا قام بالليل يتهجد اغتلف بالغالية . وقال مجاهد : كانوا يكرهون أكل الثوم والكراث والبصل من الليل ، ويستحبون أن يمس الرجل عند قيامه طيبا إذا قام من الليل يمسح شاربه وما أقبل من اللحية . وقال قتادة : ما أكلت الثوم منذ قرأت القرآن . وكان مجاهد إذا قرأ أو صلى فان وجد ريحا أمسك عن القراءة حتي يذهب ذلك الريح الذى يشمه .

ومنها يستحب أن يستقبل القبلة عند الذكر والقراءة لقوله عليه السلام «خير المجالس مااستقبل به القبلة » .

ومنها يستحب أن يتمضمض كلما تنخع . روى شعبة عن أبى حمزة عن ابن عباس أنه كان يكون بين يديه تور فيه ماء إذا تنخع تمضمض ثم أخذ فى الذكر ، وكان كلما تنخع تمضمض .

ومنها يستحب إذا تثاءب أن يمسك عن القراءة لأنه مخاطب ربه ومناج والتثاؤب من الشيطان. قال مجاهد: إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة تعظيما حتى يذهب تثاؤبك. وقال عكرمة: يريد أن فى ذلك الفعل إجلالا للقرآن.

ومنها يستحب أن يستعيذ بالله عند ابتدائه القراءة من الشيطان الرجيم ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إن كان ابتداء قراءته من أول السورة أو من حيث بلغ، ويقال: لا تكون البسملة إلا فى أوائل السور لا غير.

ومنها يستحب إذا أخذ فى سورة لم يشغل عنها حتى يفرغ منها الا من ضرورة. وكذلك إذا أخذ فى القراءة لم يقطعها ساعة فساعة ولا يخللها بكلام الآدميين من غير ضرورة فان فيه استخفافا بالقرآن كما لو قطع مكالمة أحد فيحدث غيره ممن هو دونه فان فيه استخفافا بذلك، ولأن فى اتباع القرآن بعضه بعضا بالقراءة من البهجة ما يظهر عند الاتباع، ويخفى عند التقطيع وفى سلب زينة قراءة القرآن. فلذلك كان مكروها.

ومنها ينبغى أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام فيخاطه بجوابه لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة التي استعاذ بها فى البدء وقال يحي بن معاذ: أشتهى من الدنيا شيئين، بيتا خاليا، ومصحفا جيد الخط أقرأ فيه القرآن.

ومنها ينبغي أن يقرأه على تؤدة وترتيل كما تقدم بيانه ولا يهد فان التفكر أمكن منه عند الترتيل منه عند الهد فكان الترتيل بالذكر أولى فيستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به.

ومنها ينبغي أن يقف على آية الوعد فيرغب الى الله ويسأله من فضله، وأن يقف، على آية الوعيد ويستجير بالله منه كما تقدم في حديث حذيفة.

وكذلك ينبغي له أن يقف علي أمثاله فيتمثلها .

ومنها ينبغي له إذا مر بآية سجدة سجد فيها فان ذلك عمل متوارث ، وشريعة ظاهرة ، إلا مااختلف فيه من السجود فى المفصل وآخر سورة الحج وسجدة صٓ وليس هذا موضع ذكر ذلك ، فمن جعلها من العزائم سجد فيها فى الصلاة . وقال الشافعي : سجدة صٓ ليست من العزائم فلايسجدها فى الصلاة لأنها سجدة شكر ولا يصلح سجود الشكر فى الصلاة . ولم يروأن النبى صلى الله عليه وسلم سجد هذه السجدة فى الصلاة فان وجد ذلك فى رواية كانت كل سجدة للشكر مثلها .

ومنها يستحب أن يتعلم إعراب القرآن ويلتمس غرائبه ، وقد مضى القول فيمن قرأه معربا . وأماغرائبه فمعرفة لغته فيعرف معني الفتيل والنقير والقطمير وأشباه ذلك من غرائب القرآن . قال ابن الانبارى : ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغرائبه معرفة الوقف والابتداء فيه ، فينبغى للقارىء أن يعرف الوقف التام من الوقف الكافى الذى ليس بتام ، والوقف القبيح الذي ليس بتام ولا كاف .

ومنها يستحب أن يقرأه بالتفخيم ، فان زيد بن ثابت روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « نزل القرآن بالتفخيم » ومعناه أن يقرأ على قراءة الرجال ولا يخضع الصوت به فيكون مثل كلام النساء ، ولا يدخل فى هذا كراهيته الامالة التي هي اختيار بعض القراء ويجوز أن يكون نزول القرآن نزل بالتفخيم ورخص مع ذلك فى إمالة مايحسن إمالته وتكون هذه الرخصة نازلة على لسان جبريل عليه السلام أيضا لكن لفظه بالتنزيل كان التفخيم دون الامالة لأن الامالة لاتجوز الا فى مواضع مخصوصة والفتح يطرد فى الجميع علم أن التفخيم هو الأصل وهو اللغة القديمة السابقة والامالة

لاتجوز الاطالة تعرض على مابيناه فى كتاب الانتهاز في القراآت .

ومنها يستحب أن يؤدي لكل حرف حقه من الاداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماما فان له بكل حرف عشر حسنات . على ماتقدم من الحديث واذا كان له بكل حرف عشر حسنات . فينبغى له أن لايهمل حرفا أثبته إمام فيكون قد أتى على جميع القرآن ولم يبق شيئا فتكون ختمة أصح من ختمة إذا ترخص بحذف مالايضر حذفه ألا ترى أن صلاة من استوى فى جميع شرائطها أتم ممن ترخص بترك مايجوز تركه .

ومنها اذا انتهت قراءته أن يصدق ربه ويشهد بالبلاغ لرسول الله صلي الله عليه وسلم ويشهد علي ذلك أنه حق فيقول : صدقت ربنا وبلغت رسل ربى ونحن على ذلك من الشاهدين . اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط ثم يدعو بدعوات من القرآن ويقرن ذلك بالصلاة والسلام علي رسول الله صلي الله عليه وسلم أولا وآخرا اذ كان الوقوف على القرآن والوصول اليه من قبله صلي الله عليه وسلم .

وأما من استوفى القرآن قراءة وختما فانه يرجع الى أول القرآن فانه يقرأ الى قوله (أولئك هم المفلحون) فان ذلك من آدابه حتي لا يبقي كهيأة المهجور . والأصل فيه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم سئل عن أحب الاعمال الى الله تعالي ؟ فقال « الحال المرتحل » قيل معناه الذى يصدر من أول القرآن الى آخره ومن آخره الي أوله كلما حل ارتحل . وجاء عنه صلى الله عليه وسلم ذلك مفسرا ، وهو أنه قيل له أى الاعمال أفضل ؟ قال « الحال المرتحل » قيل وما الحال المرتحل ؟ قال « الخاتم المفتتح » وروى من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الاعمال افتتاح القرآن وختمه » وعن صالح المرى عن أيوب

عن أبي قلابة يرفعه قال : من شهد فتح القرآن فكأنما شهد فتحا في سبيل الله ومن شهد ختمه فكأنما شهد الغنائم وهي تقسم .

ومنها إذا قرأه أن لا يلتقط الآى من كل سورة فيقرأ بها فانه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مر بأبى بكر وهو يخافت ، ومر بعمر وهو يجهر ، ومر ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه . فقال لأبى بكر « إنى مررت بك وأنت تخافت ؟ » فقال إنى أسمع من أناجي . قال « ارفع شيئا » وقال لعمر « مررت بك وأنت تجهر ؟ » قال : أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان . قال « أخفض شيئا » وقال لبلال « مررت بك وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة ؟ » فقال : أخلط الطيب بالطيب . فقال « أقرأ السورة على وجهها » .

قال الحليمي : وهذا أولى مما روى أنه سمع عمارا يقرأ من هذه ومن هذه فلما كلمه فى ذلك قال : أفتسمعني أخلط به بما ليس منه ؟ قال لا ، قال فكله طيب . ولم يذكر أنه أنكر عليه . والذى فعله بلال هو الذى فعله عمار بعينه فكان ماروى من التصريح بالانكار ، والتغيير أولى بالاعتماد من الرواية التى ليس فيها أكثر من السكوت عن عمار . ولعل النظر إذا أنعم منع من اتيان حديث عمار لأن فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم استنكر منه فعلا فقابله عمار بالحجة فأمسك عنه وهذا عظيم . ولئن كان شيء من الاخبار يرد بضعف أحد من نقلته لرد هذا لخطأ متنه وهجنته أولى .

ومنها إذا قرأ فى المصحف أن لا يتركه منشورا ولا يضع فوقه شيئا من الكتب ولا ثوبا ولا شيئا خطيرا ولا حقيرا حتى يكون بهذا محفوظا مكنونا عاليا لسائر الكتب وغيرها وقد وصفه الله بأنه فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون ، فاذا كان فوق السماوات . مكنونا محفوظا وليس هناك الا

الملائكة المطهرون فلأن يكون فيما بيننا مكنونا محفوظا أولى ، ألا ترى أنه منهى ألا يمسه الا طاهر فأولى أن ينهى أن يعرضه للاهانة أو يغفل عنه فيصيبه غبار البيت إذا كنس أو الدخان ، أو يعمل عليه حسابه أومفتاح حانوته ، إلا أن يكونا مصحفان فيوضع أحدهما فوق الآخر فيجوز .

ومنها أن يضعه فى حجره إذا قرأه أو على شيء بين يديه ولا يضعه فى الأرض

ومنها أن لا يمحوه من اللوح بالبصاق ولكن بغسله بالماء ويتوقى النجاسة من المواضع النجسة ، والمواضع التى توطأ فان لتلك الغساله حرمة وكان من كان قبلنا من السلف منهم من يستشفي بغسالته . وفى التنزيل (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين) وقال (ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور) وأخبر صلى الله عليه وسلم أن خاتمة القرآن معوذتان لم يتعوذ الناس بمثلهما . ورقى أبوسعيد الخدري اللديغ بفاتحة الكتاب فبرأ وأعطوه قطيعا من الغنم ثلاثين شاة . وفى الجملة ان الكلام مما يستشفى به وكانت عائشة رضى الله عنها تعوذ النبي صلى الله عليه وسلم فى مرضه فتقول اللهم رب الناس ، أذهب الباس ، أشف أنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما وان جبريل رقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشتكي فقال له : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك الله يشفيك باسم الله ارقيك .

وقال عليه السلام « مامن مريض لم يحضر أجله تعوذ بهذه الكلمات : « باسم الله العظيم من شر ماتجد وتحاذر سبع مرات الا شفاه الله عز وجل » .

واذا كان كذلك فالقرآن الذى لا كلام أشرف منه ولم ينزله الله تعالى الا ليخرج به الناس من الظلمات الى النور وينقذهم به من النار بعد أن كانوا على شفا حفرة منها ، ويهديهم به الى الجنة التى فيها الحياة الدائمة والراحة التامة من كل خوف وحزن أولى أن يستشفى به وبغسالته ويتبرك بقراءته ، وقد جاء

عن المتقدمين فى باب الاحترازات من المخاوف والاستشفاء من الأمراض بآيات القرآن ماهو مذكور فى غير هذا الموضع ، وسنذكر منه طرفا في الباب الموفي أربعين ، وأنهم انتفعوا بذلك فكان ذلك أدل دليل على أن القرآن من عند الله تعالى .

ومنها إذا اغتسل بكتابته مستشفيا من سقم أن لا يصبه على كناسة ولا في موضع نجاسة ولا على موضع يوطأ ولكن في ناحية من الأرض فى بقعة لا يطأها الناس ، أويحفر حفرة فى موضع طاهر حتى يصب من جسده فى تلك الحفرة ثم يكبسها ، أونهر كبير يختلط بمائه فيجرى .

ومنها أن لا يتخذ الصحيفة اذا بليت ودرست وقاية للكتب فان ذلك جفاء عظيم ولكن يمحوها بالماء .

ومنها أن لايخلى يوما من أيامه من النظر فى المصحف مرة أومرتين. وكان أبو موسى يقول : إنى لأستحي أن أنظر كل يوم في عهد ربى عزوجل مرة . وكان عمر بن الخطاب إذادخل بيته نشر المصحف وقرأفيه . ودخلوا على عثمان وهو يقرأ فى المصحف وكان والله قارئا : فقال والله إنى لأكره أن يأتى على يوم لاأنظر في عهد الله عز وجل . وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إذا أصبح أمر غلامه فنشر المصحف فقرأه عليه . وروي أن مصحف عبد الله كان منشورا في بيته . وقالت عائشة رضى الله عنها : أفضل العبادة قراءة مائتى آية فى المصحف . وروى أبو عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن معاوية بن يحي عن سليمان بن مسلم عن عبدالله بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فضل من يقرأ القرآن نظرا على الذي يقرؤه ظاهرا كفضل الفريضة على النافلة» وروى من حديث

حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « قراءة القرآن فى غير المصحف ألف درجة ، والقراءة في المصحف يضاعف على ذلك بألفي درجة » وقال عبد الله بن حسان : اجتمع اثنا عشر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن أفضل العبادات قراءة القرآن نظرا . وقال شداد بن أوس : ليس من العبادات أشد على الشيطان من قراءة القرآن نظرا . وروي أبو الاحوص عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من سره أن يحبه الله عزوجل ورسوله فليقرأ في المصحف» ذكره ابن شاهين وخرج من حديث اسماعيل بن عياش عن يحي بن سعيد عن خالد بن معدان عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ مائتي آية فى المصحف كل يوم نظرا شفع فى سبع قبور حول قبره وخفف الله عز وجل عن والديه وان كانا مشركين » . وروى ابن جريج عن أبى مليكة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أدام النظر فى المصحف متع ببصره » وروي زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أعطوا أعينكم حظها من العبادة » قالوا يارسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال «النظر في المصحف والتفكر فيه ، والاعتبار عند عجائبه» وروى مكحول عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن نظرا » وقال نافع : كان ابن عمر إذا نظر فى المصحف ليقرأ بدأ فقال : اللهم أنت هديتني ولو شئت لم أهتد ، لا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

﴿ تنبيه ﴾ قال العلماء : فائدة القراءة من الحفظ قوة الحفظ ، وثبات الذكر ، وهي أمكن للتفكر فيه . وفائدة القراءة في المصحف الاستثبات

لا يخلط بزيادة حرف ولا إسقاط حرف ، أو تقديم آية أو تأخيرها . وأيضا فانه يعطي عينيه حظها منه فان العين تؤدي للنفس وبين النفس والصدر حجاب ، والقرآن في الصدر فاذا قرأه عن ظهر قلبه فانه يسمع أذنه فيؤدي الي النفس ، وإذا نظر فى الخط كانت العين والاذن قد اشتركتا فى الاداء وذلك أوفى للأداء ، وكانت العين قد أخذت حظها كالأذن ويقضى حق المصحف لان المصحف لم يتخذ ليهمل ، وله على الانفراد حق فلا يقرأ إلا على طهارة ألا ترى أن المحدث منهى عن مسه وكانت القراءة فى المصحف أولى وأفضل .

ومنها ان لا يتأوله عند ما يعرض له من أمر الدنيا . وروى هشيم عن المغيرة عن ابراهيم قال : كان يكره أن يتأول شيئا من القرآن عند ما يعرض له شيء من الدنيا . والتأويل مثل قولك إذا جاء : جئت على قدر ياموسى . أو عند رفع إنسان شيئا : وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت . ومثل قوله : كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية ، هذا عند حضور الطعام وأشباه هذا .

ومنها أن لا يقال : سورة كذا وكذا كقولك سورة النحل وسورة البقرة وسورة النساء ، ولكن يقال : السورة التى يذكر فيها كذا . ذكره الترمذى الحكيم وغيره .

قال المؤلف رحمه الله : هذا يعارض ماثبت فى الصحيحين عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما فى ليلة كفتاه » وسيأتى . وفى صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود : « هذا والذي لا إله إلا هو مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة » وإذا ثبت هذا فالقول به أولى . والقول الأول إنما هو قول الحجاج واختياره ثبت ذلك عنه فى صحيح مسلم وغيره .

ومنها أن لا يتلى منكوسا كفعل معلم الصبيان يلتمس بذلك أحدهم

أن يرى الحذق من نفسه والمهارة وذلك محرم ومجانة من فاعله ، فان فيه إخراج القرآن عن وصفه ونظمه وإبطالا لاعجازه .

ومنها أن لا يقعر فى كلامه كفعل هؤلاء الهمزيين المبتدعة المتنطعين فى إبراز الكلام من تلك الأفواه المتنتة تكلفا فان ذلك محدث ألقاه اليهم الشيطان فقبلوه .

ومنها بأن لا يقرأ بألحان الغناء كلحون أهل الفسق ، ولا بترجيع اليهود والنصارى ، ولا نوح الرهبانية فان ذلك زيغ وقد تقدم .

ومنها أن لا يخلل تخطيطه اذا خطه . وعن أبى حكيمة أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة فمر به على بن أبى طالب كرم الله وجهه فنظر الى كتابته فقال له : أجل قلمك ، أي قطه ، فأخذت القلم فقططت من طرفه وكتبت وعلي ينظر فقال : هكذا نوره كما نوره الله عز وجل .

قال العلماء : وذلك أشبه بالاجلال والتعظيم ، ألا ترى الى الناس إذا أرادوا مكاتبة ملك أو سلطان تحروا لها من القراطيس أكبرها وأمتنها وأنقاها ومن الخطوط أحسنها وأفخمها ، ومن المداد أبرقه وأشده سوادا ، وفرجوا السطور ولم يقرمطوها لئلا يكون قد ضنوا بشيء مما كانت الحاجة إليه فى مكاتبته فيكونوا قد ضيعوا قدره . فكتاب الله تعالى أولى بمثل ذلك التبجيل .

وأيضا فان الكتاب كلما كان أكبر ، كان من الضياع أبعد .

ومنها أن لا يجهر بعض على بعض فى القراءة فيفسد عليه حتى يبغض اليه ما سمع ويكون كهيأة المغالبة . وخرج النبى صلى الله عليه وسلم على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقرآن فقال : « إن المصلي مناج ربه فلينظر بما يناجيه ، ولا يجهر بعضكم علي بعض بالقرآن » وقال عليه السلام : « مالى أنازع القرآن » قال فى حديث آخر : « قد علمت أن بعضكم قد خالجنيها » فهذا حكم كل مصل وقارىء فلا ينبغي لمصل غيره أو قاري سواه أن يخالط قراءته عليه .

ومنها أن لا يمارى ولا يجادل فى القراآت ، ولا يقول لصاحبه ليس كذا هو ولعله أن تكون تلك القراءة صحيحة جائزة من القرآن فيكون قد جحد كتاب الله . قاله الترمذى الحكيم .

ومنها أن لا يقرأ فى الأسواق ولا فى مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء . ألا ترى أن الله تعالى ذكر عباد الرحمن وأثنى عليهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراما ، هذا المرور بنفسه فكيف إذا مر بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهرانى أهل اللغو ومجمع السفهاء .

ومنها أن لا يسأل به أحدا من الناس شيئا من الدنيا وقد تقدم . وقد قيل إن وجه الكراهة فى هذا أنه ربما لم يعط فيكون قد عرض كتاب الله لأن يرد المتوسل به ، وفي ذلك بعض الغض من حرمته ، أو يكون إذا التمس بالقرآن مالا كانت منزلته كمنزلة من يلتمس بالصلاة مالا وذلك لا معنى له .

ومنها أن لا يقرأ في الحمام لما روي عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : شر البيوت الحمام ، نزع من أهله الحياء ، فلا يقرأ فيه القرآن . وعن عبد الله بن مسعود أنه كره القراءة فى الحمام . وعن جماعة من التابعين مثله . والقراءة في الكنف وفى المواضع المكروهة القذرة أشد كراهة ، ألا تري أنه تكره القراءة لمن أكل الثوم أو البصل أو الكراث .

ويؤمر القائم من الليل ، أو الطويل من الازم أن يستاك وينظف فمه قبل أن يقرأ القرآن لما يخالط من الريح الكريهة قراءته . والقراءة في حال قضاء الحاجتين كذلك فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد السلام على من سلم عليه وهو يبول . وقال له بعد ذلك : « إذا رأيتنى على هذه الحالة فلا تسلم على فانك إن سلمت على لم أرد عليك » فالقراءة أولي بالكراهة من رد السلام والله أعلم .

ومنها أن لا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه ولا يرمي به إلى صاحبه

إذا أراد أن يناوله إياه فان ذلك امتهانة له وقلة احترام .

ومنها أن لا يصغر المصحف بكتابة ولا باسم . وروى الأعمش عن ابراهيم عن على رضى الله عنه قال : لايصغر المصحف . وذكر ابن الانبارى عن عمر رضى الله عنه أنه رأى مصحفا صغيرا فقال : من كتب هذا ؟ قال رجل أنا ، فضربه بالدرة وقال عظموا القرآن .

قال العلماء : ومن المساهلة فيه وترك الحفل به أن يصغر فيكون عرضة للأيدى الخاطئة ، وذوى الامانات المختلفة الناقصة ، ولن يفعل هذا أحد بما عنده إلا إذا قل مقداره عنده ، وخف على قلبه أمره . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يقال : مسيجد ومصيحف .

ومنها أن لا يخلط فيه ماليس منه كعدد الآيات والسجدات والعشرات والوقوف واختلاف القراآت ومعاني الآيات . لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر باثبات ماينزل من القرآن فلم يحفظ أنه أمر باثبات آيات السور أو العواشر أو الوقوف ، وأمر أبو بكر الصديق رضوان الله عليه بجمع القرآن من اللحف (١) والعشب وقطع الأدم ونقله عنها الى مصحفه ، كما حفظ عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من ترتيب السور الآيات . ثم اتخذ عثمان بن عفان رضى الله عنه من ذلك المصحف مصاحف وبعث بها الى الأمصار فلم يعرف أنه أثبت فيها شيئا سوى القرآن ، فكذلك ينبغى أن يفعل فى كتابة كل مصحف .

ومنها أن لا يحلي بالذهب ولا يكتب بالذهب فيخلط به زينة الدنيا وروى مغيرة عن ابراهيم أنه كان يكره أن يحلى المصحف ، أو يكتب بالذهب أو يعلم عند رؤس الآى ، أو يصغر . وقال ابن عباس ـ ورأي مصحفا قد زين بالفضة ـ تغرون به السارق وزينته فى جوفه . ورأي عبد الله

---

(١) اللحف جمع لحفة وهى حجارة بيض رقاق .

ابن مسعود مصحفا مزينا بالذهب فقال : إن أحسن مازينت به المصحف تلاوته ليلا ونهارا في الخلوة . وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم » .

ومنها أن لا يكتب على الأرض ولا حائط كما يفعل فى هـذه المساجد المحدثة . وروي ابن المبارك عن سفيان عن محمد بن الزبير قال سمعت عمر ابن عبد العزيز يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مر رسول الله صلي الله عليه وسلم بكتاب في الارض فقال لشاب من هذيل « ماهذا ؟ » قال من كتاب كتبه يهودى ، قال : « لعن الله من فعل هذا لا تضعوا كتاب الله إلا موضعه » قال محمد بن الزبير : ورأى عمر بن عبد العزيز إبنا له يكتب القرآن علي حائط فضربه .

ومنها ان يفرح بالقرآن فرح الغني بغناه ، وذى السلطان بسلطانه ، فان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) وقال لعيسى (اذكر نعمتى عليك وعلي والدتك إذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) . وسمى القرآن نورا وشفاء ورحمة ، وسماه مباركا وهدي ، فمن أنعم به عليه ويسره له ليتعلمه ويقرأه فقد أشركه مع نبيه في علمه وإن كان لم يشركه معه فى جهة الانباء والتعليم ، فان لم يعظم المنعم عليه هذه النعمة ويعرف قدرها فهو من أجهل الجاهلين . قال صلى الله عليه وسلم : « من أعطى ثلث القرآن فقد أعطي ثلث النبوة » الحديث .

ومنها ان لا يكتب التعاوَيذ منه ثم يدخل به الخلاء إلا أن يكون فى غلاف من أدم أو فضة أو غيره فيكون كأنه فى صدره .

ومنها إذا كتبه أو شربه يسمى الله تعالي علي كل نفس ، وعظم النية

فيه فان الله عز وجل يؤتيه على قدر نيته . روى الليث عن مجاهد قال : لا بأس أن يكتب القرآن ثم يسقيه المريض . وعن أبي جعفر قال : من وجد في قلبه قساوة فليكتب يس في جام بزعفران ثم يشربه .

ومنها أن لا يقال سورة صغيرة ولا كبيرة . يروي عن أبي العالية أنه كره أن يقال صغيرة أو كبيرة . وقال لمن سمعه : أنت أصغر منها ، وأما القرآن فكله عظيم . ذكره مكى .

قال المؤلف رضى الله عنه ورحمه : قد روى أبو داود مايعارض هذا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال : مامن المفصل سورة كبيرة ولا صغيرة إلا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم الناس بها فى الصلاة .

ومنها أن يعترف لله عز وجل بما عبر به عن نفسه ، لما روي أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ (والتين والزيتون) فبلغ (أليس الله بأحكم الحاكمين) قال بلى . وقيل : كان يقول « سبحانك اللهم وبلى » وقيل كان يقول « سبحانك وبلى » . وإذا قرأ (فبأي حديث بعده يؤمنون) قال « آمنت بالله وما أنزل » وقرأ في الصلاة (فألهمها فجورها وتقواها) فقال : « اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » .

وقال علقمة : صليت الي جانب عبد الله فاستفتح طه فلما أتى على هذه الآية (وقل ربى زدنى علما) فقال : رب زدنى علما . ثم ختمها فركع . وقال ابن عمر : إذا قرأت (قل أعوذ برب الفلق) فقل أعوذ برب الفلق ، وإذا قرأت (قل أعوذ برب الناس) فقل أعوذ برب الناس . وكان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله)

بكي ثم قال : بلى يا ربي بلى يا ربي . وكان معاذ بن جبل إذا ختم سورة البقرة قال : آمين ، كما يقول إذا ختم الفاتحة .

الباب الرابع والثلاثون

(فيما جاء في حامل القرآن وما هو ومن هو وفيمن عاداه)

قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب بيان العلم له : روى من وجوه فيها لين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة الامام المقسط ، وذى الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى فيه ، ولا الجافى عنه » قال أبو عمر : وحملة القرآن هم العالمون بأحكامه وحلاله وحرامه ، والعاملون به .

قال المؤلف ، رحمه الله : ما أحسن هذا !! وهذا هو الكمال على ما تقدم . وفي الترمذى عن صهيب قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » وهذا الحديث وإن كان إسناده ليس بذاك فمعناه صحيح والله أعلم . قال أبو عمر : وروى أنس أن النبى صلي الله عليه وسلم قال : « القرآن أفضل من كل شيء فمن وقر القرآن فقد وقر الله ، ومن استخف بالقرآن فقد استخف بحق الله ، حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله ، المعظمون كلام الله ، الملبسون نور الله ، فمن والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم فقد استخف بحق الله عز وجل » وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلي الله عليه وسلم قال : « أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل » وعن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الغزاة فرط أهل الجنة والانبياء سادات أهل الجنة وحملة القرآن عرفاء أهل الجنة » .

وروى وكيع بن الجراح عن الأعمش عن زائدة بن عاصم عن ذرعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «أكرموا حملة القرآن فمن أكرمهم فقد أكرمنى ، ومن أكرمني فقد أكرم الله عزوجل . إن الله عز وجل لينصت لقرآن ويستمع من أهله ألا ولا تنقصوا حملة القرآن حقوقهم فانهم من الله بمكان ، كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء إلا أنه لا يوحى اليهم ، التالى والسامع آية من كتاب الله خير مما دون العرش الى الارض السابعة السفلى ، التالى والسامع آية من كتاب الله خير من صبير ذهب » قيل يارسول الله وما صبير ذهب ؟ قال « مثل أحـد في الميزان » خرجه الوايلى في كتاب الابانة له . وقال : هذا حديث غريب جدا من رواية الأكابر عن الاصاغر . وكتب عمر بن عبدالعزيز الي عماله : لا تستعملوا على شيء من أعمالى الا أهل القرآن . فكتبوا اليه استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خانة ، فكتب إليهم لا تستعملوا إلا أهل القرآن فانه إن لم يكن عند أهل القرآن خير فغيرهم أحرى أن لا يكون عندهم خير . وقال الحسن : ثلاثة يوسع لهم فى المجلس ، ذو الشيبة فى الاسلام ، وحامل القرآن ، والامام المقسط . وروى مرفوعا .

الباب الخامس والثلاثون

(فى البكاء من خشية الله عند تلاوة القرآن وسماعه وفيما يحمل على ذلك)

روى البخاري عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ على » قلت أقرأ عليك وعليك أنزل ؟؟ قال : « إنى أحب أن أسمعه من غيرى » فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال أمسك فاذا عيناه تذرفان

وأخرجه مسلم وقال بدل قوله فأمسك فرفعت رأسى أو غمزنى رجل الى جنبى فرفعت رأسى فرأيت دموعه تسيل.

﴿ فصل ﴾ قال علماؤنا : بكاء النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان لعظيم ماتضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر إذ يؤتي بالأنبياء عليهم السلام شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ويؤتى به صلي الله عليه وسلم شهيدا على أمته وغيرهم . ولهذا قال العلماء : يجب على القارىء إحضار قلبه ، والتفكير عند قراءته ، لأنه يقرأ خطاب الله الذى خاطب به عباده . فمن قرأه ولم يتفكر فيه وهو من أهل أن يدركه بالتذكر والتفكر كان كمن لم يقرأه ، ولم يصل الى غرض القراءة من قراءته فان القرآن يشتمل على آيات مختلفة الحقوق فاذا ترك التفكر والتدبر فيما قرأ استوت الآيات كلها عنده فلم يرع لواحدة منها حقها ، فثبت أن التفكر شرط فى القراءة يتوصل به الى إدراك أغراضه ومعانيه ومايحتوى عليه من عجائبه وقد قال الله تعالى (كتاب أنزلناه اليك مباركا ليتدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) وقال (أفلا يتدبرون القرآن أم علي قلوب أقفالها) وأيضا فان ترديد الآية والتخشع والبكاء عندها سنة القارىء فاذا لم يعرف مايقرأ لغفلته أو لجهله به لم يميز موضع الترديد ، ولا جاءت عينه بدمع . فصح أن سنته إذا كان عالما باللسان فهما مميزا أن يقرأ متفكرا . ويوضحه ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يردد هذه الآية حتى أصبح (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) وقال محمد بن كعب لأن اقرأ إذا زلزلت والقارعة أرددهما وأتفكر فيهما أحب الى من أن أبيت أهذ القرآن . وقال سعيد بن عبيد الطائى : سمعت سعيد بن جبير يؤمهم فى شهر رمضان وهو يردد هذه الآية (فسوف يعلمون إذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى

الحميم ثم في النار يسجرون) وقال القاسم : رأيت سعيد بن جبير قام ليلة يصلي فقرأ (واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله ثم توفى كل نفس ما كسبت) فرددها بضعا وعشرين مرة ، وكان يبكى بالليل حتى عمش . وقال الحسن : يا ابن آدم كيف يرق قلبك وإنما همك في آخر سورتك . وقال بعضهم : بعثتني أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنها وعن أبيها الى السوق وافتتحت سورة والطور وانتهت الى قوله تعالي (ووقانا عذاب السموم) وذهبت ورجعت وهى تكرر هذه الآية . وقال رجل من قيس يكني أبا عبد الله : بتنا ذات ليلة عند الحسن فقام من الليل فصلى فلم يزل يردد هذه الآية حتي السحر (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) فلما أصبح قلنا يا أبا سعيد لم تكد تجاوز هذه الآية سائر الليل ؟ قال : أرى فيها معتبرا ، ما أرفع طرفا ولا أرده إلا وقد وقع على نعمة وما لا يعلم من نعم الله أكثر . وقال أبو سليمان : مارأيت أحدا الخوف على وجهه والخشوع أظهر من الحسن بن صالح بن صالح بن حى . قام ليلة الى الصباح بعم يتساءلون ثم غشى عليه ، ثم عاد فعاد اليها فغشى عليه فلم يختمها حتى طلع الفجر . وإذا تقرر هذا حمله على البكاء والخشوع معرفة ما يقرأ لاحضار قلبه والتذكر عند قراءته . وقد قال صلى الله عليه وسلم : «إن هذا القرآن نزل بحزن فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا» وقد تقدم . وجاء أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يتعجبون منه وينظرون اليه ، وكان رجلا بكاء لا يملك دموعه إذا قرأ القرآن . وكان عمر بن الخطاب يصلي بالناس فيبكى فى قراءته حتى انقطعت قراءته وسمع نحيبه من وراء ثلاث صفوف . وقرأ ابن عمر (ويل للمطففين) فلما أتى على قوله (يوم يقوم الناس لرب العالمين) بكي حتى انقطع عن قراءة

ما بعدها . وقال ابن أبي مليكة : كان ابن عباس يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفا حرفا ، ثم حكى قراءته (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) قال ثم بكى حتى سمع له نشيج . ومر النبي صلى الله عليه وسلم بشاب يقرأ (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) فوقف واقشعر وخنقته العبرة فجعل يبكي ويقول : ويحى من يوم تنشق فيه السماء ويحى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مثلها يافتى أولا تمثلها والذى نفسى بيده لقد بكت ملائكة السماء لبكائك » .

﴿ فصل ﴾ قال القاضى أبو بكر بن العربى : ورأيت من يعيب البكاء ويقول انه صفة الضعفاء ، والنبي صلي الله عليه وسلم قد مدحه فقال : « عينان لن تمسهما النار ، عين بكت من خشية الله ، وعين سهرت فى سبيل الله » وكان أبو بكر رضى الله عنه أسيفا إذا قرأ بكي شوقاوخوفا . وكان عبدالله ابن عمرو يكثر من البكاء ويغلق عليه بابه حتى رمصت عيناه .

قال المؤلف رحمه الله : مدح الله البكائين فى كتابه عز وجل مخبرا عن الأنبياء ومن انضاف اليهم من الأولياء (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وقال (ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وأخبر أن البكاء يزيدهم خشوعا والذين أوتوا العلم هم أهل الخشية كما قال فى تنزيله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فاعلمهم بالله أشدهم له خشية . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «والله إنى لأخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى » وكان صلى الله عليه وسلم يصلى ولصدره أزيز كازيز المرجل من البكاء . وقد ذكرنا عن جماعة من الصحابة وعن كثير من التابعين أنهم بكوا فكيف يقال انه من صفة الضعفاء ، وفى التنزيل (واذا

سمعوا ما أنزل الى الرسول تري أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) والنبي صلى الله عليه وسلم بكى رهبة لذلك اليوم، وهؤلاء بكوا شوقا إلى الله تعالي حين سمعوا كلامه. وقد مدح الله تعالى قوما بقوله (إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا) الآيتين. وذم قوما آخرين بقوله تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) وهم على أقسام منهم الكفار، ومنهم الغافلون، ومنهم الذين ورد ذكرهم فى الأثر ينثرونه نثر الدقل، يتعجلونه ولا يتأجلونه، يمرون عليه بغير فهم ولا تدبر، صم عن سماعه، عمى عن رؤية عبره. ومنهم من يقيم حروفه فى مخارجها، ومنهم من يقبل على جمع القراآت يجمعها وليته جمع الصحيح منها أو عرف كيف يجمعها، كله مذموم، واقبال على مالا يحتاج اليه، واعراض عن ما يلزم.

وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع أعمالهم، يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر فى الفوق فلا يرى شيئا، ثم ينظر فى القدح فلا يري شيئا، وينظر فى الريش فلا يري شيئا، ويتمارى فى الفوق فلا يرى شيئا» فقوله عليه السلام «لا يجاوز حناجرهم» يقول لا ينتفعون بقراءته كما لا ينتفع الآكل والشارب بالمأكول والمشروب مما لا يجاوز حنجرته. وقد قيل ان معنى ذلك أنهم كانوا يتلونه بألسنتهم ولا يعتقدونه بقلوبهم.

﴿فصل﴾ قال المؤلف رحمه الله: وقد جاء فى البكاء من خشية الله تعالى أحاديث وأخبار رأيت أن نذكر منها فى هذا الباب ما فيه كفاية.

فمن ذلك ما خرجه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يلج النار رجل بكي من خشية الله عز

وجل حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم »
قال وفى الباب عن أبى ريحانة وابن عباس قال هذا حديث حسن صحيح .
وروي النسائى عن أبي ريحانة أنه قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه
وسلم يقول : « حرمت علي النارعين دمعت من خشية الله ، وحرمت علي
النار عين سهرت فى سبيل الله » ونسيت الثالثة ، وسمعت بعد أنه قال
«وحرمت علي النار عين غضت عن محارم الله» وخرج ابن ماجه قال حدثنا
ابن أبى فديك قال ثنا حماد بن أبي حميد الزرقى عن عون بن عبد الله بن
عتبة بن مسعود عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « مامن عبد مؤمن تخرج من عينه دموع وإن كانت مثل
رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله
علي النار » وفى حديث سعد بن أبي وقاص عن النبى صلي الله عليه وسلم
« إن هذا القرآن نزل بحزن فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا » وقد تقدم . وروى
الترمذى وابن ماجه عن أبي ذر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم »
إنى أري مالا ترون وأسمع مالا تسمعون ، أطت السما وحق لها أن تئط
مافيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله عز وجل ، والله
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على
الفرش ، ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى . لوددت أنى كنت شجرة
تعضد » قال الترمذى ثنا أبو حفص عمر بن على قال ثنا عبد الوهاب الثقفى عن
محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » هذا حديث
صحيح . وفي الباب عن عائشة رضى الله عنها وابن عباس وأنس رضى الله عنهم
قال : هذا حديث حسن غريب . ويروى من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال

لوددت أني كنت شجرة تعضد . وروى عن أبي ذر موقوفا . وروى ابن ماجه عن البراء قال : كنا مع النبي صلى الله عليه في جنازة فجلس على شفير قبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال : «ياإخواني لمثل هذا فأعدوا» وذكر الترمذى الحكيم في نوادر الأصول وثنا أبو بكر بن سابق الأموى قال ثنا أبو مالك الجنبي عن جويبر عن الضحاك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يذكر عن رحمة ربه تبارك وتعالى : «أنه قال لموسى عليه السلام أما البكاؤن من خشيتي فلهم الرفيق الأعلى لا يشركهم فيه أحد» . وروى عبد الوهاب عن ثور عن خالد بن معدان قال : مابكى عبد من خشية الله تعالى الا خشعت لذلك جوارحه وكان مكتوبا في الملأ الأعلى باسمه فلان ابن فلان منور قلبه بذكر الله تعالى . وروي عن حزام القطعي قال سمعت مالك بن دينار يقول : الباكى من خشية الله تهتز له البقاع التى يبكى عندها وتغمره الرحمة مادام باكيا . وروى ابن السماك قال سمعت عمر بن ذر يقول : ان البكاء من خشية الله تعالى يبدل بكل قطرة أودمعة تخرج من عينيه أمثال الجبال من نور فى قلبه ويزداد فى قوته للأعمال وتطفي تلك الدموع بحورا من النار . وروى ابن السماك عن مفضل بن مهلهل قال : بلغنى أن العبد إذا بكي من خشية الله تعالي ملئت جوارحه نورا واستبشرت ببكائه وتداعت بعضها بعضا بم هذا النور ؟ فيقال هذا غشيكم من نور البكاء . وروي عن اشرس الهذلى قال سمعت فرقد السبخي يقول : قرأت فى بعض الكتب ان العبد إذا بكي من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كيوم ولدته امه ، ولو ان عبدا جاء بجبال الارض ذنوبا وآثاما لوسعته الرحمة إذا بكى من خشية الله ، وإن البكاء على الجنة تشفع له الجنة تقول رب ادخله الجنة كما بكى على ، واذا بكي خوفا من ناره فالنار تستجير له من ربها عز وجل تقول رب

أجره منى كما استجارك منى وبكى خوفا من دخولى .

وروى عن صالح المري أنه قال : من بكي خوفا لله تعالى من ذنب غفر له ذلك الذنب ، ومن بكى اشتياقا إلى الله تعالى أباحه النظر اليه متي شاء . وروى عن هارون بن رباب أنه قال : إن البكاء مثاقيل لو وزن بالمثقال الواحد منها مثال جبال الدنيا لرجح به البكاء ، وإن الدمعة لتنحدر فتطفىء البحور من النار ، وما بكي عبد مخلصا فى ملأ إلا غفر لهم جميعا ببركة بكائه .

وروي عن عبد الوهاب بن عطاء بن عبيدة بن حسان عن النضر بن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن عبدا بكى فى أمة من الأمم لأنجي الله تلك الأمة من النار ببكاء ذلك العبد ، وما من عمل إلا وله وزن وثواب إلا الدمعة فانها تطفىء بحورا من النار ، وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله عز وجل إلا حرم الله جسدها على النار ، وإن فاضت على خده لم ترهق وجهه قترة ولا ذلة » وروي عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال : من بكي من خشية الله عز وجل غفر الله له ذنوبه ، ومن تباكى أعطاه الله عز وجل أجر الحزين المصاب .

الباب السادس والثلاثون

(فى الصعقة والخشية والغشية عند سماع القرآن وتلاوته)

قال الله تعالى (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وهذه أحوال العلماء يبكون ولا يصعقون ، ويسكتون ولا يصيحون ، ويتحازنون ولا يتماوتون .

وقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) وقال (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وروى الترمذى وصححه عن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، الحديث . ولم يقل زعقنا ولا رقصنا ولا زفنا ولا قمنا . وفى صحيح مسلم عن أنس بن مالك أن الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه فى المسألة ، فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال : « سلونى لا تسألونى عن شىء إلا بينته لكم مادمت فى مقامى هذا ؟ » فلما سمع القوم ذلك أرموا ورهبوا أن يكون بين أمر قد حضر . قال أنس : فجعلت ألتفت يمينا وشمالا فاذا كل إنسان لاق رأسه يبكى . وذكر الحديث .

قال علماؤنا رحمة الله عليهم : فهذه أحوال العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته لا كما تفعله الجهال والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذى يشبه نهاق الحمير ، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع ، لم تبلغ أن تساوى حال الرسول ولا حال أصحابه فى المعرفة بالله والخوف منه والتعظيم لجلاله ومع ذلك فكانت أحوالهم عند المواعظ الفهم عن الله ، والبكاء من الله عز وجل . وكذلك وصف الله عز وجل أحوال أهل المعرفة عند سماع المواعظ ذكره وتلاوة كتابه فقال (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض) الآية . فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقهم فمن كان مستنا فليستن ، ومن تعاطى أحوال المجانين والمجون فهو من أسوئهم حالا ، والجنون فنون . فان قيل : قد روى عن جماعة من السلف أنهم ماتوا عند

السماع للقرآن وبعضهم يغشى عليه ؟ قلنا : ليس لنا قدوة ولا اقتداء إلا بأصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد ذكرنا حالهم وصفتهم . وروي عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم . قالت : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله عز وجل ترى أعينهم تفيض من الدمع وتقشعر جلودهم . فقيل لها : إن ناسا اليوم يقرؤن القرآن فاذا قرئ عليهم القرآن خروا مغشيا عليهم ؟ فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . قال سعيد بن عبد الرحمن الجمحى : مر ابن عمر برجل من أهل القرآن ساقط ، فقال : مابال هذا ؟ قيل إنه إذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله سقط . قال ابن عمر : إنا لنخشى الله وما نسقط . ثم قال : إن الشيطان يدخل فى جوف أحدهم ، ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال عمر بن عبد العزيز : ذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ عليهم القرآن ، قال : بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رمي بنفسه فهو صادق !! وقال أبو عمران الجونى : وعظ موسى عليه السلام بنى اسرائيل ذات يوم فشق رجل قميصه فأوحي الله تعالي إلى موسى عليه السلام : قل لصاحب القميص لا يشق قميصه فانى لا أحب المبذرين يشرح لى عن قلبه .

فان قيل : فقد روى ابن أعين أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية (إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصعق . وصح عن جماعة من السلف أنهم صرعوا عند سماع القرآن والمواعظ وغشى عليهم فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع قارئا يقرأ (إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) فصاح صيحة خر مغشيا عليه ، فحمل الى أهله فلم يزل مريضا شهرا ؟ وروى أن زرارة بن أوفى قرأ (فاذا نقر فى الناقور)

صعق ومات فى محرابه رضى الله عنه . وقرأ صالح المرى على أبى جهين فمات . وسمع الشافعى رضى الله عنه قارئا يقرأ (وهذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فغشي عليه . وسمع على بن الفضيل قارئا يقرأ (يوم يقوم الناس لرب العالمين) فسقط مغشيا عليه . وروي أن الربيع بن خيثم سمع قارئا يقرأ (فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير) فخر مغشيا عليه فلم يفق إلا في اليوم الثانى من ذلك الوقت فسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن صلاته . فقال لا إعادة عليه . وروى أن رجلا صلى وراء امام فقرأ (يوم يقوم الناس لرب العالمين) فخر الرجل وراءه مغشيا عليه ، فلما سلم الناس ألفوه ميتا . وحكى عن الجنيد رحمه الله قال : دخلت علي سرى السقطى رحمه الله وعنده رجل قد غشى عليه ، فقلت من هذا ؟ قال هذا رجل سمع رجلا يقرأ آية من كتاب الله عز وجل فغشى عليه وقد فاتته صلاته ، فقلت اقرأ عليه هذه الآية التى سمعها قال فقرأتها عليه فأفاق . قال سري : فقلت له من أين لك هذا ؟ فقال ألا ترى الى نبى الله يعقوب عليه السلام لما ذهب بصره على يوسف عليه السلام وببشرى ذلك المخلوق رجع اليه بصره ولو كان ذهب بصره على الحق مارجع الا من حيث الحق ، والحق لا يظهر إلا فى دار الحق فى دار البقاء بابصار البقاء .

قلنا : لا ننكر أن يجد بعض الفضلاء والصالحين مثل هذه لغلبة الخشية والخوف والحق ماذكرناه أولا ، فان كنت يامن لُبّس عليه تدعى أنك على نعهم فمت كموتهم فتنبه لبهرجك فان الناقد بصير ، والمحاسب خبير .

ثم يقال لمن صرخ فى حال خطبة الجمعة : ان كنت قد ذهب عقلك حال صعقتك فقد خسرت صفقتك ، اذ قد سلب عقلك ، وذهب فهمك ، ولحقت بغير المكلفين من الصبيان المجانين ، وصرت كأحدهم بل أخسر

لأنك حرمت سماع الموعظة ، وشهود الجمعة .

وقد قال مشايخ الصوفية رضى الله عنهم: مهما كان الوارد مانعا من القيام بالفرض ، ومانعا من خير فهو من الشيطان . ثم يلزم من ذهب عقله بأن ينتقض وضوؤه فان صلى بعد تلك الغشية بوضوئه الجمعة ولم يتوضأ كان كمن لم يشاهد الخطبة ولاصلى ، فأى صفقة هي أخسر ممن هذه صفقته ، وأى مصيبة هى أعظم ممن هذه مصيبته !! وإن كان وقت صراخه حاضر فى عقله فقد تكلم فى حال الخطبة وشوش على الحاضرين سماعها ، وأظهر بدعة فى مجمع من الناس وحرضهم لأن يجب عليهم تغييرها ، فان لم يفعلوا فقد عصى الله من جهات متعددة وحمل الناس على المعصية إلى ماينضاف إلى ذلك من رياء كامن في القلب ، وفسق ظاهر على الجوارح . فنسأل الله الوقاية من الخذلان ، وكفاية أحوال المجان .

قال المؤلف رحمه الله : ولقد أخبرنى بعض أصحابنا ممن أثق به أن الفقيه القاضى الخطيب بمالقة ابن الامام القاضى عياض ضرب من صاح فى حال الخطبة لما فرغ من صلاة الجمعة ضربا وجيعا وقال له : ضربتك لشهرتك لنفسك ، وتشويشك على الناس ، وكلامك حال الخطبة .

الباب السابع والثلاثون

(فيما جاء أن القرآن شافع مشفع)

ذكر ابن المبارك فى رقائقه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل

فشفعني فيه ، فيشفعان » وخرج ابن ماجه باسناد صحيح عن بريدة الأسلمى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاب فيقول هل تعرفنى ؟ فيقول أنا الذى أسهرت ليلك وأظمأت نهارك » وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فى خطبته : « إنه لا خير فى العيش إلا لعالم ناطق ، أو مستمع واع ، أيها الناس إنكم فى زمن هدنة ، وإن السير بكم سريع وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد ، و يقربان كل بعيد ، و يأتيان بكل موعود » فقال له المقداد : يارسول الله وما الهدنة ؟ قال « دار بلاء وانقطاع فاذا ألبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وشاهد مصدق فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه قاده إلى النار ، هو أوضح دليل إلى خير سبيل من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل » وقد تقدم من حديث أبى مالك الأشعرى أنه حجة لك أو عليك . ومن حديث أنس أن من تعلمه وأخذ بما فيه كان له دليلا وشفيعا إلي الجنة.

الباب الثامن والثلاثون

(في عظيم ذنب من حفظ القرآن ونسيه)

الترمذى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عرضت على أجور أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت على ذنوب أمتى فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أوتيها رجل ثم نسيها » قال حديث غريب . وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم من حديث سعد بن عبادة أنه قال : « من تعلم القرآن ثم نسيه لقى الله يوم القيامة أجذم »

ذكره أبو عمر . وقال : يعني منقطع الحجة .

قال المؤلف رضى الله عنه : وهذا الحديث خرجه أبو داود . وكان ابن عيينة يذهب فى أن النسيان الذى يستحق صاحبه الذم ويضاف اليه الاثم هو الترك للعمل به . وأن النسيان فى لسان العرب الترك قال الله تعالى (فلما نسوا ماذكروا به) أى تركوا . وقال (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أى تركوا طاعة الله فترك رحمتهم . قال سفيان : وليس من اشتهى بحفظ شىء من القرآن وتفلت منه بناس إذا كان يحل حلاله ويحرم حرامه .

قال المؤلف رضي الله عنه : وهذا تأويل حسن جدا وفيه توجيه ، إلا أن الله تعالى أثنى على من كان دأبه قراءة القرآن فقال (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) أى بالقرآن . وقال (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) وسمى القرآن ذكرا وتواعد من أعرض عنه ومن تعلمه ثم نسيه فقال تعالي (كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا) وقال بعد ذلك (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) إلى قوله (وقد كنت بصيرا) فهذا ظاهره تلاوة القرآن ، وكذلك ظاهر الحديث . وإذا كان نسيان القرآن من الذنوب بهذا المحل فلا احتراز منه إلا بادمان القرآن . وقال صلى الله عليه وسلم : « ياأهل القرآن لاتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل وآناء النهار وتغنوه وتقنوه واذكروا مافيه لعلكم تفلحون » قال أبو عبيد قوله تغنوه اجعلوه غناكم من الفقر ولاتعدوا الاقلال معه فقرا . وقوله وتقنوه اقتنوه كما تقتنون الأموال .

الباب التاسع والثلاثون

(فى تحذير أهل القرآن والعلم من العجب والرياء والغيبة والفحشاء)

قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) وقال (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وقال (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) قيل نزلت فى أهل الرياء . وفى الخبر أنه يقال لهم يوم القيامة : «صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال فقد قيل ذلك» . خرجه مسلم في صحيحه ومعناه ولفظه عن أبى هريرة . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأوتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جرىء فقد قيل ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأت القرآن وعلمه فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال وقرأ القرآن ليقال هو قاريء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتي ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال ما تركت سبيلا تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار » خرجه الترمذى بمعناه وقال فيه عن أبي هريرة : ثم ضرب

رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي . فقال : « يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة » وخرج ابن المبارك في رقائقه عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن عباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتي يخاض البحار فى الخيل في سبيل الله تبارك وتعالى ، ثم يأتى أقوام يقرؤن القرآن فاذا قرؤه قالوا من أقرأ منا ؟ من أعلم منا ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال هل ترون فى أولئكم من خير ؟ قالوا لا قال « أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار » وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » يعنى ريحها . قال الترمذى حديث حسن . وروى الترمذي عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعوذ بالله من جب الحزن » قالوا يارسول الله وما جب الحزن ؟ قال : واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم فى كل يوم مائة مرة . قيل يارسول الله ومن يدخله ؟ قال : « القراء المراؤن بأعمالهم » قال هذا حديث غريب خرجه ابن ماجه أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعوذوا بالله من جب الحزن » قالوا يارسول الله وماجب الحزن ؟ قال « واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة » قيل يارسول الله ومن يدخله ؟ قال « أعد للقراء المرائين بأعمالهم وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء » قال المحاربى الجورة .
وخرجه أسد بن موسى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تعوذوا بالله من جب الحزن » قيل يارسول الله

وماجب الحزن ؟ قال « وادفى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين » وفى رواية أعده الله للذين يراؤون الناس بأعمالهم » وفى حديث آخر ذكره أسد بن موسى أنه عليه السلام قال : « إن فى جهنم لواديا إن جهنم لتتعوذ من ذلك الوادى كل يوم سبع مرات إن فى ذلك الوادى لجبا إن جهنم والوادي ليتعوذان من شر ذلك الجب ، وإن فى ذلك الجب لحية إن جهنم والوادى وذلك الجب ليتعوذن بالله من شر تلك الحية ، أعدها الله للأشقياء من حملة القرآن » .

وأنبأنا الشيخ الفقيه الامام المحدث أبو القاسم عبد الله عن أبيه الشيخ الفقيه الامام العالم المحدث أبو الحسن على بن عبد الله بن خلف بن معروف الكوفى (١) قال قرىء على الشيخة الصالحة فخر النساء خديجة بنت أحمد بن الحسن بن عبد الكريم النهروانى فى منزلها وأنا حاضر أسمع وذلك في التاسع من رمضان سنة أربع وتسعين وخمسمائة قيل لها أخبركم الشيخ أبو عبد الله الحسين ابن أحمد بن طلحة النعالى سنة اثنين وتسعين وأربعمائة فأقرت به وقالت نعم قال أنا أبو الحسن محمد بن زرقويه البزاز قال ثنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن صالح الصفار قال ثنا أبو يحيي زكرياء بن يحى بن أسد المروزى قال حدثنا معروف الكرخي قال قال بكر بن خنيس : « إن في جهنم لواديا تتعوذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم سبع مرات وإن في ذلك الوادي لجبا يتعوذ الوادى وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات وإن فى الجب لحية يتعوذ الجب والوادى وجهنم من تلك الحية كل يوم سبعا يبدأو بفسقة حملة القرآن فيقولون أى رب بدىء بنا قبل عبدة الأوثان قيل ليس من يعلم كمن لا يعلم » . وخرج أبو القاسم اسحاق بن ابراهيم

---

(١) فى نسخة : ابن مغروز الكرمى ولينظر .

ابن محمد الختلى فى كتاب الديباج حدثني أبو عبد الله مردويه قال سمعت
الفضيل يقول : يا بنى لكل شىء ديباج وديباج القراءة ترك الغيبة .

الباب الموفى اربعين

(فى التنبيه على أحاديث وضعت فى فضل سور القرآن وآيه وذكر ماورد من الأخبار فى فضل سوره وآيه وذكر بعض منافعه)

لا التفات لما وضعه الواضعون واختلقه المختلقون من الأحاديث الكاذبة والأخبار الباطلة فى فضل سور القرآن وغير ذلك من فضائل الأعمال ، وقد ارتكبها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا يدعون الناس إلى فضائل الأعمال . كما روى عن أبى عصمة نوح بن أبى مريم المروزى ومحمد بن عكاشة الكرمانى وأحمد بن عبد الله الجويبارى وغيرهم . قيل لأبى عصمة : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضل سور القرآن سورة سورة ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازي محمد بن اسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة . قال أبو عمرو عثمان بن الصلاح فى كتاب علوم الحديث له : وهكذا الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل القرآن سورة سورة وقد بحث باحث عن مخرجه حتى انتهي إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه وأن أثر الوضع عليه لبين ولقد أخطأ الواحدى المفسر ومن ذكره من المفسرين فى إيداعه تفاسيرهم . وقال القاضى أبو بكر بن العربي : وقد اقتحم الناس فى فضل القرآن وسوره أحاديث كثيرة منها ضعيف لا يعول عليه ، ومنها مالم ينزل الله بها من سلطان ، وأشبه ماجمع فى ذلك كتاب ابن أبى

شيبة وكتاب أبي عبيد وفيها باطل عظيم ، وحشو كثير . وقد ذكر الحاكم وغيره من شيوخ المحدثين أن رجلا من الزهاد انتدب في وضع أحاديث فى فضل القرآن وسوره فقيل له : لم فعلت هذا ؟ فقال : رأيت الناس زهدوا فى القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه ، فقيل فان النبى صلى الله عليه وسلم قال: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فقال : أنا ما كذبت عليه ، إنما كذبت له !!

قال المؤلف ، رضى الله عنه : فلو اقتصر الناس على ماثبت فى الصحاح والمسانيد وغيرها من المصنفات التى تداولها العلماء ورواها الأئمة الفقهاء لكان لهم فى ذلك غنية وخرجوا عن تحذير نبيهم صلى الله عليه وسلم حيث قال : « اتقوا الحديث إلا ماعلمتم فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

قال علماؤنا رحمهم الله : فتخويفه صلي الله عليه وسلم بالنار على الكذب دليل على أنه كان يعلم أنه سيكذب عليه . فحذار مما وضعه أعداء الدين ، وزنادقة المسلمين فى باب الترغيب والترهيب وغير ذلك . وأعظمهم ضررا قوم منسوبون إلي الزهد وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركونا اليهم فضلوا وأضلوا .

ذكر ماورد من الأخبار فى فضل سور القرآن وآيه وذكر بعض منافعها

من ذلك سورة الفاتحة وقد تقدم فى فضلها حديث سعيد بن المعلا وحديث أبي هريرة وأبى بن كعب فى الباب السادس وذكرنا من أسمائها أربعة عشر اسما في كتاب جامع أحكام القرآن وذلك مما يدل على فضلها وشرفها . وذكر ابن الانبارى في كتاب الرد له حدثنى أبي قال حدثنى أبو عبيد الله الوراق قال ثنا أبو داود قال ثنا شيبان عن منصور عن مجاهد قال : إن

إبليس لعنه الله رن أربع رنات ، حين لعن ، وحين أهبط من الجنة ، وحين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وحين أنزلت فاتحة الكتاب . وأنزلت بالمدينة

قال المؤلف غفر الله لنا وله : قول مجاهد وأنزلت بالمدينة فقد روى ذلك عن أبى هريرة وعطاء بن يسار والزهرى ، وقيل نزلت بمكة قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية وهو أصح لقوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم) والحجر مكية بإجماع ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة وما حفظ أنه كان فى الاسلام صلاة قط بغير الحمد لله رب العالمين . وقد زدنا هذا المعني بيانا فى مقدمة جامع أحكام القرآن . وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا (١) من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب فى السماء فتح ولم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته (٢) . فهذا الحديث يدل على أنها مدنية وإن جبريل لم ينزل بها ، وليس كذلك بل نزل بها جبريل عليه السلام بمكة لقوله تعالى (نزل به الروح الامين علي قلبك) وهذا يقتضى جميع القرآن فيكون جبريل عليه السلام نزل بتلاوتها بمكة ونزل الملك بفضلها وثوابها بالمدينة فتتفق الآثار . وقد قيل إنها مكية مدنية نزل بها جبريل عليه السلام مرتين حكاه الثعلبي وغيره وماذكرناه أولى والله أعلم .

ومن فضلها حديث الرقية رواه الأئمة واللفظ للبخارى قال ثنا سيدان ابن مضارب أبو محمد الباهلى قال أنا أبو معشر يوسف بن يزيد البراء قال ثنا عبد الله بن الأخنس أبو مالك عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس . ان

---

(١) النقيض : الصوت . (٢) فى رواية . إلا أعطيته .

نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مروا بماء فيه لديغ أو سليم فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال : هل فيكم من راق ؟ إن فى الماء رجلا لديغا أو سليما فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاة فجاء بالشاة إلي أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا أخذت على كتاب الله أجرا حتى قدموا المدينة فقالوا يارسول الله أخذ على كتاب الله أجرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله عز وجل » ورواه البخارى أيضا ومسلم من حديث أبى سعيد الخدرى وفيه : فجعلوا لهم قطيعا من الشاء وأنهم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم فضحك وقال « ماأدراك أنها رقية خذوها واضربوالى بسهم معكم » ورواه الدارقطني وأبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية ثلاثين راكبا فنزلنا على قوم من العرب فسألناهم أن يضيفونا فأبوا فلدغ سيد الحي فأتونا فقالوا : أفيكم أحد يرقى من العقرب ؟ فى رواية ابن قتة إن الملك يموت - قال أبو سعيد : قلت نعم أنا ولكن لا أفعل حتى تعطونا ، قالوا فانا نعطيكم ثلاثين شاة قال فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين سبع مرات وفي رواية سليمان بن قتة عن أبى سعيد فأفاق وبرأ وبعث بالنزل و بعث الينا بالشاء فأكلنا الطعام أنا وأصحابى وأبوا أن يأكلوا من الغنم حتى أتينا رسول الله صلي الله عليه وسلم فأخبرته الخبر فقال « وما يدريك أنها رقية » قلت يارسول الله شيء ألقى فى روعى فقال : « كلوا وأطعمونا من الغنم » قال الترمذى حديث حسن صحيح .

ومن سورة البقرة جاء فى فضلها وفضل آيات منها أحاديث . من ذلك حديث أبى أمامة الباهلى قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : « اقرؤا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة » قال معاوية :

بلغني أن البطلة السحرة . وعن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال « لا تجعلوا بيوتكم مقابر فان الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة » رواه مسلم . وروى الدارمى أبو محمد في مسنده عن عبد الله قال : مامن بيت يقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله ضراط . وقال : إن لكل شيء سناما وإن سنام القرآن سورة البقرة ، وإن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن سور المفصل . قال الدارمي : اللباب الخالص .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : قول عبد الله إن لكل شيء سناما روى مرفوعا خرجه الترمذي عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هى سيدة القرآن هى آية الكرسى » قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حكيم بن جبير وقد تكلم شعبة فى حكيم بن جبير وضعفه . وخرجه أبو حاتم محمد بن حبان البستى فى المسند الصحيح له عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل شيء سناما وان سنام القرآن سورة البقرة ، ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ومن قرأها نهارا لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام » قال أبو حاتم البستى : قوله عليه السلام لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام أراد مردة الشياطين . وروى الترمذى عن أبى هريرة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل واحد منهم يعنى مامعه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال مامعك يافلان ؟ قال : معى كذا وكذا وسورة البقرة ، قال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم ! قال اذهب فأنت أميرهم . فقال رجل من أشرافهم : والله يارسول الله مامنعنى أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعلموا القرآن

واقرؤوه فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه كمثل جراب محشو مسكا يفوح
ريحه من كل مكان ، ومثل من يتعلمه ويرقد وهو في جوفه كمثل جراب وكى
على مسك » قال حديث حسن . وخرج الوايلى أبو نصر باسناده من حديث
هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من قرأ سورة البقرة وسورة آل عمران إيمانا واحتسابا جعل الله له يوم
القيامة جناحين مضرجين بالدر والياقوت يطير بهما على الصراط أسرع
من البرق » قال الوايلى : وهذا حديث غريب الاسناد والمتن . وروي
الدارمي في مسنده عن الشعبي قال قال عبدالله : من قرأ عشر آيات من سورة
البقرة في ليلة لم يدخل البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح ، أربعا من أولها
وآية الكرسى وآيتين بعدها ، وثلاث خواتيمها أولها لله مافي السموات
ومافى الأرض . وعن الشعبى عنه : لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء
يكرهه ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق . وقال المغيرة بن سبيع وكان من
أصحاب عبد الله — : لم ينس القرآن . وقال إسحق بن عيسى : لم ينس ماقد
حفظه قال أبو محمد الدارمى : منهم من يقول المغيرة بن سميع . وفي الترمذي
عن أبي أيوب الانصارى أنه كانت له سهوة فيها تمر فكانت تجيء الغول
فتأخذ منه قال فشكي ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم قال « اذهب فاذا رأيتها
فقل بسم الله أجيبى رسول الله » صلى الله عليه وسلم قال فأخذها فحلفت أن
لا تعود فأرسلها فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال « مافعل أسيرك ؟ »
قال حلفت أن لا تعود فقال « كذبت وهى معاودة للكذب » قال فأخذها
مرة أخرى فحلفت أن لا تعود فأرسلها فجاء إلى النبى صلي الله عليه وسلم
فقال « مافعل أسيرك ؟ » قال حلفت أن لا تعود « فقال كذبت وهى
معاودة للكذب » فأخذها فقال ماأنا بتاركك حتى أذهب بك للنبى صلي

الله عليه وسلم . فقالت : انى ذاكرة لك شيئا آية الكرسى اقرأها في بيتك فلا يقربنك شيطان ولا غيره . فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال مافعل أسيرك ؟ قال فأخبرته بماقالت قال « صدقت وهي كذوب » قال حديث حسن غريب . وفى الباب عن أبى بن كعب قال المؤلف غفر الله لنا وله : وخرجه البخارى فقال وقال عثمان بن الهيثم أبو عمرو حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة . قال : وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : إنى محتاج وعلى مال ولى حاجة شديدة فخليت عنه . فأصبحت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة مافعل أسيرك البارحة ؟ » قال قلت يا رسول الله شكي لى حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت سبيله ، فقال « أما إنه قد كذبك وسيعود » فعرفت أنه سيعود لقوله صلى الله عليه وسلم أنه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعنى فاني محتاج وعلى مال ولى عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله ، فاصبحت فقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم « ما فعل أسيرك البارحة ؟ » قلت يارسول الله شكى حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال « أما إنه قد كذبك وسيعود » فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطعام فاخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود ، قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قلت ما هى ؟ قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى الله لا إله إلا هو الحى القيوم حتى تختم الآية فانك لن تزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما فعل أسيرك

البارحة ؟ » فقلت يا رسول الله إنه زعم أنه يعلمني كلمات فينفعني الله بها فخليت سبيله ، فقال « ماهي ؟ » قلت قال لى إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم وقال لن تزال عليك من الله حافظا ولا يقربنك شيطان حتي تصبح وكانوا أحرص شىء على الخير . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أما إنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة ؟ » قال لا قال « ذلك شيطان » وفى مسند الدارمى أبي محمد ثنا أبو نعيم عن أبي عاصم الثقفى عن الشعبى قال قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : لقي رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم رجلا من الجن فصارعه فصرعه الأنسى فقال له الأنسى إنى لأراك ضئيلا سخيبا كأن ضريعتك ضريعتى كلب فكذلك أنتم معشر الجن أم أنت من بينهم كذلك ؟ قال لا والله إنى من بينهم لضليع ولكن عاودنى الثانية فان صرعتني علمتك شيئا ينفعك الله به ، قال نعم فصرعه قال : أتقرأ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ؟ قال نعم قال فانك لاتقرؤها فى بيت إلا خرج منه الشيطان له خبج كخبج الحمار ثم لايدخله حتى يصبح . قال الدارمى : الضئيل الدقيق والسخيب المهزول ، والضليع جيد الأضلاع ، والخبج الريح .

قال المؤلف غفر الله لناوله : قال أبو عبيد : الخبج الضراط وهو الحبج أيضاً بالحاء . ذكره فى غريب حديث عمر (١) فقال ثنا أبو معاوية عن أبي عاصم الثقفى عن الشعبى عن عبد الله الحديث . قال فقيل لعبد الله أهو عمر ؟ فقال : ما عسى أن يكون إلا عمر ! وروى الأئمة عن أبي بن كعب

(١) فى النهايه : فى حديث عمر اذا أقيمت الصلاة ولى الشيطان وله خبج الخبج بالتحريك الضراط ويروى بالحاء المهملة .

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا المنذر أتدرى أى آية معك من كتاب الله أعظم ؟» قلت: آلله لا إله إلا هو الحي القيوم ، قال فضرب فى صدرى وقال « ليهنك العلم يا أبا المنذر » متفق عليه . وقد تقدم . وزاد الترمذى الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول « فوالذى نفسى بيده إن لهذه الآية للسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش » قال أبو عبد الله الترمذى : فهذه الآية أنزلها الله عز وجل ذكره وجعل ثوابها لقارئها عاجلا وآجلا ، فأما في العاجل فهى حارسة لمن قرأها من جميع الآفات ، وروى عن عوف البكائي أنه قال : آية الكرسى تدعى فى التوراة ولية الله ، ويدعى قارئها فى ملكوت السموات عزيزاً ، وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه إذا دخل بيته قرأ آية الكرسى فى زوايا بيته الأربع . معناه كأنه يلتمس بذلك أن تكون له حارساً من جوانبه الأربع ، وأن تنفي عنه الشيطان من زوايا بيته . وروى عن عمر رضي الله عنه أنه صارع جنياً فصرعه عمر ، فقال له الجنى : خل عنى حتى أعلمك ما تمتنعون به منا ، فخلى عنه وسأله فقال : إنكم تمتنعون منا بآية الكرسى . وروى أن المؤمنين ندبوا إلى المحافظة على قراءتها فى دبر كل صلاة وعن أنس رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام من داوم على قراءة آية الكرسى دبر كل صلاة أعطيته قلوب الشاكرين ، وأجر النبيين ، وأعمال الصديقين ، وبسطت عليه يمينى بالرحمة ، ولم يمنعه أن أدخله الجنة إلا أن يأتيه ملك الموت ، قال موسى عليه السلام يارب من سمع بهذا ألا يداوم عليه ؟! قال إنى لا أعطيه من عبادى الا نبى أو صديق أو رجل أحبه أو رجل أريد قتله فى سبيلى » وعن أبى بن كعب قال : قال الله تعالى ياموسى من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة أعطيته ثواب الأنبياء . قال أبو عبد الله : معناه عندنا أنه

يعطى ثواب عمل الأنبياء ، فأما ثواب النبوة فليس لأحد إلا للانبياء . وذكر أبو نصر الوايلي عن أبى أمامة الباهلي عن علي بن ابى طالب رضي الله عنه أنه كان يقول : ما أرى رجلا ولد فى الأسلام أو أدرك عقله الأسلام يبيت أبداً حتى يقرأ هذه الآية الله لا إله إلا هو الحى القيوم . ولم يعلمون ما هى ؟ إنما أعطيها نبيكم من كنز تحت العرش ولم يعطها أحد قبل نبيكم صلى الله عليه وسلم ، مابت ليلة قط حتى أقرأها ثلاث مرات أقرأها فى الركعتين بعد العشاء الآخرة ، وفى وتري ، وحين آخذ مضجعى من فراشى . قال الوايلى : وأخبرنا عبدالوهاب بن عثمان بن الحسن قال ثنا محمد بن إبراهيم بن أسحاق السراج قال ثنا معاذ بن المثنى العنبري قال ثنا محمد بن كثير قال حدثني عبد الله بن لهيعة عن أبى قبيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يتول قبض روحه إلا الله عز وجل » قال وهذا حديث غريب بصري (١) الطريق. وقد روى عن أبى أمامة نحوه أخبرناه أحمد بن محمد بن الحاج قال ثنا الحسين بن أحمد بن محمد المقابري قال ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال ثنا هارون بن داود الطرسوسى قال ثنا محمد بن حمير قال ثنا محمد بن زياد الألهانى عن أبى أمامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة لم يكن بينه و بين أن يدخل الجنة إلا أن يموت » قال وهذا شامى الطريق حسن . وقال الامام أبو محمد بن عطية فى تفسيره : وهذه الآية تضمنت التوحيد والصفات العلى وهي خمسون كلمة وفى كل كلمة خمسون بركة وهي تعدل ثلث القرآن. ورد بذلك الحديث . وقال ابن عباس : أشرف آية فى القرآن آية الكرسى .

(١) فى الأصل : مصرى .

سمعت شيخنا الاستاذ المقرى أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد القيسى رحمه الله
يقول : إنما كانت أشرف آية لانه تكرر فيها أسم الله تعالى بين مضمر وظاهر
ثمان عشرة مرة . وليس يوجد ذلك فى غيرها . قال قال أبو الحسن بن بطال
فى شرح البخارى له وفي كتاب وهب بن منبه : أن يأخذ سبع ورقات من
سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسى ثم
يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل فيه فانه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله
تعالى وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله . وفى الصحيحين عن أبى مسعود
الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ هاتين الآيتين
من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» لفظ مسلم وخرجه الترمذى وقال فيه :
حديث حسن صحيح . ومعني كفتاه قيل من قيام الليل وقيل من شر الشيطان
فلا يكون له عليه سلطان . وروى الترمذى قال ثنا بندار ثنا محمد بن يسار قال
أنبأنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا حماد بن سلمة عن أشعب بن عبد الرحمن
الجرمي عن أبى قلابة عن أبى الاشعث الجرمي عن النعمان بن بشير عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال « إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والارض
بالفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن فى دار ثلاث ليال
فيقربها شيطان » قال هذا حديث غريب وخرجه أبو عمر الدانى المقرى في
كتاب البيان له باسناده عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : «إن الله عز وجل كتب كتابا قبل أن تخلق السموات والارض بألفى
عام وأنزل منه هذه الثلاث آيات التى ختم بهن سورة البقرة من قرأهن فى
بيته لم يقرب الشيطان بيته ثلاث ليال» وقد تقدم نزول الملك بها في سورة
الفاتحة مع الفاتحة . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أوتيت
هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلى »

وهذا صحيح يدل على صحة نزول الملك بها مع الفاتحة وفى هـذه السورة آية عظمى جعلها الله تعالى ملجأ لذوى المصائب وعصمة للممتحنين لما جمعته من المعانى المباركة وهى قول الله تعالى (إنا لله وإنا اليه راجعون) قال سعيد ابن جبير : لم يعط هذه الكلمات نبياً قبل نبينا ولو عرفها يعقوب لما قال: ياأسفى على يوسف . وفى صحيح مسلم عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول ماأمره الله عز وجل إنا لله وإنا اليه راجعون ، اللهم آجرني فى مصيبتى واخلف علي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها » وفي البخارى قال عمر : نعم العدلان ونعم العلاوة (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) أراد بالعدلين الصلوات والرحمة وبالعلاوة الاهتداء ، قيل الى استحقاق الثواب وإجزال الأجر وقيل إلى تسهيل المصائب وتخفيف الحزن والله أعلم .

من سورة آل عمران: ورد أيضاً فيها آثار وأخبار فمن ذلك ماجاء أنها أمان من الحيات وكنز للصعلوك وإنها تحاج عن قارئها فى الآخرة ويكتب لمن قرأ آخرها فى ليلة كقيام ليلة ذكر الدارمي أبو محمد فى مسنده قال : ثنا أبو عبيد القاسم بن سلام قال حدثنى عبيد الله الاشجعى قال ثنا مسعر قال حدثني جابر قبل أن يقع فيما وقع فيه عن الشعبى قال قال عبد الله : نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل . ثنا محمد بن سعيد قال ثنا عبد السلام عن الجريرى عن أبى السليل قال : أصاب رجل دما فأوى الى وادى إلي محيه(١) لا يمشى فيه أحد إلا أصابته حية وعلي شفير الوادي راهبان فلما أمسى قال أحدهما لصاحبه : هلك والله الرجل ، قال فافتتح سورة

(١) كذا فى الأصل وضبطه فى المغربية (بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الياء).

آل عمران قالا فقرأ سورة طيبة لعله سينجو . قال فأصبح سليما . وأسند عن مكحول قال : من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل . وخرج مسلم عن النواس بن سمعان الكلابى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالقرآن يوم القيامة واهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران » وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما ثلاثة أمثال مانسيتهن بعد قال « كأنهما غمامتان أو ظلتان سودا وان بينهما شرق ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما » . وخرج أيضاً عن أبى أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اقرؤوا القران فأنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لاهله اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران فأنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان او كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما اقرؤوا سورة البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة » قال معاوية : بلغنى أن البطلة السحرة .

﴿ فصل ﴾ للعلماء فى تسمية البقرة وآل عمران بالزهراوين ثلاثة أقوال، الأول أنهما النيرتان مأخوذ من الزهر والزهرة ، فأما لهدايتهما قارئهما بما يزهران من أنوارهما أى من معانيهما وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة وهو القول الثاني . الثالث سميتا بذلك لأنهما اشتركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم كما ذكره أبو داود وغيره عن أسماء بنت يزيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين وإلهكم آله واحد لا آله إلا هو الرحمن الرحيم والتى في آل عمران الله لا آله إلا هو الحى القيوم » أخرجه ابن ماجه أيضا في التفسير . والغمام السحاب الملتف وهى الغمامة إذا كانت قريبة من الرأس وهي الظلة أيضا . والمعنى أن قارئهما

فى ظل ثوابهما كما جاء الرجل فى ظل صدقته وقوله يحاجان أي يخلق الله عز وجل من يجادل عن قارئهما بثوابهما ملائكة كما روى من حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ عند منامه شهد الله أنه لا إله إلا هو خلق الله له منها سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة وقوله بينهما شرق قيل بسكون الراء وفتحها وهو تنبيه على الضياء لأنه لما قال سودا وان قد يتوهم أنهما مظلمتان فنفى ذلك بقوله بينهما شرق ويعنى بكونهما سودا وان أى من كثافتهما التي بسببهما حالتان من تحتهما وبين حرارة الشمس وشدة اللهب والله أعلم وقد أشبعناه هذا القول فى كتاب التذكرة.

آية شهد الله : قال كعب الأحبار : بلغنى أن من أراد أن لا يتخم من طعام أو شراب فليقرأ إذا طعم شهد الله أنه لا آله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا آله إلا هو العزيز الحكيم فانه لا يتخم إن شاء الله تعالى.

وذكر الوايلي أبو نصر فى حديث زبير بن العوام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا هذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا آله إلا هو العزيز الحكيم) قال «وأنا أشهد أنك الله لا آله إلا أنت العزيز الحكيم» وروى غالب القطان قال أتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الأعمش فكنت أختلف اليه فلما كان ليلة أردت أن أنحدر الى البصرة قام فتهجد من الليل فقرأ بهذه الآية (شهد الله أنه لا آله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا آله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام) قال الأعمش وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة وان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا فغدوت اليه وودعته وقلت انى سمعتك تقرأ هذه الآية فما بلغك فيها ؟ أنا عندك منذ سنة لم تحدثني به ؟ قال والله لا أحدثك به

سنة قال فأقمت وكتبت على بابه ذلك اليوم فلما مضت السنة قال : حدثني أبو وايل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى عبدي عهد الي وأنا أحق من وفى ادخلوا بعبدى الجنة . قال أبو الفرج ابن الجوزي : غالب القطان : ـ هو غالب بن خطاف القطان ، يروى عن الأعمش حديث شهد الله وهو معضل . وقال ابن عدي : الضعف على حديثه بين . وقال أحمد ابن حنبل : غالب بن خطاف القطان ثقة ثقة . وقال ابن معين : ثقة . وقال أبو حاتم : صدوق .

قال المؤلف رضى الله عنه : ويكفيك من عدالته وثقته أن خرج له البخارى ومسلم فى كتابيهما وحسبك .

آية : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) تقدم أنها معلقة بالعرش وآية الكرسى وشهد الله وفاتحة الكتاب ، ليس بينهن و بين الله حجاب . وروى من حديث على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لما أراد الله تعالى أن ينزل فاتحة الكتاب وآية الكرسى وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب ، تعلقن بالعرش وليس بينهن و بين الله حجاب وقلن يارب تهبط بنا الى دار الذنوب والى من يعصيك ؟ فقال الله عز وجل : وعزتى وجلالي لايقرؤكن عبد دبر كل صلاة مكتوبة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان منه ، وإلا نظرت اليه بعينى المكنونة فى كل يوم سبعين مرة ، وإلا قضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة ، وإلا أعذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت » وقال معاذ بن جبل : احتبست يوما عن النبي صلي الله عليه وسلم فلم أصل معه الجمعة فقال : « يامعاذ ماحبسك عن صلاة الجمعة ؟ » قلت يارسول

الله كان ليوحنا اليهودى عندى أوقية من تبر وكان على بابى يرصدنى ، فأشفقت أن يحبسنى دونك ، قال « أتحب يا معاذ أن يقضي الله دينك ؟ » قلت نعم ! قال : قل كل يوم قل اللهم مالك — إلى قوله بغير حساب ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي منهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء اقض عني ديني فلو كان عليك ملء الأرض ذهباً لأداه الله عنك » وخرجه أبو نعيم الحافظ عن معاذ قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات من القرآن وكلمات ما على الأرض مسلم يدعو بهن وهو مكروب أو غارم أو ذو دين إلا قضى الله عنه وفرج همه ، قل اللهم . فذكره .

آية : (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً واليه ترجعون) روي مجاهد عن ابن عباس قال : إذا استصعبت دابة أحدكم أو كانت شموسا فليقل فى أذنها (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه ترجعون) .

آية : (حسبنا الله ونعم الوكيل) تقال عند الشدائد . روى البخارى عن ابن عباس فى قوله تعالى (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم حين ألقي فى النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال له الناس (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) . وقال عقبة بن عامر قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يلوم بالعجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك أمر فقل حسبى الله ونعم الوكيل » ذكره الحليمي فى كتاب منهاج الدين له . وقال عبد الله بن عمرو : إنما نجا ابراهيم عليه السلام بقوله حسبنا الله ونعم الوكيل .

خاتمتها عشر آيات : خرج الوايلي أبو نصر من حديث سليمان بن موسى

قال حدثنا مظاهر بن أسلم المخزومى قال أخبرنى سعيد المقبرى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه كان يقرأ عشر آيات من آخر آل عمران كل ليلة » . وفى مسند الدارمي أبي محمد عن عثمان بن عفان قال : من قرأ آخر آل عمران فى كل ليلة كتب الله له قيام ليلة ، فى طريقه ابن لهيعة .

وخرج الوايلى أبو نصر : من حديث يونس عن ابن وهب ، أن مالكا حدثه عن مخرمة بن سليمان عن كريب مولى ابن عباس أن ابن عباس أخبره وذكر كلاما - وبعده - فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتصف الليل أوقبله بقليل أوبعده بقليل استيقظ . رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران وذكر الحديث . قال يونس : لم يظهر لمالك عن هذا الشيخ إلا هذا الحديث . قال الوايلى أخرجه البخارى وأبو داود عن القعنبي عن مالك . وأخرجه مسلم عن يحيي بن يحي عن مالك .

خاتمتها خمس آيات : روى من حديث الامام على بن الامام موسى الرضى قال حدثني أبي موسى بن جعفر قال حدثني أبى جعفر بن محمد قال حدثنى أبى محمد بن على قال حدثنى أبى على بن الحسين قال حدثنى أبى الحسين بن على قال حدثنى أبي على بن أبي طالب رضى الله عنه قال : إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر فى طلبها يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من منزله الخمس آيات من آخر سورة آل عمران وآية الكرسى وإنا انزلناه وأم الكتاب فان فيها قضاء حوائج الدنيا والآخرة .

ومن سورة النساء ، قال المؤلف غفر الله له ولوالديه : لا أعلم فيها حديثا يروى فى فضلها إلا حديثا يشمل جميع السور وهو ماذكره الترمذي عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامن مسلم يأخذ مضجعه

يقرأ سورة من كتاب الله عز وجل إلا وكل الله به ملكا فلا يقربه شيطان حتى يهب متى هب » وخرجه الوابلى أيضا عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخذ أحدكم مضجعه ليرقد فليقرأ بأم القرآن وسورة فان الله عز وجل يوكل به ملكا يهب معه اذا هب » وخرج الوايلى أيضاً من حديث سفيان عن أبى أسحاق عن الأسود وعلقمة قالا قال عبد الله : من قرأ هاتين الآيتين من سورة النساء ثم استغفر الله غفر له (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما ، ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) .

سورة المائدة : ذكر النقاش عن أبى سلمة أنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، قال : « ياعلى أما شعرت أنه أنزلت على سورة المائدة ونعمت الفائدة » قال القاضى أبو بكر بن العربى : هذا حديث موضوع لا يحل لمسلم اعتقاده ، أما انا نقول سورة المائدة ونعمت الفائدة ولا نأثره عن أحد ولكنه كلام حسن . وقال ابن عطية : هذا عندي لا يشبه كلام النبي صلي الله عليه وسلم . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سورة المائدة تدعى فى ملكوت الله عز وجل المبعثرة تنقذ صاحبها من أيدى ملائكة العذاب » قال المؤلف غفر الله لنا وله : إنما كانت نعمت الفائدة لأنها آخر ما أنزل من القرآن ليس فيها منسوخ ، وفيها تسع عشرة فريضة ليست في غيرها وقد بيناها فى كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآى الفرقان . والحمد لله .

سورة الأنعام : أسند أبو جعفر النحاس فى كتاب معانى القرآن له حدثنا محمد بن يحيي بن عقبة قال حدثنا أبو حاتم روح بن الفرج مولى الحضارمة

قال ثنا أحمد بن محمد أبو بكر العمرى قال ثنا ابن أبي فديك قال حدثني محمد بن طلحة بن علقمة بن وقاص عن نافع أبى سهيل بن مالك عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نزلت سورة الانعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والارض لهم ترتج ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سبحان ربى العظيم ثلاث مرات» وقال ابن عباس : نزلت سورة الأنعام جملة ليلا بمكة ومعها سبعون الف ملك يحدونها بالتسبيح . وقال سعيد بن جبير : لم ينزل شيء من الوحي إلا نزل مع جبريل عليه السلام ومعه أربعة من الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وهو قوله تعالي (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) إلا الأنعام فانها نزلت معها سبعون الف ملك . ذكره الحليمى . وروى فى الخبر أنها نزلت جملة واحدة غير ست آيات وشيعها سبعون الف ملك مع اية واحدة منها اثنى عشر الف ملك وهي (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) فكتبوها من ليلتهم . ذكره المهدوي (١) وغيره . وروى الدارمى فى مسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : الانعام من نواجب القرآن . وفيه عن كعب قال : فاتحة التوراة الأنعام وخاتمتها هود . وذكر الثعلبي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « قال من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام الي قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله به أربعون الف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة معه مرزبة من حديد فاذا أراد الشيطان أن يوسوس له يوحي فى قلبه شيئاً ضربه ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجاباً فاذا كان يوم القيامة قال الرب تبارك وتعالى امش في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي وكل من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر

---

(١) كذا فى المغربية : وفى الأولى الهروى .

واغتسل من ماء السلسبيل فأنت عبدي وأنا ربك » .

الست آيات : قال المفسرون : سورة الأنعام مكيـة إلا ست آيات نزلت بالمدينـة (وما قدروا الله حق قدره وقل تعـالوا أتل ما حرم ربكم عليـكم) الى آخر ثلاث آيات . قال ابن عطية وغـيره : وهى الآيات المحكمات . وذكر ابن المبارك قال أخبرنا عيسى بن عمر عن عمر و بن مرة أنه حـدثهم قال قال ربيع بن خيثم لجليس له : أيسرك أن تؤتى بصحيفة عن النبي صـلى الله عليـه وسلم لم يفـك خاتمها ؟ قال نعم ! قال : فاقرأ (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً فقرأ الى آخر ثلاث آيات . وقال كعب الأحبار : هذه الآية مفتتح التوراة (بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) الآية وقال ابن عباس : هذه الآيات المحكمات التي ذكرها الله فى سورة الأنعام اجتمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قط فى ملة . وقيل إنها العشر كلمات التي أنزلها الله عز وجل على موسى عليه السلام .

آية : لـكل نبا مستقر وسوف تعلمون ، ذكر الثعلبى أنه رأى فى بعض التفاسير أن هذه الآية لـكل نبإ مستقر وسوف تعلمون نافعة من وجـع الضرس إذا كتبت على كاغد ووضع علي السن .

ومن سورة الأعراف : ذكر الوايلى بو نصر أخبرنا هبة الله بن ابراهيم قال أنا على بن الحسين قال ثنا أبو عروبة قال ثنا المسيب بن واضح قال ثنا محمد بن حمير عن محمد بن زياد عن عبد الله بن بشر المازنى قال : خرجت من حمص (١) وآوانى الليل الى البقيعة قال فنزلت فحضرنى من أهل الأرض فقرأت هذه الآية من الأعراف (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض)

(١) فى الأولى : من حصن .

الآية ،قال بعضهم لبعض : أحرسوه الآن حتى يصبح،قال فلما أصبحت ركبت وانطلقت إلى حاجتي . قال الوايلي أخبرنا الخصيب بن عبدالله قال ثنا محمد بن موسى بن فضالة قال ثنا أحمد بن أنس قال ثنا هشام - يعني ابن عمار - قال ثنا محمد بن مرزوق قال ثنا مهدي بن ميمون عن الحجاج عن الحسن بن علي قال : أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية أن يعصمه الله من كل شيطان مريد ، ومن كل سلطان ظالم ، ومن كل لص عاد ، ومن كل سبع ضار ، آية الكرسي وثلاث من الأعراف إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وعشر آيات من الصافات وثلاث آيات من الرحمن يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا وخواتيم سورة الحشر وآخر سورة براءة . وروى أبو داود عن أبى الدرداء قال من قال : إذا أصبح واذا أمسى حسبى الله لاإله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ماأهمه صادقا كان فيها أوكاذبا .

ومن سورة يونس عليه السلام : قوله تعالى (وقال موسى ماجئتم به السحر إن الله سيبطله) قال ابن عباس رضي الله عنه : من أخذ مضجعه من الليل ثم تلا هذه الآية (وقال موسى ماجئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لايصلح عمل المفسدين) لم يضره كيد ساحر ، ولا تكتب على مسحور الا دفع الله عنه السحر .

ومن سورة هود عليه السلام : أسند الدارمي فى مسنده عن كعب الأحبار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرؤا سورة هود يوم الجمعة » وروى مروان بن سالم عن طلحة بن عبدالله بن كريز عن الحسن (١) بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أمان لأمتى من الغرق اذا ركبوا فى

(١) فى المغربية : الحسين .

الفلك بسم الله الرحمن الرحيم وماقدروا الله حق قدره والارض جميعاقبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله مجريها ومرساها ان ربى لغفور رحيم » .

ومن سورة الرعد: روى أبان عن أنس قال قل رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتأخذ الصاعقة ذاكر الله عزوجل » وقال أبو هريرة : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع صوت الرعد يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » . وقال ابن عباس : من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو علي كل شيء قدير فان أصابته صاعقة فعلي ديته . وذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن علي من حديث سليمان بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده . قال : كنا مع عمر فى سفر فأصابنا رعدو برد ، فقال لنا كعب : من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً عوفى مما يكون في ذلك الرعد . فقلنا فعوفينا، ثم لقيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاذا بردة قد أصابت أنفه فأثرت فيه ، فقلت يا أمير المؤمنين ماهذا ؟ فقال بردة أصابت أنفي فأثرت فيه. فقلت إن كعباً حين سمع الرعد قال لنا من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً عوفى مما يكون في ذلك الرعد فقلنا فعوفينا . فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفلا قلتم لنا حتى نقولها ؟ ورواه من وجه آخر بهذا المعنى عن ابن عباس قال كنا مع عمر في سفر بين المدينة والشام ومعنا كعب الأحبار قال فأصابنا ريح وأصابنا رعد ومطر شديد و برد وفرق الناس .قال فقال لى كعب: من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته عوفى مما يكون فى ذلك السحاب من البرد والصواعق. قال : فقلتها أنا وكعب

فلما أصبحنا اجتمع الناس . قلت لعمر : ياأمير المؤمنين كأنا كنا في غـير ما كان فيه الناس ، قال وماذاك ؟ قال : فحدثته حديث كعب فقال: سبحان الله أفلا قلتم لنا فنقول كما قلتم ؟! ذكرها في روايات الصحابة عن التابعين رضي الله عنهم .

ومن سورة ابراهيم عليه السلام : إذا سرقت لك سرقة فاكتب على رغيف عمل بغير ملح (يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيـه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ . ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضاً يسيراً) .

ومن سورة سبحان : ذكر الوايلى أبو نصر من حـديث سفيان بن عيينة عن الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء ابنة أبي بكر الصـديق رضى الله عنها. قالت : لمـا نزلت تبت يدا أبى لهب جاءت العوراء أم جميـل امرأة أبي لهب ومعها فهر ولها ولولة حتى دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أبو بكر رضى الله عنـه . فقال أبو بكر رضى الله عنه : يارسول الله قد أقبلت هـذه وليس آمنها عليك ؟ قال: « كلا إنى أقرأ قرآنا أعتصم به منها » فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) فجاءت حتي وقفت على أبي بكر فقالت : أين صاحبكم ؟ قال: لم ياأم جميل ؟ قالت : بلغني أنه هجاني ، قال: لا والله ماهجاك ولكن ربه هجاك .

خاتمة سبحان : روى مطرف بن عبدالله عن كعب قال ! افتتحت التوراة بفاتحة الأنعـام وختمت بخاتمة هذه السورة . وفي الخبر « أنها آية العز » . رواه معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عمر بن شعيب عن أبيه عن جده. قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفصح الغلام من

بني عبد المطلب علمه (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك) الآية ، وقال عبد الحميد بن واصل : سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية كتب الله له من الأجر مثل الأرض والجبال لأن الله تعالى يقول فيمن زعم أن له ولدا «تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا» وجاء فى الخبر عن النبى صلى عليه وسلم : أن رجلا شكى اليه الدين فأمره أن يقرأ (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعو فله الأسماء الحسنى) إلى آخر السورة ثم يقول توكلت علي الحى الذى لا يموت ثلاث مرات . وذكر ابن أبي الدنيا باسناده عن اسماعيل بن أبي فديك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما كربنى أمر إلا تمثل لى جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذى لا يموت، والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا» .

ومن سورة الكهف : روى فى فضلها أخبار وآثار ، فمن ذلك حديث أنس قال بينما رجل يقرأ سورة الكهف إذ رأى دابته تركض فنظر فاذا مثل الغمامة أو السحابة فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال « تلك السكينة نزلت للقرآن أو تنزلت على القرآن » خرجه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح . وفى الباب عن أسيد بن حضير وقد تقدم . وخرج الترمذى أيضا عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال : « من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » وقال هذا حديث حسن صحيح . وخرجه مسلم أيضا وقال فيه من حفظ عشر آيات . وفى رواية من آخر الكهف . وفى صحيح مسلم أيضا من حديث النواس بن سمعان فمن أدركه — يعنى الدجال — فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف .

وذكر الثعلبي قال سمرة بن جندب قال النبي صلى الله عليه وسلم، « من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظ ولم تضره فتنة الدجال . ومن قرأ السورة كلها دخل الجنة » وقال اسحاق بن عبد الله بن أبي فروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك ملء عظمها ما بين الخافقين السماء والأرض لتاليها مثل ذلك ؟ » قالوا : بلى ! يارسول الله ! قال « سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، وأعطى نورا يبلغ السماء ووقى فتنة الدجال» ذكره الثعلبى أيضا .

قال المؤلف : ولا يصح . قال البخاري فى التاريخ : اسحاق بن عبد الله ابن أبى فروة أبو سليمان مولى عثمان بن عفان مدنى قرشي تركوه . قال لى أحمد بن أبى الطيب عن ابن أبى الفديك : مات سنة ست وثلاثين ومائة نهي أحمد بن حنبل عن حديثه . وفي مسند الدارمى عن أبى سعيد الخدري قال : من قرأ سورة الكهف فى ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق . وقال الوايلى عنه : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له ما بين مقامه وبين البيت العتيق . وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم: « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قرنه إلى قدمه ، ومن قرأها كلها كانت له نورا من السماء إلى الأرض » ذكره الثعلبى . وقال كعب : كان النبى صلى الله عليه وسلم يستتر من المشركين بثلاث آيات ، التى فى الكهف (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم إلي الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا) والتى فى النحل (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون) والآية التى فى الشريعة (أفرأيت من اتخذ آلهه هواه وأضله الله على علم وختم على

سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) الآية . قال كعب : فكان النبي صلي الله عليه وسلم إذا قرأهن يستتر من المشركين. قال كعب : فحدثت بهن رجلا من أهل الشام فأتى أرض الروم فأقام بها زمانا ثم خرج هاربا فخرجوا فى طلبه فقرأ بهن فصاروا يكونون معه فى طريقه ولا يبصرونه . قال الكلبى : وهذا الذى يروونه عن كعب فحدثت به رجلا من أهل الرى فأسر بالديلم فمكث فيهم زمنا ثم خرج هاربا فخرجوا فى طلبه فقرأ بهن حتى جعلت ثيابه لتلمس ثيابهم فما يبصرونه .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : وتزاد إلى هـذه الآى الآية التي تقدم ذكرها في سبحان (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) وأول سورة يس إلي قوله (فهم لا يبصرون) علي ما يأتى . وقال عمرو بن دينار : إن ممـا أخذ على العقرب أن لا يضر أحدا فى ليله ولا فى نهاره قال سلام على نوح في العالمين ، وإن مما أخذ على الكلب أن لا يضر من حمل عليه وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد . وقال أشهب : قال مالك ينبغى لكل من دخل منزله أن يقول ماشاء الله لا قوة إلا بالله . وقال ابن وهب : قال لى حفص بن ميسرة رأيت على باب وهب بن منبه مكتوبا ماشاء الله لا قوة إلا بالله . وروى عن النبى صلي عليه وسلم أنه قال لأبى هريرة: « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنـة ؟ » قال بلى يارسول الله! قال: « لا حول ولا قوة إلا بالله إذا قالها العبد قال الله عز وجل أسلم عبدي واستسلم » خرجه مسلم من حديث ابى موسى وفيه فقال « ياابا موسى أويا عبـد الله بن قيس ألا ادلك على كلمة من كنوز الجنة ، وفي رواية على كنز من كنوز الجنة ؟ قلت :ماهى يارسول الله ؟قال « لا حول ولا قوة إلا بالله » وروي انه من دخل منزله أوخرج منه فقال : بسم الله

ماشاء الله لاقوة إلا بالله تناثرت عنه الشياطين من بين يديه وأنزل الله عليه البركات . وقالت عائشة رضى الله عنها : إذا خرج الرجل من منزله فقال اسم الله قال الملك هديت : وإذا قال ماشاء الله قال الملك كفيت ، وإذا قال لاحول ولاقوة إلا بالله قال الملك وقيت . خرجه الترمذي من حديث أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال ـ يعنى إذا خرج من بيته ـ بسم الله توكلت على الله لاحول ولاقوة إلا بالله يقال له كفيت ووقيت ويتنحي عنه الشيطان » قال هذا حديث حسن غريب خرجه أبو داود أيضا وزاد يقال له هديت وكفيت ووقيت . وأخرجه ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا خرج الرجل من باب بيته ـ أوباب داره ـ كان معه ملكان موكلان به ، فاذا قال بسم الله قالا هديت ، وإذا قال لاحول ولاقوة إلا بالله قالا وقيت ، فاذا قال توكلت على الله قالا كفيت . قال فيلقاه قريناه فيقولان ماتريدان من رجل قد هدى ووقي وكفي ؟ » وقال الحاكم أبو عبد الله فى علوم الحديث : سئل محمد بن إسحاق بن خزيمة عن قول النبى صلى الله عليه وسلم « تحاجت النار والجنة فقالت هذه ـ يعنى الجنة ـ تدخلنى الضعفاء » من الضعيف ؟ قال الذى برأ نفسه من الحول والقوة يعنى فى اليوم خمسين مرة أو عشرين مرة . وقال أنس بن مالك : قال النبي صلى الله عليه وسلم « من رأي شيئا فأعجبه وقال ماشاء لاقوة إلا بالله لم تضره عين » .

خاتمتها : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال له رجل : إنى أضمر أن أقوم ساعة من الليل ، فيغلبني النوم ؟ فقال : إذا أردت أن تقوم أي ساعة شئت من الليل فاقرأ إذا أخذت مضجعك (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) الى آخر السورة فان الله يوقظك متى شئت من الليل ذكره الثعلبي .

وفى مسند الدارمى أبى محمد أخبرنا محمد بن كثير عن الاوزاعى عن عبدة عن زر ابن حبيش قال : من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقوم من الليل قامها . قال : فجربناه فوجدناه كذلك .

ومن سورة طه :أسند الدارمي أبو محمد فى مسنده وأبو نصر الوايلى فى كتاب الابانة له عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والارض بألفى عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليها هذا ، وطوبي لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا » قال الوايلى : هذا حديث حسن غريب . ومخرجه من المدينة . وأسند من حديث قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال. « إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف عام » الحديث بمعناه قال وهذا عزيز جدا ومخرجه من البصرة . قرأ ههنا بمعني أسمع وأظهر وأفهم كلامه من أراد من خلقه من الملائكة على ماأراد فى الأوقات والأزمنة ،لاأن غير كلامه تعلق وجوده مدة وزمان فان كلامه سبحانه قديم . والعرب تقول : قرأت الشيء إذا تتبعته ،وتقول ماقرأت هذه الناقة فى رحمها نسلاقط أى ماظهر منها ولد. فعلى هذا يكون الكلام سابقا ويكون قراءته إسماعه وإفهامه بعبارات يخلقها وكتابة يحدثها ،وهو معنى قولنا قرأنا كلام الله ومعنى قوله تعالى فاقرؤا ماتيسر منه .قال ابن فديك وغيره وخرج الوايلى من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال قالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : اول سورة تعلمت من القرآن كلها بأسرها طه ،فكنت إذا قرأتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ماأنزلنا عليك القرآن لتشقي قال « لاشقيت ياعائشة » قال وهذا حديث غريب شامي الطريق حسن .

وفيها آية تدخل فى باب الرقى وهي :(ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) ترقى بها التآليل وهى التى تسمي عندنا بالبراويق وأحدها بروقة وقد تطلع فى الجبين وأكثر ذلك فى اليد فيؤخذ ثلاثة أعواد من تبن الشعير يكون فى طرف كل عود عقدة تمر كل عقدة على التآليل وتقرأ الآية مرة ثم تدفن الأعواد الثلاثة فى مكان بدو عقد التآليل فلا يبقى لها أثر جربت ذلك في نفسى وفى غيري فوجدته نافعا والحمد لله .

ومن سورة الأنبياء عليهم السلام : فيها آية (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) روي أبو داود عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دعاء ذى النون فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، لم يدع الله به رجل مسلم قط في شيء إلا استجيب له » وفى هذه الآية سر لله بأن يجيبه كما أجابه وينجيه كما نجاه وهو قوله تعالي (وكذلك ننجي المؤمنين) وليس هنا دعاء صريح إنما هو مضمون قوله إنى كنت من الظالمين فاعترف بالظلم فكان تلويحا بالدعاء والله أعلم .

سورة الحج: جاء فى فضلها ماروواه الترمذي وأبوداود والدارقطنى عن عقبة بن عامر. قال قلت: يارسول الله فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين؟ قال « نعم ! ومن لم يسجدها فلا يقرأها » لفظ الترمذى وقال : هذا حديث حسن ليس اسناده بالقوى .

ومن سورة المؤمنين: خاتمتها (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا) الى آخرها. روى الثعلبي والوايلى باسنادهما من حديث ابن لهيعة عن أبى هبيرة عن حنش

ابن عبيدالله الصنعانى (١) أن رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه فى أذنه بهذه الآية أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا حتى ختم السورة فبرأ ، فقال رسول الله : «ماذا قرأت في أذنه ؟» . فأخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم : «والذى نفسى بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال» ولفظ الوايلي عن حنش عن عبد الله بن مسعود أنه مر بمصاب مبتلى فقرأ فى أذنه افحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، فذكره بلفظه ومعناه .

ومن سورة الروم : (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) الى قوله (وكذلك تخرجون) . روي ابو داود عن ابن عباس عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال « من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) الى قوله (وكذلك تخرجون) ادرك مافاته من يومه ذلك ، ومن قالها حين يمسى أدرك مافاته فى ليلته .

سورة آلم تنزيل السجدة : ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس عن النبى صلي الله عليه وسلم : « انه كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة آلم تنزيل ، وهل اتى علي الانسان حين من الدهر » . وخرج الدارمي فى مسنده والترمذى فى جامعه عن جابر بن عبد الله قال : كان النبى صلي الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ آلم تنزيل السجدة ، وتبارك الذي بيده الملك » . قال الدارمى واخبرنا ابو المغيرة قال ثنا عبدة عن خالد عن معدان قال « اقرؤا المنجية وهى آلم تنزيل السجدة فانه بلغني ان رجلا كان يقرأها مايقرأ شيئا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت رب اغفر له فانه كان يكثر قراءتي فشفعها الرب فيه ، وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة . وارفعوا له درجة» . وخرج الحافظ أبو نعيم باسناده عن عمران بن خالد الخزاعى قال . كنت عند عطاء

(١) فى الأصل : حبس بن عبد الله الصنعانى والتصحيح من الخلاصه .

الخراسانى جالسا فجاء رجل فقال يا ابا محمد ان طاووسا يزعم ان من صلي العشاء ثم صلى بعدها ركعتين يقرأ فيهما فى الأولى آلم تنزيل السجدة ، وفي الثانية تبارك كتب له قنوت مثل ليلة القدر ؟ فقال عطاء : صدق طاووس ماتركتهما

ومن سورة الأحزاب : فيها آيتان وكان أمر الله مفعولا . وكان أمر الله قدرا مقدورا . من قالهما عند مصيبة أوشدة هانت عليه تلك الشدة أو المصيبة وعوضه الله خيرا منها إن شاء الله كما مضى في البقرة .

سورة يس : روى أبو داود عن مغفل بن يسار قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اقرؤا يس على موتاكم المحتضرين » . ذكره الآجرى فى كتاب النصيحة له من حديث أم الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مامن ميت يقرأ عليه سورة يس إلا هون عليه » وفى مسند الدارمى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ سورة يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له فى تلك الليلة » خرجه أبو نعيم الحافظ أيضا . وروى الترمذى أيضا عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات » : قال هذا حديث غريب وفي إسناده هارون أبو محمد شيخ مجهول . وفى الباب عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ولا يصح حديث أبى بكر من قبل إسناده وإسناده ضعيف . وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال « إن فى القرآن لسورة تشفع لقارئها وتكفر لمستمعها ألا وهي سورة يس تدعى فى التوراة المعمة » قيل يارسول الله وما المعمة ؟ قال « تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهاويل الآخرة وتدعي الدافعة والقاضية » قيل يارسول الله وكيف ذلك ؟ قال « تدفع عن صاحبها كل شيء وتقضى له كل حاجة ، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ،

ومن سمعها كانت له كألف دينار تصـدق بها في سبيل الله ، ومن كتبها وشربها أدخلت جوفـه ألف ، دواء وألف نور وألف يقـين وألف رحمـة وألف هدى ونزع عنه كل ذى غل » ذكره الترمذي من حديث عائشة والترمذي الحـكيم فى نوادر الأصول من حـديث أبى بكر رضى الله عنه . وفى مسند الدارمى عن شهر بن حوشب قال ابن عباس : من قرأ يس حـين أصبح اعطى يسر يومه حتي يمسى ومن قرأها في ليلته اعطي يسر ليلته حتى يصبح . وذكر ابو جعفر النحاس عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال : « لـكل شىء قلب وقلب القرآن يس من قرأها نهارا كفي همه ، ومن قرأها ليـلا غفر ذنبه » وقال شهر بن حوشب يقرأ أهل الجنة طه ويس .

قال المؤلف : رفع هذه الاخبار الثلاثة أبو الحسن الماوردي فى العيون له : فقال : روى الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لـكل شىء قلبا وان قلب القرآن سورة يس ومن قرأها في ليلة اعطى يسر تلك الليلة ومن قرأها فى يوم اعطى يسر ذلك اليوم ، وان اهل الجنة يرفع عنهم القرآن فلا يقرؤن شيئا إلا طه ويس » وقال يحي بن ابى كثير بلغني ان من قرأ سورة يس ليـلا لم يزل في فرج حـتى يصبح ومن قرأها نهارا حين يصبح لم يزل في فرج حتى يمسى . ولقد حـدثني من جربها . ذكره الثعلبى وابن عطية قال ابن عطية : ويصدق ذلك التجربة . وذكر الترمذى الحـكيم فى نوادر الأصول حدثنا عبد الأعلى قال ثنا محمد بن الصلت عن عمرو ابن ثابت عن محمد بن مروان عن ابي جعفر قال : من وجد فى قلبه قساوة فليـكتب في جام سورة يس بزعفران ثم يشربه . واسند عن محمد بن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه وان فى كتاب الله لسورة تدعي القريرة يدعي صاحبها الشريف يوم القيامة تشفع لصاحبها

أكثر من ربيعة ومضر وهي سورة يس . وذكر الثعلبي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ ، وكان له بعدد من فيها حسنات » وذكر ابن اسحاق في هجرة النبي صلي الله عليه وسلم ومقام علي بن أبي طالب على فراشه قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات من سورة يس (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين) حتى بلغ فهم لا يبصرون حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ولم يبق رجل منهم إلا وقد وضع على رأسه تراب ثم انصرف إلى حيث أراد ، وفي رواية قال محمد بن اسحاق : جلس عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأمية بن خلف يراصدون النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغوا منه أذاه فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ يس وفي يده تراب فرماهم به ، وقرأ وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون . فأطرقوا حتى مر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن فضائل يس أنها تكتب في تربيع ورقة من قوله يس إلى قوله فهم لا يبصرون مفرقة الحروف فانها يرد بها العبد الآبق والجارية الآبقة يغرس في وسط الورقة في قلب اسم الآبق إبرة ويعلق حيث كان يأوى فانه يعود مجرب إن شاء الله تعالى نقله بعض العلماء .

ومن سورة الصافات : أولها عشر آيات وقد تقدم ذكرها ، وذكر أبو عمر في التمهيد عن سعيد بن المسيب . قال : بلغني أنه من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم يلدغه عقرب :

خاتمتها : روى من حديث أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يقرأ قبل أن يسلم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ذكره الثعلبي .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : أخبرنا الشيخ المحدث الحافظ أبو علي الحسن بن محمد بن محمد بن عمروك البكري بالحيرة قبالة المنصورة قراءة عليه بها قال أخبرتنا الحرة أم المؤيد زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الشعرى بنيسابور في المرة الأولى قالت أخبرنا أبو محمد اسماعيل بن أبي بكر القارى قال ثنا أبو الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي قال ثنا أبو سهل بشر بن أحمد الاسفرائيني قال ثنا أبو سليمان داود بن الحسن البيهقي قال حدثنا أبو زكريا يحيي بن يحيي بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري قال ثنا هشيم عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاة أو حين ينصرف: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» وذكر الماوردى وروى الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفي من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام علي المرسلين والحمد لله رب العالمين» ذكره الثعلبي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا .

ومن سورة الزمر : روى الترمذى عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلي الله عليه وسلم لا ينام حتي يقرأ الزمر وبني إسرائيل . وقد تقدم سنده وفيها آية (قل اللهم فاطر السموات والأرض) فى صحيح مسلم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : سألت عائشة أم المؤمنين بأى شيء كان النبي صلي الله عليه وسلم يستفتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان

إذا قام من الليل افتتح صلاته : «اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلي صراط مستقيم» ولما بلغ الربيع بن خيثم قتل الحسين بن علي رضى الله عنهم قرأ (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) وقال سعيد بن جبير : إني لأعرف موضع اية ماقرأها أحد قط فسأل الله شيئا إلا أعطاه (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) وفيها آية أمان من الغرق وقد تقدم وهو قوله تعالى (وماقدروا الله حق قدره) وقد تقدم في هود .

ومن سورة غافر: فاتحتها قال ثابت البناني : كنت إلى جانب سرادق مصعب بن الزبير فى مكان لايمر فيه الدواب فاستفتحت حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم فمر على رجل على دابة فلما قلت غافر الذنب قال قل ياغافر الذنب اغفرلى ذنبي ، فلما قلت وقابل التوب قال قل ياقابل التوب اقبل توبتي ، فلما قلت شديد العقاب قال قل ياشديد العقاب اعف عنى ، فلما قلت ذى الطول قال قل ياذا الطول تطول على بخير . فقمت اليه فأخذ ببصرى فالتفت يمينا وشمالا فلم أر شيئا . ذكره الثعلبي وأنبأناه شيخنا الامام أبو القاسم عبد الله عن أبيه الشيخ الفقيه الامام المحدث أبي الحسن علي بن خلف الكومي قال أنبأنا الشيخ الامام الحافظ العدل أبو الفضل أحمد بن صالح الحليمي إجازة ومناولة قال أنبأنا الشيخ الامام أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي بقراءتي عليه فى صفر سنة أربع وأربعين وخمسمائة قال أنبأنا الشيخ الفقيه أبو عبد الله أحمد بن أحمد بن سليمان

الواسطي فيما أذن لنا في روايته عنه وكتب لنا بذلك خطه في جمادى الأولى في سنة ثمان وستين وأربعمائة قال أنا أبو أحمد محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن أبي مسلم الفرضي قراءة عليه وأنا أسمع فأقر به قال أنا أبو جعفر محمد بن نصير بن القاسم الخراص المعروف بالجلدي قراءة عليه في يوم السبت لعشر بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة قال ثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي الصوفي قال أنا أبو جعفر محمد بن الحسين البرجلاني قال ثنا مالك بن عبد العزيز قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني قال : كنت في سرادق مصعب بن الزبير عني في مكان لا يمر فيه الدواب فاستفتحت حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا آله إلا هو اليه المصير قال فمر شيخ على بغلة شهباء فقال : ياغافر الذنب اغفرلي ذنبي ياقابل التوب تقبل توبتي ياشديد العقاب اعف عن عقابي ياذا الطول تطول على بخير . ثم ذهب فالتفت يمينا وشمالا فلم أر شيئا . وذكر الوايلي أبو نصر عبيدالله قال أنبأنا الخطيب بن عبد الله قال أنا محمد بن ابراهيم المرواني قال ثنا عمر ابن الحسن قال ثنا محمد بن قدامة ثنا أبو معاوية عن عبد الرحمن بن اسحاق عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « من قرأ آية الكرسي حين يصبح وآية من أول حم المؤمن حفظ في يومه ذلك حتى يمسى ومن قرأها حين يمسى حفظ في ليلته حتي يصبح » . آية (وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد) روى في الخبر أنه قال من قال وأفوض أمرى إلى الله أمن من مكر الناس قال الله تعالى (فوقاه الله سيئات مامكروا) .

ماجاء في الحواميم : روي الدارمي في مسنده قال حدثنا جعفر بن عون عن

مسعر عن سعد بن إبراهيم قال : كن الحواميم يسمين العرائس . وروى من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الحواميم ديباج القرآن » وروى ابن مسعود قوله . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لكل شيء ثمرة وأن ثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « مثل الحواميم في القرآن كمثل الجران (١) في الثياب » ذكرهما الثعلبي وقال أبو عبيد : حدثني حجاج بن محمد عن ابن أبي مسعر عن محمد بن قيس قال : رأي رجل سبع جوار حسان مزينات في النوم فقال لمن أنتن بارك الله فيكن ؟ فقلن نحن لمن قرأنا نحن الحواميم (٢) .

سورة الدخان : في مسند الدارمي أبي محمد عن أبي رافع قال : «من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين » رفعه الثعلبي من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الدخان في ليلة الجمعة غفر له » . وفي الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ الدخان في ليلة الجمعة غفر له » قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهشام أبو المقداد يضعف والحسن لم يسمع من أبي هريرة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وعمرو بن أبي خثعم يضعف . قال محمد هو منكر الحديث . وذكر الثعلبي عن أبي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قرأ الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بني له بيت في الجنة » قال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج

(١) إذا صحت هذه اللفظة فالجران الباطن . (٢) في الأصل : آل حم .

المريدين له : حم الدخان حديثها منكر لا يلتفت اليه أحد أصلا .

خاتمة الأحقاف : قال ابن عباس : إذا عسر على المرأة ولدها يكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة ثم يغسل ويسقي منها وهى (بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها، كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون .

سورة الفتح: فى الصحيحين عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير فى بعض أسفاره وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يسير معه ليلا فسأله عمر عن شىء فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه. فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثكلتك أمك ياعمر نزرت رسول صلي الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت دابتى ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن يكون نزل فى قرآن فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بى فقلت لقد خشيت أن يكون نزل فى قرآن فما نشبت أن جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال : «لقد أنزلت على الليلة سورة هي أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا » لفظ البخارى . وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح . وخرجه مسلم عن قتادة عن أنس بن مالك حدثهم قال : لما نزلت إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم مخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية فقال لقد أنزلت علي الليلة آية هى أحب إلي من الدنيا جميعا . وقال المسعودى : بلغنى أنه من قرأ سورة الفتح في أول ليلة من رمضان في صلاة التطوع حفظه الله ذلك العام .

سورة الرحمن جل وعلا : روى علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن» وقال العلماء : هذه سورة عدد الله فيها النعم وخاطب بتعديدها الثقلين كليهما الجن والانس فقال فى ذكر كل نعمة فبأى آلاء ربكما تكذبان فكان فى هذا القول سؤال يحتاج إلى رد الجواب ، وكذلك لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن قالوا ولا بشيء من نعمة ربنا نكذب ، فلك الحمد . خرجه الترمذي من حديث جابر قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا . فقال: « لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن منكم ردا كلما أتيت على قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من نعمة ربنا نكذب فلك الحمد » قال حديث غريب. وأثنى صلي الله عليه وسلم علي الجن حين تلا عليهم السورة بحسن ردهم الجواب ، وفيما بلغنا عن من تقدم أن فيها آية تقرأ علي الكلب إذا حمل على الرجل وهي يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض إلى قوله بسلطان فانه لايؤذيه باذن الله تعالي .

سورة الواقعة : ذكر ابن وهب قال ثنا السرى بن يحيي عن أبى شجاع حدثه عن أبى ظبية عن عبد الله بن مسعود قال! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول« من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » قال وكان أبو ظبية لايدعها أبدا . وذكر أبو عمر فى كتاب التمهيد والثعلبي فى تفسيره أن عثمان رضى الله عنه دخل على ابن مسعود رضى الله عنه يعوده فى مرضه الذى مات فيه فقال ماتشتكى ؟ قال ذنوبى ، قال فما تشتهى ؟ قال رحمة ربى ، قال أفلا ندعوا لك طبيبا ؟ قال الطبيب أمرضنى ، قال أفلا نأمر لك بعطاء ؟ قال لاحاجة لي فيه حبسته عنى في حياتي وتدفعه لي عند مماتى ،

قال يكون لبناتك من بعدك ؟ قال أفتخشى على بناتي الفاقة من بعدي ! ؛
إني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا»
وقال مسروق : من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ
أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة . ذكره
الثعلبي . رواه شريح بن يونس قال ثنا عبيدة قال ثنا منصور عن هلال بن
يساف قال قال مسروق : من سره أن يعلم علم الأولين والآخرين وعلم
الدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة .

المسبحات : روى الترمذي عن العرباض بن سارية :ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ المسبحات . ويقول فيها آية خير من الف
آية . قال هذا حديث حسن غريب اخرجه ابوداود ايضا . يعني بالمسبحات
الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن .

سورة المجادلة: ذكر في فضلها انها ليس فيها آية إلا وفيها اسم الله تعالي
متلو وذلك لا يوجد في غيرها .

خاتمة سورة الحشر : روي عن ابي هريرة قال سألت خليلي ابا القاسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الأعظم فقال : « يا أباهريرة عليك
بآخر سورة الحشر » فأعدت عليه فأعاد علي . وروي عن أبي أمامة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل
أو في نهار فقبضه الله تعالي في تلك الليلة أو في ذلك اليوم فقد اوجب الله له
الجنة » وروى عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
« من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك

يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في يومه مات شهيدا ، ومن قرأها حين يمسي فكذلك » قال حديث حسن غريب وذكر الثعلبي عن يزيد الرقاشي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ آخر سورة الحشر (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا) فمات في ليلته مات شهيدا .

سورة الملك : روي الترمذي عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر وإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » قال هذا حديث حسن غريب . وعنه صلى الله عليه وسلم : « وددت أن تبارك الذي بيده الملك في كل مؤمن » ذكره الثعلبي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن سورة من كتاب الله عز وجل ماهي ثلاثون آية شفعت لرجل حتى أخرجته من النار يوم القيامة وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك » خرجه الترمذي بمعناه قال فيه حديث حسن . وقال ابن مسعود : إذا وضع الميت في قبره فيؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل فانه كان يقوم بسورة الملك علي قدميه ، ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل فانه كان يقرأ سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله . وفي التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب . وروى أنه من قرأها في كل ليلة لم يضره الفتان .

سورة والضحى والتين والقدر وإذا زلزلت : إذا أردت أن ترى في النوم شيئا مما يشكل عليك أمره فصل بعد العشاء الآخرة أربع ركعات

تقرأ فى الأولي بعد الفاتحة والضحى وفى الثانية والتين وفى الثالثة إنا أنزلناه وفى الرابعة إذا زلزلت ولا تتكلم بعد هذه الصلاة وتكتب إذا زلزلت إلى آخرها فى رقعة وتجعلها تحت رأسك وتقول عند النوم اللهم أرني فى منامي الخير فى كذا وكذا وتسمي ما تريد فانك تراه إن شاء الله تعالى .

سورة لم يكن : قال القاضى أبو بكر بن العربي : روى إسحاق بن بشر الكاهلى الكوفى عن مالك بن أنس عن يحي بن سعيد عن ابن المسيب عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لو يعلم الناس مافي لم يكن الذين كفروا لعطلوا الأهل والمال ولتعلموها » وهذا حديث باطل ، وإنما الحديث الصحيح ماروى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبى « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا » قال وسمانى لك ؟ قال « نعم » فبكى .

قال المؤلف رضى الله عنه : الحديث متفق عليه خرجه البخارى ومسلم وغيرهما وفيه من الفقه قراءة العالم علي المتعلم . قال بعضهم : إنما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على أبى ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه فى المنزلة . وقيل إن أبياً كان أسرع فى أخذ الألفاظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد بقراءته عليه أن يأخذ ألفاظه ويقرأ كما سمع منه ، ويعلم غيره . وفيه فضيلة عظيمة لأبى إذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه .

سورة إذا زلزلت : روى الترمذى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ، ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ، وَمن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن » قال حديث غريب ، وفي الباب عن ابن عباس .

وذكر أبو نصر الوايلى السجستاني في كتاب الابانة له من حديث ابن وهب قال: حدثنا عبدالله بن عياش وعمرو بن الحارث وسعيد بن أيوب أن عياش ابن عياش حدثه عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رجلا أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقرئنى يارسول الله. قال اقرأ ثلاثا من ذوات الراء. قال الرجل كبر سنى وثقل لسانى قال فاقرأ ثلاثا من ذوات سبح، فقال الرجل مثل ذلك ولكن يارسول الله اقرئنى سورة جامعة فأقرأها، قال إذا زلزلت الأرض زلزالها حتى أتى على آخرها فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. فقال الرجل: والذى بعثك بالحق نبيا ماأبالى أن لا أزيد عليها حتي ألقى الله عزوجل. وذكر الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفلح الرجل».

سورة قل يا أيها الكافرون: أبو داود عن فروة بن نوفل عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لنوفل: «اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك» قال الترمذي رواه إسرائيل وزهير عن أبي إسحاق عن فروة بن نوفل عن أبيه. ورواه شعبة عن أبي إسحاق عن رجل عن فروة بن نوفل أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل عن أبيه. والأول أصح. وقد رواه عبدالرحمن بن نوفل عن أبيه وعبدالرحمن هو أخو فروة ابن نوفل وقال ابن عباس: ليس فى القرآن أشد غيظاً لأبليس من قل يا أيها الكافرون لأنها توحيد وبراءة من الشرك. قال الأصمعى كان يقال لقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد المقشقشتان أي أنهما يبرئان من النفاق. وقال أبو عبيدة: كما يقشقش الهناء الجرب فيبرئه. وقال ابن السكيت: يقال للقرح والجدرى إذا يبس وتعرق. وللجرب فى الأبل إذا قفل توسف جلده وتقش جلده وتقشقش جلده. هنأت البعير أهنأه إذا طليته بالهناة. وروى

الوايلي من حديث جابر بن عبدالله : أن رجلا قام فركع ركعتى الفجر فقرأ في الركعة الاولي قل يا أيها الـكافرون حتى ختم السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « هذا عبد آمن بربه » ثم قرأ في الثانية قل هو الله أحد حتى انقضت السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هذا عبد عرف ربه » قال طلحة : فأنا أحب ان اقرأ هاتين السورتين في هاتين الركعتين . وروى من حديث انس قال قال رسول الله صلي الله وسلم « قل يا ايها الـكافرون تعدل ربع القرآن » خرجه ابو بكر الأنباري في كتاب الرده اخبرنا عبد الله بن ناجية قال ثنا يوسف قال ثنا القعنبي وابو نعيم عن موسى بن وردان عن انس .

سورة النصر : وتسمى سورة التوديع وهي آخر سورة نزلت جميعاً . قاله ابن عباس في صحيح مسلم وروي الترمذى قال حديث عقبة بن مكرم العمي البصرى قال حدثني بن ابى فديك قال اخبرنى سلمة بن وردان عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من اصحابه : « هل تزوجت يا فلان ؟ قال لا والله يا رسول الله ولا عندى ماتزوج به ، قال : اليس معك قـل هو الله احد ؟ قال بلي ! قال : ثلث القرآن . قال اليس معك إذا جاء نصر الله والفتـح ؟ قال بلي ! قال ربـع القرآن قال اليس معك قل يا ايها الـكافرون ؟ قال بلى ! قال ربع القرآن قال اليس معك إذا زلزلت ؟ : قال بلي ! قال ربـع القرآن : قال تزوج تزوج ! ! قال ابو عيسى هذا حديث حسن .

سورة الاخلاص : وفيها احاديث كثيرة منها ما ثبت في البخاري عن ابي سعيد الخدرى ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله احـد يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسي بيده إنها لتعدل ثلث

القرآن » وعنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لاصحابه (أيعجز احدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلته ؟ » فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال « الله الواحد الصمد ثلث القرآن » وخرجه مسلم من حديث أبى الدرداء بمعناه . وخرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « احشروا فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن) فحشر من حشر فخرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرأ قل هو الله أحد ثم دخل ، فقال بعضنا لبعض : إني أرى هذا خبراً جاءه من السماء فذاك الذى أدخله ، ثم خرج فقال : إنى قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا إنها تعدل ثلث القرآن قال بعض العلماء : إنما عدلت ثلث القرآن لاجل هذا الأسم الذى هو الصمد فانه لا يوجد فى غيرها من السور ، وكذلك أحد . وقيل إن القرآن أنزل اثلاثاً ثلثاً منه أحكام وثلثاً منه وعد ووعيد وثلثاً منه أسماء وصفات ، وقد جمعت قل هو احد الثلث وهو الاسماء والصفات ودل على هذا التأويل مافي صحيح مسلم من حديث أبى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(إن الله عز وجل جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن) وهذا نص وبهذا المعنى سميت سورة الاخلاص والله أعلم . وروى مسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :(بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلوه لأى شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله تعالى يحبه) وروي الترمذي عن أنس بن مالك: كان رجل من الانصار يؤمهم فى مسجد قباء وكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم بها فى الصلاة افتتح بقل هو الله أحد فكلمه أصحابه فقالوا إنك تقرأ بهذه السورة ثم لا ترى

أنها تجزئك فتقرأ سورة أخرى؟ فقال : ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بها فعلت وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرونه أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه بالخبر فقال : يا فلان ما يمنعك مما يأمرك به أصحابك وما يحملك أن تقرأ هذه السورة في كل ركعة ؟. فقال : يا رسول الله إني احبها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن حبك إياها أدخلك الجنة) قال حديث غريب صحيح . قال القاضي أبو بكر ابن العربي : فكان دليلا على أنه يجوز تكرار سورة في كل ركعة ، وقد رأيت على باب الأسباط فيما اماما يقرب منه من جملة الثمانية والعشرين كان يصلي فيه التراويح في رمضان بالانزال فيقرأ في كل ركعة الحمد لله رب العالمين وقل هو الله احد حتى يتم التراويح تخفيفاً عليه ورغبة في فضلها ، وليس من السنة ختم القرآن في رمضان

قال المؤلف غفر الله لنا وله : وهذا نص قول مالك قال مالك : وليس ختم القرآن في المساجد سنة . وروى الترمذي عن انس بن مالك قال :(أقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجبت ، قلت ما : وجبت؟ قال : الجنة) قال هذا حديث حسن صحيح . قال الترمذي ثنا مروان بن مرزوق النصري قال ثنا حاتم بن ميمون ابو سهل عن ثابت البناني عن انس بن مالك عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : (من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله احد محى الله عنه ذنوب خمسين سنة إلا ان يكون عليه دين) وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب تبارك وتعالى ادخل على يمينك الجنة) قال هذا حديث غريب من حديث ثابت عن أنس

وفي مسند الدارمي ابى محمد عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم « من قرأ قل هو الله احد خمسين مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة» . قال وحدثنا عبد الله بن يزيد قال حدثنى حيوة قال أخبرنى أبو عقيل أنه سمع سعيد بن المسيب يقول إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بني له بها قصران فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاث قصور فى الجنة »فقال عمر : يا رسول الله إذا لتكثر قصورنا ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أوسع من ذلك » قال الدارمي : أبو عقيل زهرة بن معبد وزعموا أنه كان من الأبدال .

قال المؤلف غفر الله لنا وله : وقال البخارى فى التاريخ زهرة بن معبد ابو عقيل القرشى سمع جده عبد الله بن هشام وأباه وابن المسيب . روى عنه حيوة قال قتيبة عن الليث عن زهرة بن معبد قال قال لى عمر بن العزيز : أين تسكن من مصر ؟ قلت الفسطاط . وسمع منه سعيد بن أبى أيوب وابو معن وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب الحلية من حديث أبى العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة » قال هذا حديث غريب من حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البجلي. وذكر ابو بكر الخطيب بن ثابت الحافظ عن عيسى بن أبى فاطمة الرازي قال سمعت مالك بن أنس يقول : إذا نقس بالناقوس اشتد غضب الرحمن فتنزل الملائكة فيأخذون بأقطار الأرض فلا يزالون يقرأون قل هو الله أحد حتى يسكن غضبه عز وجل . وخرج عن محمد

ابن خالد بن الجهيني عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وخمسين مرة قل هو الله أحد فذلك مائتا مرة فى أربع ركعات لم يمت حتي يرى منزله من الجنة أو يرى له » قال أبو عمر ومولي جرير ابن عبد الله البجلى عن جرير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران » وعن سهل بن سعد الساعدي قال شكى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر وضيق المعيشة فقال له رسول الله صلى الله عيله وسلم : « إذا دخلت البيت فسلم إن كان فيه أحد و إن لم يكن فيه أحد فسلم على وأقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة » ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه .

المعوذتان : مسلم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ، قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » خرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . وروي النسائى عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت يدى على قدميه فقلت أقرأ فى سورة يوسف ؟ فقال لى « لن تقرأ شيئا أبلغ عند الله من قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس » وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان إذا اشتكي يقرأ على نفسه المعوذات وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها » متفق عليه . وعنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ بقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على

رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات . وذكر أبو عمر في كتاب الاستذكار رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بماء فيه ملح .

قال المؤلف رضى الله عنه : وقد تقدم فى الفاتحة من حديث أبى سعيد الخدرى أنه رقي سيد الحى من العقرب بفاتحة الكتاب فبرأ .

(فصل) فى فضل آيات من القرآن ومنافعها زيادة على ما تقدم .

قال الله تعالى (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين) خرج الدارقطني في كتاب المدبج له من حديث السرى بن يحيي قال حدثني المعتمر ابن سليمان عن ليث بن أبى سليم عن الحسن عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينفع باذن الله تعالى من البرص والجنون والجذام والبطن والسل والحمى والنفس أن يكتب بزعفران أو عشق - يعنى المغرة - أعوذ بكلمات الله التامة وأسمائه كلها من شر السامة والهامة ومن شر العين اللامة ومن شر حاسد إذا حسد ومن شر أبى مردة وما ولد(١) » كذا قال ولم يقل من شر أبى مرة . وقال « ثلاثة وثلاثون من الملائكة أتوا ربهم عز وجل فقالوا وصب بأرضنا . فقال خذوا بتربة أرضكم فامسحوا بها نواصيكم - أو قال نوصيكم رقية محمد صلى الله عليه وسلم لا أفلح من كتمها أبداً أو أخذ عليها صفدا . ثم تكتب فاتحة الكتاب وأربع آيات من البقرة والآية التى فيها تصريف الرياح وآية الكرسى والآيتين من بعدها وخواتيم سورة البقرة من قوله لله ما فى السموات وما فى الأرض إلى آخرها وعشر آيات من أول سورة آل عمران وعشراً من آخرها وأول آية من النساء وأول آية من المائدة وأول آية من الأنعام وأول آية من الأعراف والآية التي في الأعراف إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض حتي يختم الآية والآية التى في

(١) في الاصل أبي قردة

يونس قال موسى ماجئتم به السحر إلي آخر الآية والآية التي في طه وألق
مافى يمينك إلى حيث أتي وعشراً من أول الصافات وقل هو الله أحد
والمعوذتين . تكتب في إناء نظيف ثم يغسل ثلاث مرات بماء نظيف ثم يحسو
منه الوجيع ثلاث مرات ثم يتوضأ منه كوضوئه للصلاة ويتوضأ قبله وضوءه
للصلاة حتى يكون على طهر قبل أن يتوضأ منه، ويصب على رأسه وصدره
وظهره . ولا يستنجي به ثم يصلى ركعتين ثم يستشفي الله تبارك وتعالى فيفعل
ذلك ثلاثة أيام قدر ما يكتب في كل يوم كتابا (١) وفى رواية من شر أبى
فترة وما ولد : وقال امسحوا بوصيكم ولم يشك . وخرج أبو النصر الوايلى
السجستانى في كتاب الابانة له من حديث بقية بن الوليد عن أبى إسحاق
الفزارى عن أبى جناب الكلبي عن زيد الايامي عن عبد الرحمن بن أبى
ليلى عن أبيه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يارسول الله إن أخى وجيع ، قال : «وماوجع اخيك ؟ قال به لمم قال إئتنى
به » قال فسمعته يعوذه فقرأ بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة
وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم وثلاث
آيات من آخرها وآية من آل عمران وآية من الأعراف إن ربكم الله الذى
خلق السموات والأرض إلى اخر الآية وآية من المؤمنين فتعالى الله الملك
الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم وعشر آيات من أول الصافات وثلاث
آيات من آخر سورة الحشر هو الذي لا إله إلا هو وآى من قل أوحى إلى
انه استمع نفر من الجن إلى قوله تعالى جدر بنا وقل هو الله أحد والمعوذتين
فبرأ . الرجل وروى أنه من لم يكن له ولد فأراد أن يكون له ولد ذكر
وعزم على ذلك استعان بالله تعالى وصلى ركعتين لله عز وجل مخلصاً قبل أن
يجامع وقرأ قل هو الله احد ثلاث مرات وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ

(١) كذا فى الاصل

رب الناس مرة واحدة والحمدلله بعد ذلك سبع مرات ثم قرأ وهو الذي خلق من الماء بشراً الآية والآية التي فى الحج وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتي وأنه على كل شيء قدير والآية التى فى الروم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والأرض ، يخرج من بين الصلب والترائب إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر ، يخرج من بين فرث ودم ولد طاهر. (إن الله يبشرك بيحيي مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين ، فبشرناه باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ، فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا ، والحمد لله رب العالمين . تقرأ هذه الآيات قبل أن تجامع زوجتك وتكتبها على فخذك الأيمن وتجامع أول النهار ويكون ذلك نهار الأحد ، فان المرأة تأتى بولد طاهر مبارك ذكر من غير شك ولا ريب بحول الله تعالى. وذكر الوائلي الحافظ فى كتاب الابانة باسناده عن أبى دجانة . قال شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله بينما أنا مضجعا فى فراشي إذ سمعت في داري صوريراً كصوير الدجاج ودوياً كدوى النحل ولمعانا كلمعان البرق ، فرفعت رأسي فزعا مرعوبا فاذا أنا بظل أسود مول يعلو ويطول فى صحن دارى فأهويت إليه فمسست جلده فاذا جلده كجلد القنفذ فرمي فى وجهي شرار النار ، فظننت أنه قد أحرقني وأحرق داري . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عامر دار سوء ياأبا دجانة ورب الكعبة ، ومثلك يؤذى يا أبا دجانة ؟ ! » ثم قال « إئتونى بدواة وقرطاس » فأتى بهما فناوله على بن أبى طالب رضي الله

عنه وقال : إكتب ياأبا الحسن . فقال وما أكتب ؟ قال : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هـذا كتاب من محمد رسول رب العالمين إلى من طرق الدار من العمار والزوار والصالحين إلا طارقا يطرق بخير يارحمن أما بعد فان لنا ولـكم في الحق سعة (١) فان تك عاشقا مولعا أو فاجرا مقتحما أو باغ حقا مبطلا هذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق ورسلنا يكتبون ما تمكرون اتركوا صاحب كتابي هـذا وانطلقوا الي عبدة الأصنام وإلى من يزعم أن مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون . تغلبون حم لا ينصرون حمعسق تفرق أعـداء الله و بلغت حجة الله ولا حـول ولا قوة الا بالله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » قال أبو دجانة فأخذت الـكتاب فادرجته وحملته الى داري وجعلته تحت رأسي ونمت ليلتى فما إنتبهت الا من صراخ صارخ يقول ياأبا دجانة أحرقتنا واللات والعزى فبحق صاحبك لما رفعت عنا هذا الـكتاب فلا عودة لنا في دارك ولا في جوارك ولا في موضع يكون فيه هـذا الـكتاب . قال أبو دجانة لا وحق صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رفعته حتى استأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو دجانة فلقد طالت على ليلتى لما سمعت من أنين الجن وصياحهم و بكائهم حتى أصبحت فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله صلي الله عليه وسـلم وأخبرته بمـا سمعت من الجن ليلتى وبما قلت لهم . فقال لى : « يا أبا دجانة ارفع عن القوم فو الذى بعثنى بالحق نبيا إنهم ليجدون ألم العذاب الى يوم القيامة » (٢)

(فصل) فى بيان معني قوله تعالى : (هو الذى أنزل عليك الـكتاب منه آيات محكمات هن أم الـكتاب وأخر متشابهات (وحكم متبع متشابه القرآن

---

(١) كذا فى الأصل (٢) من قوله : فصل فى فضل آيات (صفحة ٢٠٣) إلى هنا طبع عن النسخة الاصلية فقط .

وفي الايمان به . وهو خاتمة الكتاب وبه تكمل فائدته وتعظم منفعته . روى مسلم عن عائشة . قالت : تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الى قوله - وما يذكر إلا أولو الألباب .) قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم كذلك قال عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم» .

واختلف العلماء فى المحكمات والمتشابهات علي أقوال عديدة . فقال جابر بن عبدالله وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثورى وغيرهما : المحكمات آى من القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره . والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه . قال بعضهم : وذلك مثل وقت قيام الساعة وخروج يأجوج ومأجوج والدجال ونزول عيسى بن مريم عليهما السلام . ونحو الحروف المقطعة التى فى أوائل السور .

قال المؤلف رحمه الله : هذا أحسن ما قيل في المتشابه والمحكم وقد بسطنا أقوال العلماء فى ذلك فى كتاب جامع أحكام القرآن فى سورة آل عمران . ثم متبعوا المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلبا للتشكيك في القرآن واضلال العوام كما فعلته الزنادقة والقرامطة والطاعنون فى القرآن ، أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما يوهم ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارى تعالى جسم مجسم وصورة مصورة وذات وجه وغير ذلك من يد وعين وجنب وأصبع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، أو تتبعوه على جهة ابداء تأويلها أو إيضاح معانيها أو كما فعل صبيغ حين أكثر على عمر فيه من السؤال . فهذه اربعة أقسام ، الأول لاشك فى كفرهم وان حكم الله فيهم القتل من غير استتابة ، الثانى

الصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم و بين عباد الأصنام والصور ويستتابون فان تابوا والا قتلوا كما يفعل بمن ارتد، الثالث إختلاف فى جواز ذلك بناء على الاختلاف فى جواز تأويلاتها وقد عرف أن مذهب السلف ترك التعرض لتأويلاتها مع قطعهم باستحالة ظواهرها فيقولون امروها كما جاءت، وذهب بعضهم الى ابداء تأويلاتها وحملها على ما يصح حمله فى اللسان عليها من غير قطع بتعيين محتمل منها. الرابع الحكم فيه الأدب البليغ كما فعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بصبيغ

قال ابو بكر الانبارى : وقد كان الأئمة من السلف يعاقبون من يسأل عن تفسير الحروف المشكلة من القرآن لأن السائل ان كان يبتغى بسؤاله تجديد البدعة وإثارة الفتنة فهو حقيق بالنكير واعظم التعزير وان لم يكن ذلك مقصده فقد استحق العتب بما اجترح من الذنب إذا وجد المنافقين والملحدين فى ذلك الوقت سبيلا الى ان يقصدوا ضعفة المسلمين بالتشكيك والتضليل فى تحريف القرآن عن منهاج التنزيل وحقائق التأويل.

فمن ذلك ما حدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضى قال انا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار ان صبيغ بن عسل قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن وعن أشياء فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه قال فبعث اليه واحضره وقد اعد له عراجين من عراجين النخل فلما حضر قال له عمر : من انت ؟ قال انا عبدالله صبيغ ، فقال : وانا عبدالله عمر ثم قام اليه فضربه بعرجون فشجه ثم تابع ضربه حتى سال دمه على وجهه فقال : حسبك يا امير المؤمنين فقد والله ذهب مني ما كنت اجد فى رأسى. وقد اختلفت الروايات فى ادبه ثم إن الله تعالى الهمه التوبة وقذفها فى قلبه فتاب وحسنت توبته. واختلف العلماء فى الراسخين فى العلم هل هى ابتداء

كلام مقطوع مما قبله معطوف على ما بعده فتكون الواو للجمع ، فالذى
عليه الأكثر أنه مقطوع مما قبله وأن الكلام تم عند قوله إلا الله .
هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن
عبد العزيز وغيرهم ، وهو مذهب الكسائى والأخفش والفراء وأبى
عبيد . قال أبو نهيك الأسدى : إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة ،
وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم آمنا به كل من عند ربنا . وقال
مثل هذا عمر بن عبد العزيز . وحكى الطبرى نحوه عن يونس عن أشهب
عن مالك بن أنس ويقولون على هذا خبر الراسخين

قال الخطابى: وقد جعل الله تعالى آية كتابه الذى أمرنا بالايمان به
والتصديق بما فيه على قسمين ، محكما ومتشابهاً . فقال عز من قائل: وهو
الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر
متشابهات (الى قوله) كل من عند ربنا . فاعلم أن المتشابه من الكتاب
قد استأثر الله بعلمه فلا يعلم تأويله أحد غيره ، ثم أثنى الله على الراسخين
فى العلم بأنهم يقولون آمنا به ولولا صحة الايمان منهم لم يستحقوا الثناء
عليه ، ومذهب أكثر العلماء أن الوقف التام فى هذه الآية إنما هو عند
قوله تعالى : ومايعلم تأويله إلا الله . وأن مابعده استئناف كلام آخر وهو
قوله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به. وروى ذلك عن ابن مسعود
وأبى بن كعب وابن عباس وعائشة . وانما روى عن مجاهد أنه نسق
الراسخين على ما قبله وزعم أنهم يعلمونه واحتج له بعض أهل اللغة فقال:
معناه والراسخون فى العلم يعلمونه قائلين آمنا به وزعم أن موضع
يقولون نصب على الحال. وعامة أهل اللغة ينكرونه ويستبعدونه لأن

العرب لا تضم الفعل والمفعول معا ولا تذكر حالا إلا مع ظهور الفعل فاذاً لم يظهر فعل ولا حال . ولو جاز ذلك لجاز أن يقال عبد الله راكبا بمعنى أقبل عبد الله راكبا . وانما يجوز ذلك مع ذكر الفعل كقولك عبد الله يتكلم يصلح بين الناس فكان يصلح حالا له كقول الشاعر أنشدنيه أبو عمرو قال أنشدنا أبو العباس ثعلب :

أرسلت فيها رجلا لكالكا   يقصر يمشى ويطول باركا

فكان قول عامة العلماء مع مساعدة مذاهب النحويين له أولى من قول مجاهد وحده . وأيضا فانه لا يجوز أن ينفى الله سبحانه شيئا عن الخلق ويثبته لنفسه فيكون له فى ذلك شريك . ألا ترى الى قوله عزوجل: قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب إلا الله وقوله لا يجليها لوقتها إلا هو وقوله كل شىء هالك إلا وجهه فكان هذا كله مما استأثر الله به فلا يشاركه فيه غيره وكذلك قوله تبارك وتعالى: وما يعلم تأويله إلا الله. ولو كانت الواو فى قوله والراسخون فى العلم معنى للنسق لم يكن لقوله كل من عند ربنا فائدة والله أعلم

قال المؤلف رحمه الله : وما حكاه الخطابى من أنه لم يقل بقول مجاهد غيره فقد روى عن ابن عباس أن الراسخين معطوف على اسم الله عزوجل، وأنهم داخلون فى علم المتشابه، وأنهم مع علمهم به يقولون آمنا به كل من عند ربنا. وقاله الربيع بن أنس ومحمد بن جعفر بن الزبير والقاسم ابن محمد وغيرهم ويقولون على هذا التأويل نصب على الحال من الراسخين كما قال: الريح تبكى شجوه   والبرق يلمع فى الغمام

وهذا البيت يحتمل المعنيين فيجوز أن يكون والبرق مبتدأ والخبر

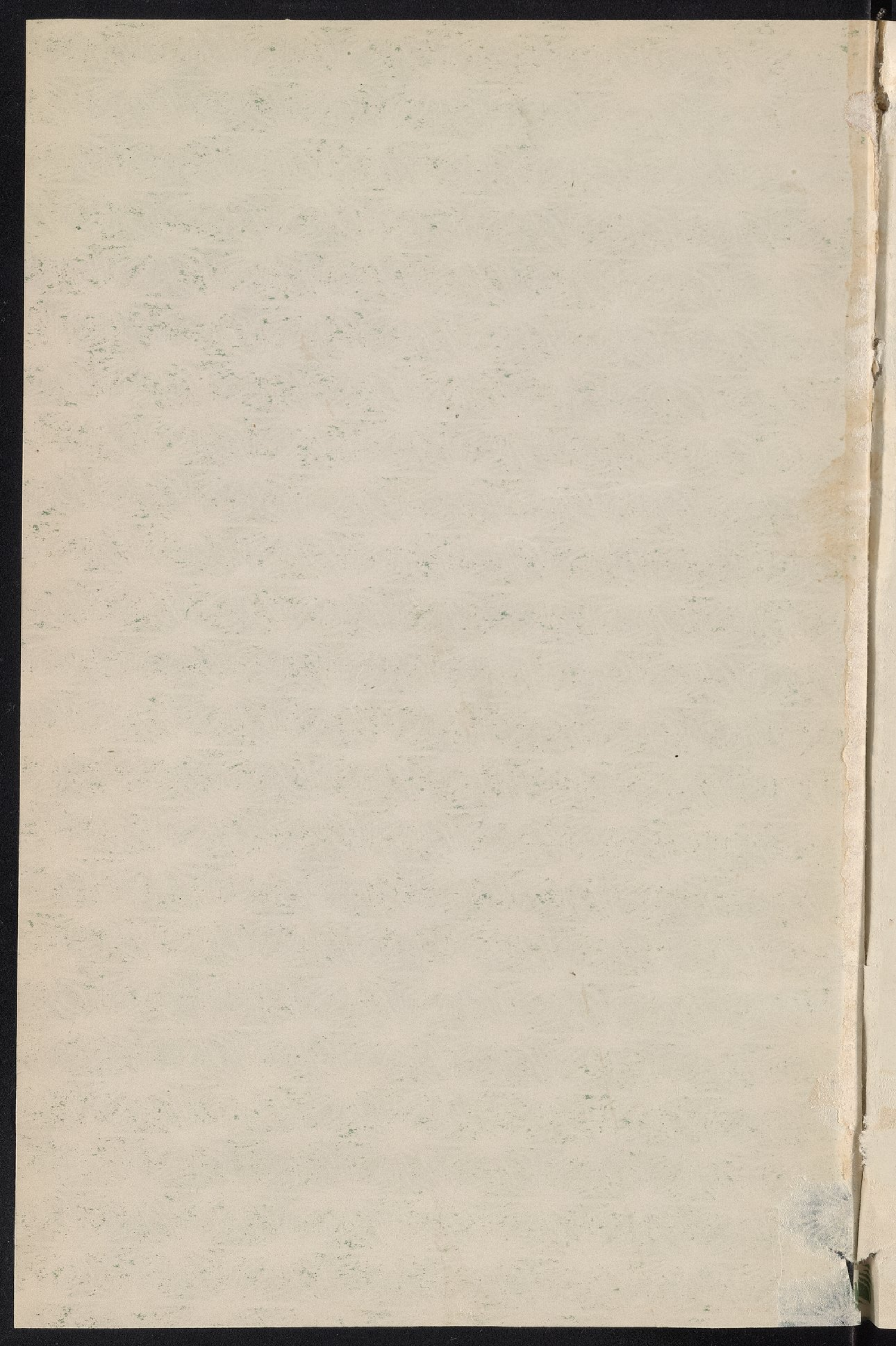
يلمع على التأويل الأول فيكون مقطوعا بما قبله ويجوز أن يكون معطوفا على الريح ويلمع فى موضع الحال على التأويل الثانى أى لامعا. واحتج قائلوا هذه المقالة أيضا بأن الله سبحانه وتعالى مدحهم بالرسوخ والعلم فكيف يمدحهم وهم جهال. وقد قال ابن عباس أنا ممن يعلم تأويله. وقرأ مجاهد هذه الآية وقال أنا ممن يعلم تأويله حكاه عنه إمام الحرمين أبو المعالى. فان قال قائل: قد أشكل على الراسخين بعض تفسيره حتى قال ابن عباس رضى الله عنه لا أدرى ما الأواه ولا ما غسلين ؟ قيل له: هذا لا يلزم لان ابن عباس قد علم بعد ذلك تفسيره على ما وقف عليه. وجواب أقطع من هذا وهو سبحانه وتعالى لم يقل لكل راسخ فيجب على هذا القول اذا لم يعلمه أحدهم علمه الآخر. ورجح ابن فورك أن الراسخين فى العلم يعلمون التأويل وكذلك القاضى أبو بكر بن الطيب وأبو محمد مكى بن أبى طالب وغيرهم. وفى قوله عليه الصلاة والسلام لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ما يبين لك ذلك أى علمه معانى كتابك. والوقف على هذا يكون عند قوله والراسخون فى العلم. وقال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمرو هو الصحيح فان تسميتهم راسخين بأنهم يعلمون أكثر من المحكم الذى يستوى فى علمه جميع من يفهم كلام العرب وفى أى شىء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع. لكن المتشابه يتنوع فمنه ما لا يعلم البتة كأمر الروح والساعة وهذا لا يتعاطى علمه أحد لا ابن عباس ولا غيره فمن قال من العلماء الحذاق ان الراسخين لا يعلمون علم المتشابه انما أراد هذا النوع. وأما ما يمكن حمله على وجوه فى اللغة فمباح فى كلام العرب

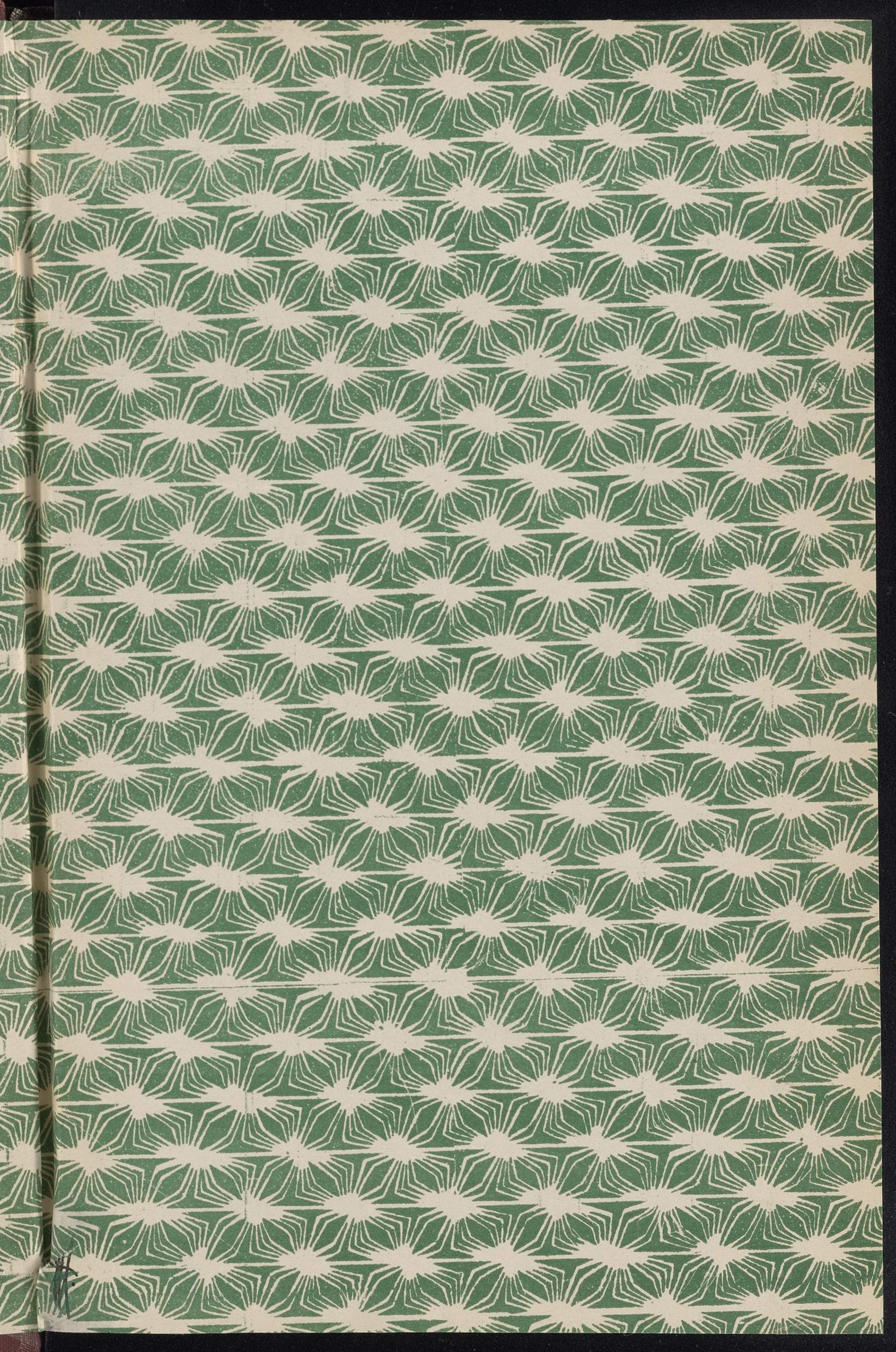
فيتأول ويعلم تأويله المستقيم ويزال ما فيه عما عسى أن يتعلق بتأويل غير مستقيم كقوله تعالى فى عيسى عليه السلام وروح منه الى غير ذلك فلا يسمى أحداً راسخا إلا أن يعلم من هذا النوع كثيراً بحسب ماقدر له والله أعلم.

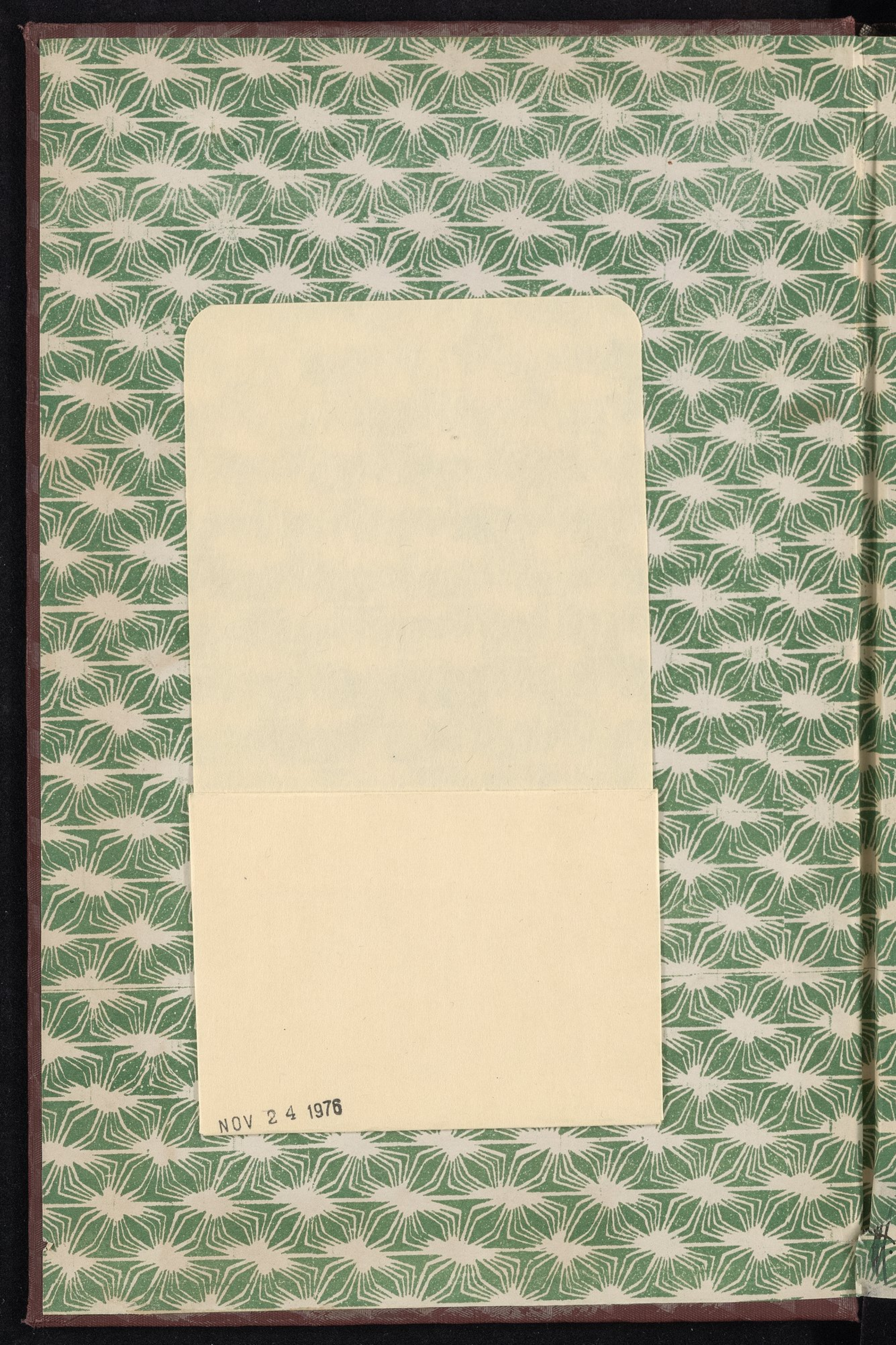
والرسوخ الثبوت فى الشيء وكل ثابت راسخ وأصله فى الأجرام أن يرسخ الجبل والشجر فى الارض ورسخ الايمان فى قلب فلان يرسخ رسوخا وحكى بعضهم رسخ الغدير نصب ماؤه فهو من الاضداد حكاه ابن فارس فى المجمل ورسخ ورضخ ورسب كله ثبت الى. وسئل النبي ﷺ عن الراسخين فى العلم فقال هو من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه. فان قيل كيف كان فى القرآن متشابه والله تعالى يقول وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم فكيف لم يجعله كله واضحا ؟ قيل له الحكمة فى ذلك والله أعلم أن يظهر فضل العلماء لانه لو كان كله واضحا لم يظهر فضل بعضهم على بعض وهو معنى قوله تعالى ولو ردوه الى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم. وأولو الامر هم أولو العلم والفقه فى قول الحسن وقتادة وغيرهما والله عز وجل أعلم

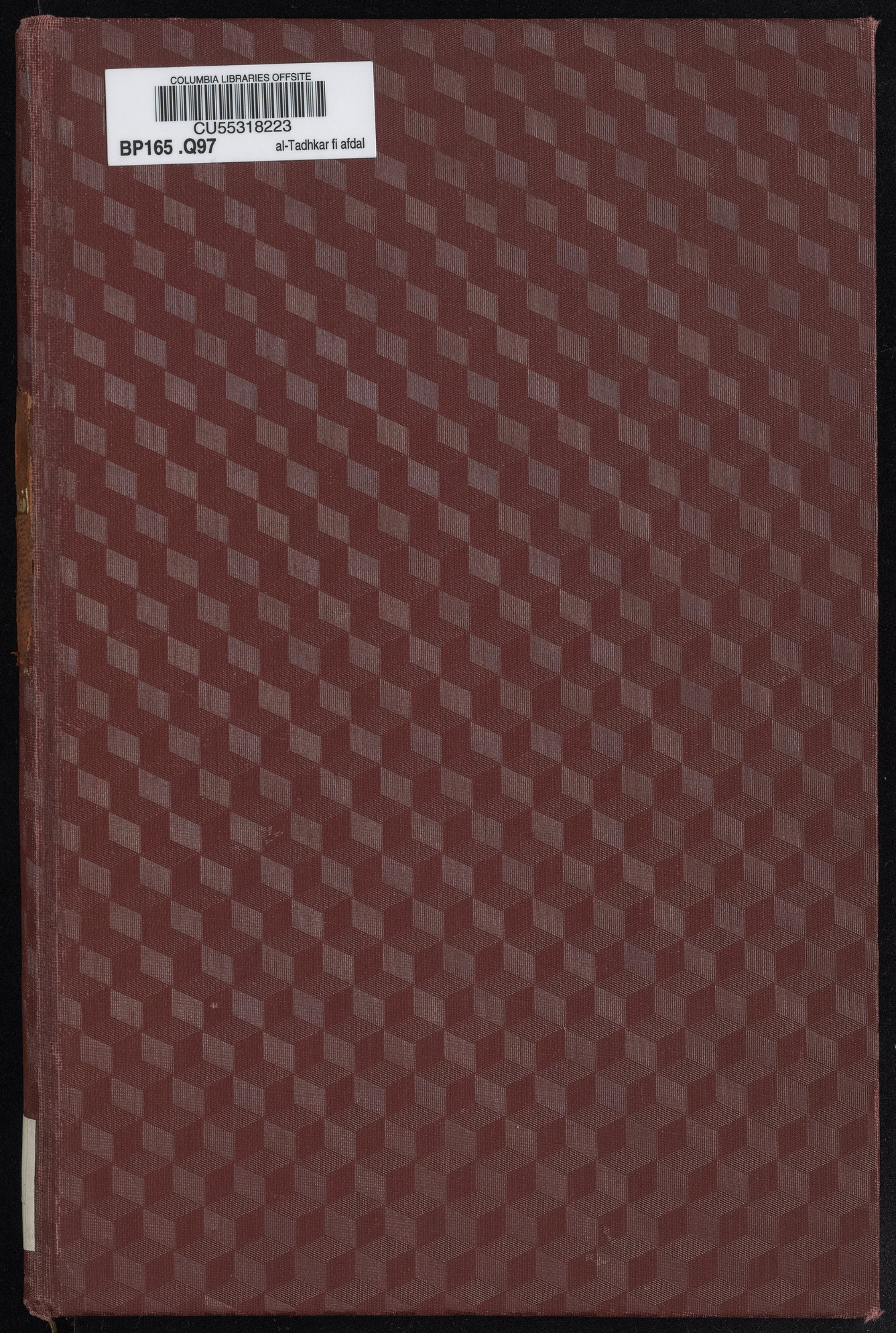
تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلواته على خير خلقه سيدنا محمد نبيه وصفيه وحبيبه ونجيه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وسلم بعدد كل حرف جرى به القلم على يد العبد الفقير المعترف بالتقصير الراجي عفو ربه القدير عمر بن أحمد بن عمر المعروف والده بالصفدى اللخمى نسبا والشافعى مذهبا والمصرى المولد والدار

وكان ذلك فى اليوم التاسع والعشرون من شهر رجب سنة ٧٨٨ أحسن الله عاقبتها








COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU55318223
BP165 .Q97
al-Tadhkar fi afdal